١

دورة علوم ومباني الإسلام والتشيّع

هو العزيز



تفسير آية المودة

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾

تأليف

سماحة آية الله العلّامة السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهراني

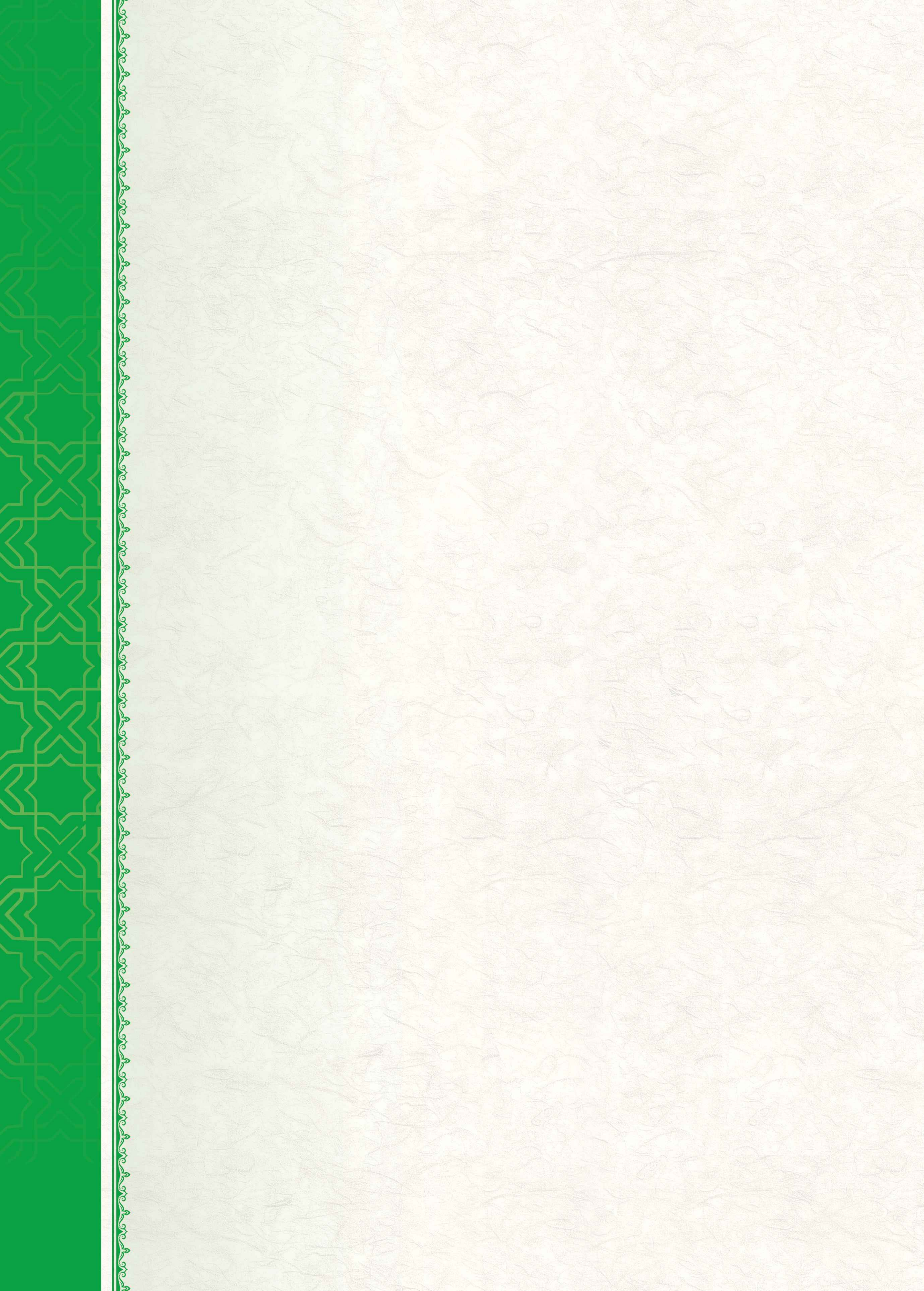
قدّس الله سرّه

مُقدّمة وتصحيح

السيّد محمّد مُحسن الحسيني الطهراني




بسم الله الرحمن الرحیم



هو العزيز



رسالة المودة

تفسير آية المودة

﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾

والقربان الأول

السيدة الزهراء عليها السلام وابنها المحسن

تأليف

سماحة آية الله العلامة السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

قدس الله سره

الطبعة الأولى

لبنان ـ بيروت

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

بطاقة تعريفيّة بالكتاب

- **عنوان الكتاب:** رسالة المودّة .
- **الموضوع:** تفسير.
- **المؤلّف:** آية الله العلامة الحاجّ السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهراني قدس الله نفسه الزكيّة.
- **الناشر:** دار المحجّة البيضاء، لبنان ـ بيروت / رويس ، تلفاكس: ٠٠٩٦١١٥٥٢٨٤٧
- **عدد الأجزاء:** مجلّد واحد.
- **تاريخ النشر:** ١٤٣٤
- **عدد صفحات الكتاب:** ٣١٩ صفحة.
- **عدد النسخ :** ١٠٠٠ نسخة.



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail : almahajja@terra.net.lb

E-mail & FB: info@daralmahaja.com

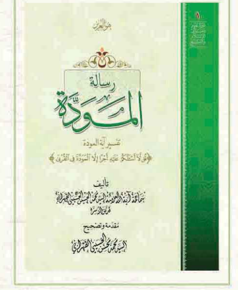
www.daralmahaja.com

دورة علوم ومعارف الإسلام والتشيّع (١)



تأليف سماحة آية الله العلامة السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني







+٩٨ـ ٢٥٣ـ ٢٨٥٤٢٦٣

www.maktabevahy.org

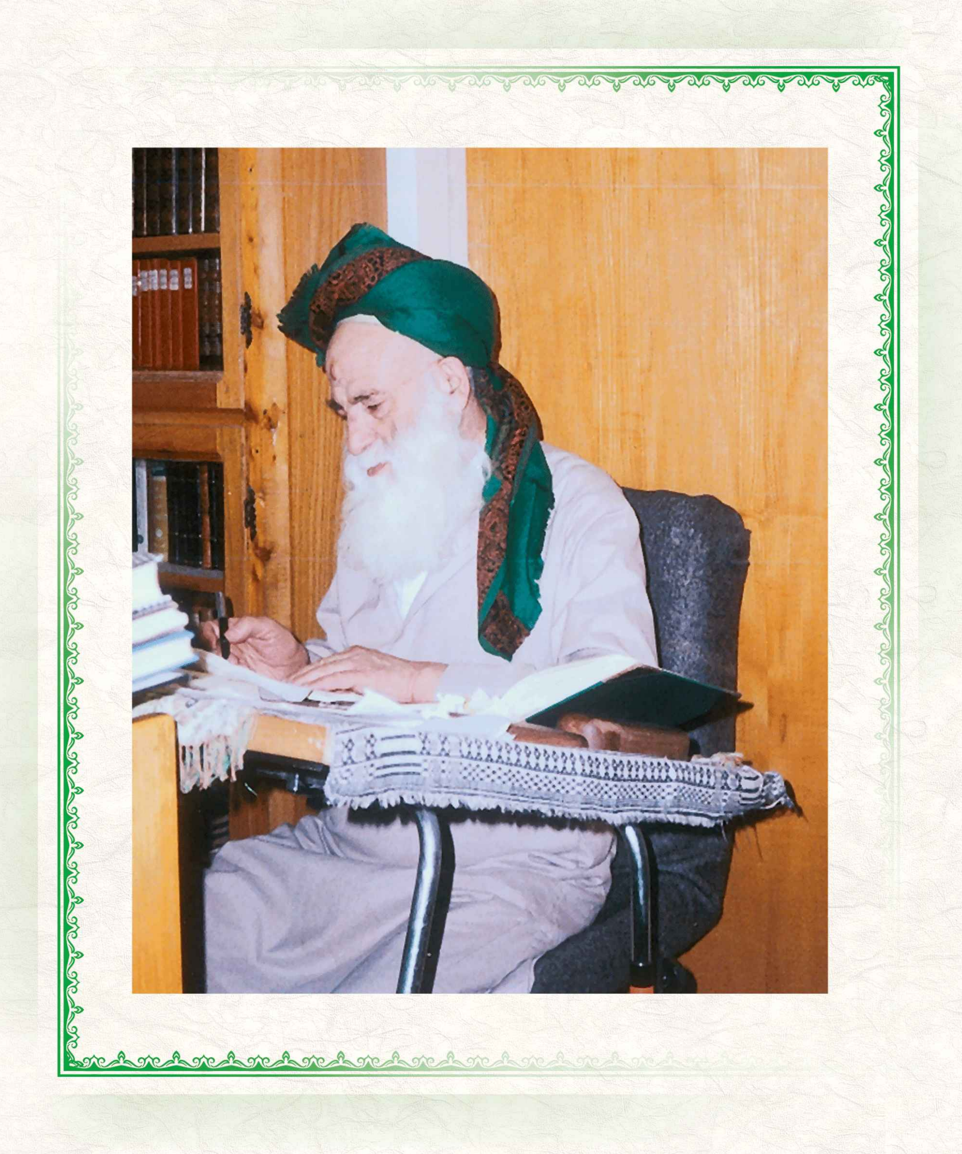
info@maktabevahy.org



قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

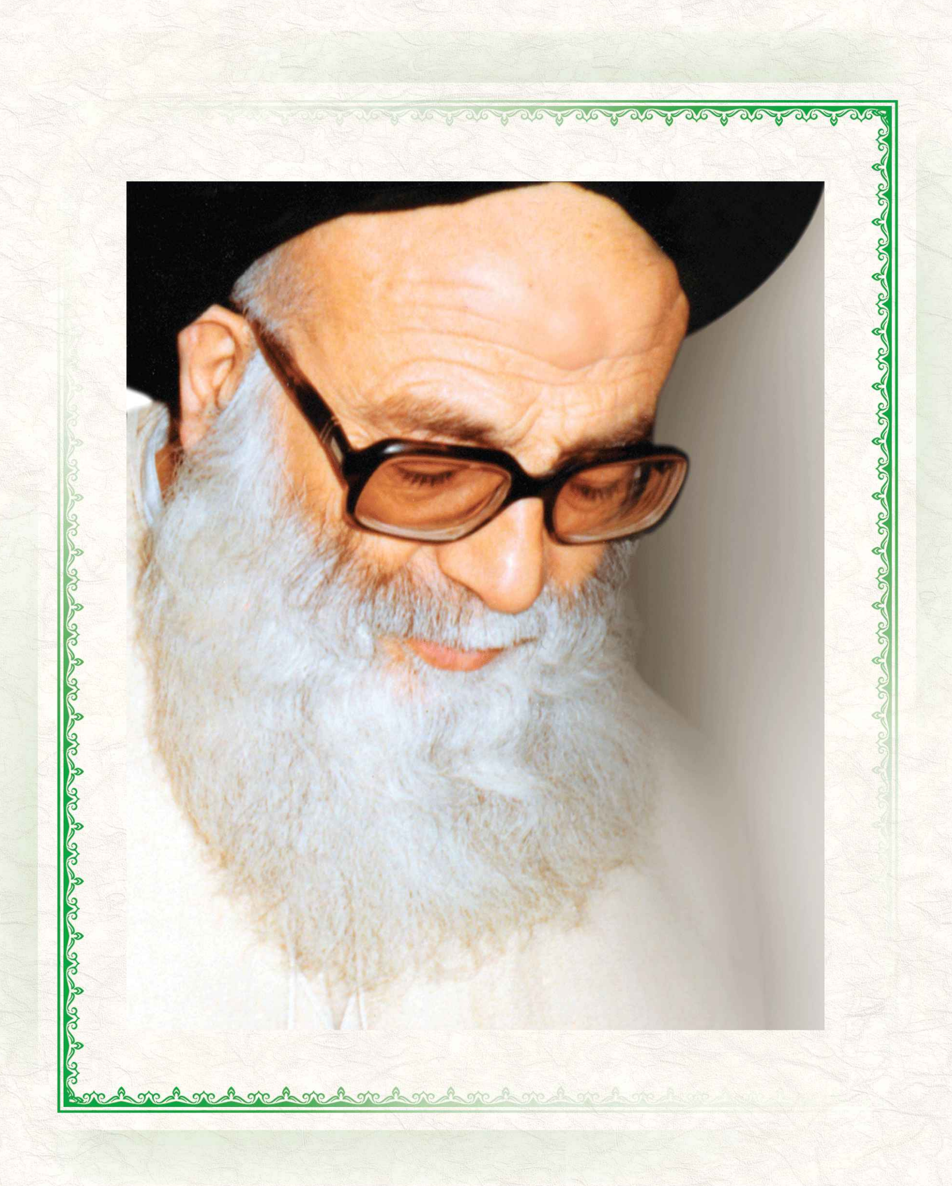
الزموا مودتنا أهل البيت فإنّه مَن لقي الله عزّ وجلّ وهو يودّنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبدًا عمله إلّا بمعرفة حقّنا.

الغدير ج ٢ ص ٣٠١



صورة سماحة العلامة آية الله الحاج السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهراني قدس الله نفسه الزكية

في مكتبة منزله



صورة سماحة العلامة آية الله الحاج السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهراني قدس الله نفسه الزكية

الفهرس

فهرس المواضيع

رسالة المودّة

المجلس الثانی: أوثق عری الإیمان الحبّ في اللّه والبغض في اللّه

ص ٦٥ ـ ٨٣

المجلس الثالث: معنى المودّة الواجبة

ص ٨٧ ـ ١٠٩

المجلس الرابع: القرابة هم سفينة النجاة

ص ١١١ـ١٥٦

المجلس الخامس:

تأكيد علماء العامّة على لزوم مودّة أهل البيت عليهم السلام

ص ١٥٩ ـ ١٨٠

المجلس السادس: لزوم مودّة القربى وفرضها في القرآن والسنّة

ص ١٨٣ ـ ١٩٨

المجلس السابع:

علّة جعل القرآن مودّة القربى كأجرٍ على الرسالة

ص ٢٠١ ـ ٢٢٨

المجلس الثامن:

أوّل القرابين السيّدة الزهراء عليها السلام وابنها المحسن

ص ٢٣١ ـ ٢٧٠

❊ ❊ ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين

والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين

واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين

من الآن إلى قيام يوم الدين

وبعد، يسرّنا أن نقدّم إلى القارئ العربي كتابًا جديدًا من كتب العارف الكامل حضرة آية الله العظمى الحاج السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهراني قدس الله نفسه الزكيّة، ويأتي هذا الكتاب «رسالة المودة» ضمن جملة الكتب المخطوطة والكنوز الموروثة التي لم تُطبع في حياة المؤلف، والتي ترى النور تباعًا بعد وفاته رضوان الله عليه.

تعمل هذه الرسالة النيّرة على بيان أهميّة مودّة ذوي القربى بشكلٍ قاطعٍ وبالبراهين الساطعة وضرورة اتبّاع أهل بيت النبوّة والعودة الى وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله في التمسك بالثقلين: كتاب الله والعترة الطاهرة، واللذان هما سبب نجاة المسلمين وتكاملهم، و قد أكّد القرآن الكريم على لزوم مودة

ومحبة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله بقوله تعالى ﴿**قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ**﴾.

لقد بحث سماحة المؤلف الراحل في هذا الكتاب تفسير آية المودّة وحقيقة ذوي القربى، ودور محبتهم في السلوك إلى الله عزّ وجلّ ولزوم موّدة أهل البيت عليهم السلام وفرضها في القرآن والسنّة؛ كما تعرّض فيه لبعض الأحداث التي حصلت بعد ارتحال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حتّى شهادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سلام الله عليها.

ولأهميّة هذه المطالب القيّمة، قام فريق لجنة ترجمة وتحقيق «**دورة علوم ومباني الإسلام والتشيّع**» بتعريب هذا الكتاب والعمل على نشره ليستفيد منه الإخوة المؤمنون ويستنيروا ببركات الأنفاس الطاهرة والزكيّة لكلمات المرحوم العلامة رضوان الله عليه وبياناته.

وهنا نودّ أن نلفت عناية القارئ الكريم إلى بعض الملاحظات والتنبيهات حول عملنا في تحقيق هذا الكتاب:

أوّلًا: إنّ أصل هذه الرسالة الشريفة مع هوامشها، وكذلك المقدّمة التي تفضّل بكتابتها نجل العلّامة سماحة آية الله السيّد محمّد محسن الطهراني حفظه الله إنما هي باللغة الفارسيّة، وقد قامت اللجنة بنقلها جميعاً إلى اللغة العربيّة.

ثانيًا: إنّ جميع العناوين ـ بلا استثناء ـ الواردة في متن الكتاب قد وضعت من قبل اللجنة وليست من قبل المؤلّف قدّس سرّه.

ثالثًا: إنّ أغلب التعليقات والمصادر والتخريجات الواردة في الهوامش هي من قبل المؤلّف قدّس سرّه، وقد اقتصر عمل اللجنة فيها على ما يلي:

١) التأكّد من صحّة التخريجات، وتصحيح بعض الأخطاء الطفيفة إن وجدت، وقد وضعت التصحيحات بين معقوفتين هكذا: [...] .

٢) ذكر الطبعة القديمة التي خرّج على أساسها المؤلّف قدّس سرّه إن وجدناها، وأضفنا اليها الطبعة المشهورة في هذه الأزمنة، وقد وضعنا ذلك بين معقوفتين.

٣) تمّ تخريج وتحقيق بعض المواطن التي لم يخرّجها سماحة العلامة قدّس سرّه، وقد أشرنا إليها بعلامة: (م) .

٤) تم حذف بعض الهوامش التوضيحيّة التي أوردها المؤلّف قدّس سرّه لشرح بعض المفردات العربية، وذلك باعتبارها ليست من المواطن التي تخفى على القارئ العربي، من قبيل شرح معنى كلمة «رُكبة»، فاقتضى التنبيه.

رابعًـا: لقـد أوصى المؤلّـف قـدّس سرّه في آخـر الكتـاب (راجـع: ص ٢٧٥)، بإيراد بعـض العبـارات والآيـات والروايـات مـن كتـابي «الفصول المهمّة» و«الكلمة الغرّاء» لآية الله السيّد عبد الحسـين شرف الـدين قـدّس سرّه، ولـذا فقـد قامـت اللجنـة بإيرادهـا في الهـامش في المواطن التي تتناسب معها من الكتاب، وقد وضعت بين معقوفتين.

خامسًا: لقد تعرّض المؤلّف قدّس سرّه لبعض المواطن التي وردت في هذا الكتاب بالبحـث والتحقيـق بنحـو أكثـر تفصـيلًا في بعـض كتبـه ومؤلّفاته الأخرى، وقد أشرنا في الهامش إلى تلك المواطن، مع وضـع علامة (م) للإشارة إلى أنّها من اللجنة.

سادسًا: أورد المؤلّف قدّس سرّه بعض عبارات الاحترام فـيما يتعلّـق ببعض الأعلام من قبيل: (حفظه الله)، وقد آثرت اللجنة الإبقاء عليهـا كما هي حتّى مع كون ذلك العلم قد انتقل إلى جوار ربّه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

لجنة ترجمة وتحقيق

«دورة علوم ومباني الإسلام والتشيّع»

المقدمة

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

الحمدُ للّه ربِّ العالَمين

والصلاةُ على أفضل المرسلين محمّدٍ وآلِه الطّاهرين

واللعنةُ على أعدائِهم أجمعين

إن كتاب «رسالة المودّة» الذي بين يدي القارئ المحترم هو حاصل بنان العلاّمة السيّد محمد حسين الحسيني الطهراني ـ أفاض اللّه علينا من بركات آثاره وأنفاسه القدسيّة ـ وقلمه المعجز، والتي صنّفها في بيان وتفسير آية المودّة الشريفة: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1]، ولزوم محبّة ومتابعة أهل بيت العصمة والاتصال الوثيق والتوجّه الكامل والتعلّق التامّ بولايتهم عليهم السلام ، وعدّهم بمثابة المحور الذي يدور على أساسه جميع وجود الإنسان وحياته وأعماق قلبه وعقله ونفسه.

(١) سورة الشورى (٤٢)، الآية ٢٣.

وقد عرض قدّس سرّه هذه المطالب من خلال عدّة محـاضرات ألقاهـا في أيّام الجمعة عام ١٣٩١ هـ في مسجد القائم في طهران، وجاء طرحها في ظـرفٍ كان بعض المحاضرين والكتّاب يؤكّدون في محاضراتهم وكتابـاتهم عـلى عـدم لزوم الاعتصام بحبل اللَه الممدود، يعني الذوات المقدّسة للمعصومين عليهم السلام، وكان يصـرّ هؤلاء على هـذا الأمـر، ويتخيّلـون أنّ القيـام بالتكـاليف والأحكام الظاهريّة من دون توجّه النفس وتعلّقهـا بمبـدئها ومصـدرها كـافٍ ووافٍ بالغرض. وسعياً نحو هـدفهم وغـايتهم في تحقيـق الوحـدة بـين السـنّة والشيعة كان يؤكّدون على أنّ الالتزام بالولاية وانعقاد القلب بحقيقة الـذوات المقدّسة يمثّل حائلاً أمام تحقّق الدين.

إنّ عقيدة هذه المجموعة مبتنية على أنّ الهدف وراء إرسال الرسل وإنزال الكتب، هو تشريع التكاليف والأحكام التي توصل البشـر إلى مرتبة الاعتـدال خلال انقضاء الحياة الدنيويّة من جهة بقاء العلاقات الاجتماعيّة والإبقاء عليها، وهم لا يرون أنّ الشريعة قد أخذت على عاتقها أيّ تعهدٍ أو تكليفٍ آخر سوى ذلك، وبالتالي ليس من المهم من يكون الواسطة في ذلك، بل يمكـن أن يكـون أيّ شخصٍ، وأن يكون الطريق أيّ طريق، فالمهم هو نفس الدساتير والأحكام وفقط، وهـذه هـي النقطـة المهمّـة والأساسـيّة التـي ابتنـت عليهـا توهّمـاتهم وتخيّلاتهم، وهي التي أبعدت العديد من صحابة رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله

بعد ارتحاله عن المحور الأصلي للديانة والشريعة نحو وجهة أخرى وطريق آخر.

وقد صرّح رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله وسلّم مرّاتٍ عديدةٍ بما يخالف زعم وتوهّم هذا النوع من الأفراد مؤكّداً على اقتران هذين الأصلين، أيّ القرآن والعترة ومعيّتهما معاً، فقال: «**إنّي تاركٌ فِيكُمُ الثقلينِ كِتابَ اللَه وَعِتْرَتِي أهْلَ بَيْتِي لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عليّ الحَوض**»[١].

وخلافاً لحدس وظنّ هذا النوع من الأفراد فإنّ محوريّة الالتزام بالأحكام والتكاليف تدور حول العقد القلبي واعتقاد النفس بحضور الولاية والإحاطة العلميّة والعينيّة لحضرات المعصومين عليهم السلام على الزوايا الوجوديّة للأفراد وعلى أفعالهم وتصرّفاتهم الشخصيّة، وبدون الالتفات إلى هذه النقطة يتحوّل الإنسان إلى تمثالٍ متحجّر وجامدٍ منزوع الروح، بحيث لا يترتّب أيّ أثرٍ على أفعاله وتصرّفاته وكلماته حتّى لو كانت جميلة وممدوحة بحسب الظاهر.

هؤلاء الأفراد غفلوا عن هذه النقطة؛ وهي أنّ الدين لم يأتِ من أجل توفير الرفاهيّة الاجتماعيّة والأمان الوظيفي فقط أو من أجل حفظ النفس والمال

---

(١) ***عيون أخبار الرضا***، ج ٢، ص ٦٢؛ ولمزيدٍ من الاطلاع على موضوع عدم افتراق الثقلين ومعيّة أمير المؤمنين عليه السلام مع القرآن، راجع: ***معرفة الإمام***، ج ٢، ص ١٤٧.

والأعراض وحراستها وحسب، بل إنّ تنظيمه لهذه الأمور وتدخّله في القضايا والحوادث والأمور الاجتماعيّة كان بعنوانها مقدّمةً وإعداداً للأرضيّة المناسبة من أجل تربيّة النفس وتزكية القلب والصعود إلى مراتب القرب الربوبي والتجرّد والتوحيد، وهذا الهدف وهذه الغاية لا يمكن تحقيقها إلّا بالالتجاء إلى عتبة أصحاب الولاية والإمامة.

ومن هنا فإنّ الاختلاف بين الثقافة الشيعيّة والثقافة السنيّة ـ حتّى مع فرض صحّة التكاليف واستقامة الأحكام ـ هو أنّه في الثقافة الشيعيّة لا تتمّ حركة النفس من عوالم الكثرة والشهوات نحو عوالم التوحيد ومعرفة الحقّ إلّا بواسطة الاتصال القلبي وتوجّه الإنسان نحو ولاية المعصومين عليهم السلام، والإنسان يصبح مصوناً ومحفوظاً من كلّ آفة وبلاء ومن كلّ مانع عبر الاستمداد من النفوس القدسيّة لحضرات المعصومين عليهم السلام، أمّا في الثقافة السنّية فالتركيز منصبٌّ على القيام الصِرف بالتكاليف وتأديتها من دون الالتفات إلى المنبع والمصدر، فهم يعتقدون أنّ ليس هناك اختلاف بين أهل بيت النبيّ وبين سائر الصحابة من كلّ الطبقات والأصناف، وكما ينظرون إلى الآخرين من منظار كونهم ناقلين للأحاديث وطارحين للأسئلة، فكذلك هي نظرتهم تجاه أهل بيت الرسول، بل كثيراً ما قدّموا ورجّحوا الآخرين عليهم في موضوع الحكومة والخلافة وكذلك في مقام الإفتاء.

وللتأكيد على هذه المسألة المحوريّة والأساسيّة، قـال اللّه تعـالى في كتابـه العزيز: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1].

والآن حتّى لو تعدّينا الانحراف العظيم والاعوجاج الكبير الذي نجم عن إقصاء أهل بيت النبيّ والرجوع إلى سائر الأفراد والذي أدّى إلى ألـف إشـكال وإيراد حتّى في المسائل الدنيويّة والعاديّة أيضًا، لكنّنا للأسف نجـد أنّ الغفلـة عن هذه المسألة الحسّاسة أدى ببعض المبلّغين والمحاضرين لكي ينحو نحـو نظرة أهل السنّة، ليعتبروا أنّ العناية بأهم أصل من أصول الـدين يخـلّ بـاجتماع المسلمين ووحدتهم، لتصبح محاضراتهم وكتاباتهم أسيرة لهذا الفكر المنحرف والمعوجّ.

كان المرحوم الوالد المعظّم روحي فداه ـ وهو الذي ينبغي أن يعـدّ حقّـاً وحقيقةً الناطق باسم مدرسـة أهـل البيـت سـلام اللّه علـيهم ـ يؤكّـد دائـماً في خطاباته وكتاباته على الولاية وأهميّتها، وكان يميّز السبيل الصحيح من الخاطئ، ويرشد إلى طريق الفلاح بدلاً من طريق الضلال، وكان يهدي ويرشـد الجميـع نحو المقصد والغاية التي كان أولياء الدين قد وصلوا إليها وفازوا بها.

إنّ مسألة موالاة أهل بيت العصـمة واتّبـاعهم مـن دون أيّ قيـد أو شرط ـ بالنحو الذي لا يُمكن معه حتّى تصوّر جواز التوقّف والتأمّل في مقابل إرادتهم

(١) سورة الشورى (٤٢)، الآية ٢٣.

ومشيئتهم ـ تُعدّ من أهمّ التعاليم الأساسيّة التي تتميّز بها الثقافة الشيعيّة ومدرسة الحقّ، كما قال رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله وسلّم: **«ما نُودِيَ بشيء مثلَ ما نُودِيَ بالوَلاية»**[1].

فما دام الإنسان المسلم لم يتوصّل من وجهة نظره الدينيّة والعقائديّة إلى هذه المسألة، ولم يُحكِّم ولاية المعصوم عليه السلام على جميع أرجاء وجوده، فلن يتمكّن أبداً من الظفر بالهدف المنشود، وسيرحل عن هذه الدنيا ناقصاً كالثمرة الفجّة التي لم تنضج بعد.

فالرسالة التي كُلّف رسول اللَه بتبليغها في يوم الغدير ليست هي التعريف بمن يُجيب الناس عن الأحكام الفقهيّة، ولا تتعلّق بتعيين حاكمٍ عادلٍ لهم؛ لأنّه وعلى الرغم من أنّ معرفة المسائل والأحكام الفقهيّة والاطّلاع على التكاليف الشرعيّة تتمتّع بأهميّة ومرتبة قصوى، لكنّها لا تلعب دوراً أساسيّاً وفريداً في

---

(١) وردت مصادر هذه الرواية الشريفة في (***رسالة السير والسلوك المنسوبة لبحر العلوم***، ص ٩٢، الهامش) بالشكل الآتي: «روي في أُصول الكافي، ج ٢، ص ١٨ عن الفضيل، عن أبي حمزة؛ وفي المحاسن للبرقي، ج ١، الحديث رقم ٤١٩، ص ٢٨٦، عن ابن محبوب عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال:**بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: عَلَى الصَّلاَةِ وَ الزَّكَاةِ وَ الصَّوْمِ وَ الحَجِّ وَ الوَلاَيَةِ، وَ مَا نُودِيَ بِشَيْءٍ** (وَ لَمْ يُنَادَ بِشَيْءٍ) **كَمَا نُودِيَ بِالوَلاَيَةِ.**

ووردت أيضاً في ***«أُصول الكافي»***، ج ٢، ص ١٨ و ١٩ و ٢١؛ و في ***«المحاسن»*** ج ١، ص ٢٨٦ عدّة روايات بهذا المضمون بسلسلة أُخرى للرواة، عن أبي عبد اللَه و أبي جعفر عليهما السلام».

تحديد مصير الإنسان وسعادته. فقد يُخطئ الإنسان في مقام العمل بالتكاليف ويكون ـ مع ذلك ـ مشمولاً بعفو اللَه تعالى ورحمته ومغفرته، وقد يحصل اختلاف بين مجتهدَيْن في الفتوى، فيكون ـ في هذه الحالة ـ أحد الحُكمين مخالفاً قطعاً لكتاب اللَه وما أنزله سبحانه وتعالى، لكنّنا نجد أنّ الشارع المقدّس يخطّ بقلم العفو على خطأ الناس ويعدّ عملهم ذلك ـ وفق الفتوى الخاطئة ـ حائزاً على قبوله ورضاه، كما حُقّق في محلّه.

والشيء نفسه يُقال بالنسبة للحكومة العادلة والحاكم العادل، فعلى الرغم من أنّ العدالة التي تقوم على أساس حكومة الأولياء المعصومين عليهم السلام ـ وتُجرى بواسطة هذه الحكومة ـ تختلف اختلافاً فاحشاً عن العدالة المتعارفة والمتداولة، لكن يبقى أنّه من الممكن ـ إلى حدّ ما ـ تحقيق الأمن والعدل وإقامة القسط ومنح الناس حقّهم في الحريّة وتهيئة الأرضيّة المناسبة لرشدهم وتكاملهم بواسطة الحاكم العادل والمنصف[1]، الأمر الذي نلحظ وجود العديد من الشواهد عليه عبر التاريخ.

لقد تمحورت رسالة النبيّ في يوم الغدير حول التعريف بطريق الوصول إلى مرتبة الفعليّة والتجرّد التامّ والتوحيد المطلق واللامتناهي، والورود إلى حرم القدس الإلهي بواسطة التسليم والانقياد والخضوع والعبوديّة في مقابل حقيقة

(١) تمّ التعرّض لبيان هذه المسألة في الجزء الثالث من كتاب «***أسرار الملكوت***».

الولاية. وأمّا مسألة بيان الأحكام والتكاليف وإدارة المجتمع الحكومة الحقّة، فلها مكانتها الخاصّة بها. إنّ المُسلِم من دون ولاية، عبارةٌ عن إنسانٍ آليٍّ لا تترتّب على أعماله وتصرّفاته أيّ أثر وأيّة نتيجة مرجوّة.

فحقيقة الدين، عبارة عن لبّ الدين وروحه، وهي التي تُمكّن النفس ـ عن طريق التحقّق بها ـ من العروج من مرتبة الحيوانيّة إلى مراتب التجرّد، ولولاها، فإنّ النفس تظلّ في المرتبة نفسها على الرغم من تمسّكها في الظاهر بالإسلام وعملها بالأحكام والتكاليف الظاهريّة.

إنّ هذه الحقيقة هي عبارة عن النفس الملكوتيّة للمعصوم عليه السلام التي تُتيح لروح الإنسان ـ من خلال الاتّصال بهذه النفس القدسيّة ـ الحركةَ والعروج. ولهذا، يقول العظماء: إنّ الوصول إلى مرتبة التوحيد ومعرفة اللهَ مُحالٌ بدون الاتّصال بالولاية وتربية النفس تحت إشراف صاحب الولاية[1]؛ وهذا نظير ما ورد في الأشعار المنسوبة إلى حضرة الشيخ الأجلّ محيي الدين بن عربي:

رَأيتُ وَلائي آل طَه وَسيلَةً — عَلى رَغْمِ أهْلَ البُعْدِ يُورِثُنِي القُرْبَى

فَمَا طَلَبَ المَبْعُوثُ أجْراً على الهُدَى — بِتَبْلِيغِهِ إلّا المَوَدَّةَ في القُرْبى[2]

(١) ***معرفة المعاد***، ج ٥، ص ٧٨.

(٢) للاطّلاع على كيفيّة انتساب هذه الأشعار إلى الشيخ محيي الدين، راجع: ***الروح المجرّد***، ص ٣٢٩؛ و ص ٤٢٩ و ٤٣٠، التعليقتان ١ و ٢ في الهامش.

ويقول ابن الفارض المصري:

ذَهَبَ الْعُمْـرُ ضِـياعاً و انْقَــضى بَـاطِلًا إذْ لَمْ أفُـزْ مِـنْكُمْ بِشـــيْ
غَيْرَ مَا أوليتُ مِـنْ عَقْــدِي وَلا عِتْرَةِ الْمَبْعُوثِ حقّاً مِن قُـصَي[١]

وعليه، فإنّ الطريق الوحيد للرقيّ في مدارج الكمال ينحصر بشكلٍ فريد في الانقيـاد التـامّ والخـالي مـن أيّ قيـدٍ وشرطٍ أمـام السـاحة المقدّسـة للأوليـاء المعصومين عليهم السلام، والتي يُمثّلها في زماننـا هـذا قطـبُ عـالم الإمكـان وحبل اللَه الممدود بينه وبين خلقه أجمعين حضرة بقيّة اللَه الحجّـة بـن الحسـن المهدي ـ أرواحُنا لِتُراب مَقدَمِه الفداء ـ بحيث لا ينبغي وضع أيّ شخص آخر ـ بأيّ نحوٍ كان ـ في مصافّ هذا العظيم ومنزلته، بل يجب الخضوع ووضع طوق العبوديّة في العنق له وحده فقط، وجعل جميع الخطوات في سبيل تحصـيل رضـا وابتهاج نفسه المقدّسة، وعدم التفريط في أيّـة فرصـة تُمكّـن مـن معرفتـه حـقّ المعرفة، وعدم الغفلة عن أيّ عمل يُتيح الوصول إلى حريم الولاية، كما جاء في حديث الإمام الهادي عليه السلام ليزيد بن سليط أنّ الإمام المعصوم لا يعرفه إلّا اللَه تعالى[٢]، وكما ورد عن عظماء أهل المعرفـة والبصـيرة أنّهـم قـالوا بـأنّ:

---

(١) ***ديوان ابن الفارض***، ص ٢١٩ ؛ من قصيدته اليائيّة التي مطلعها: سائقُ الأظعان يطوي البيد طيْ.

(٢) ***الكافي***، ج ١، ص ٣١٤.

الولاية هي عين حقيقة التوحيد، وحقيقة التوحيد هي أيضًا عين الولاية.[١]

ومن هنا، فإنّنا نصل إلى فهم السبب والعلّة في مخاطبة الحقّ تعالى للرسول الأكرم في يوم الغدير بقوله: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[٢]، إذ إنّ الإسلام بدون ولاية هو عبارة عن لا شيء ويساوي صفراً! غير أنّ الوصول إلى هذه المرحلة لا يتيسّر إلّا بالانخراط في السلوك إلى الله والتربية والتزكية السلوكيّة تحت إشراف عارفٍ كاملٍ وسالكٍ واصلٍ وبمعونته؛ وهو نفس ما قاله المرحوم العلاّمة الطباطبائي رحمة الله عليه ـ مرّات ومرّات ـ لتلامذته ومحبّيه الأوفياء له. فبيان حقيقة الولاية وطريق الوصول منحصر بيد العارف الواصل وحسب، وكلّ من يتحدّث ـ غيره ـ حول تعريف وبيان الولاية وإمامة الإمام عليه السلام، فحديثه هو من باب الرجم بالغيب، وحالُه حالُ من يصف النار وهو بعيد عنها من دون أن يكون له أدنى اطّلاع على الآفاق العالية والعوالم القدسيّة. ومن هنا، ينبغي على الإنسان أن يُصغي في هذا المجال لكلام وتفسير وكلمات أولياء الله فقط، ويجعل من المطالب الصادرة عنهم موضعاً للتحقيق والتتبّع بكلّ دقّة وتأمّل.

ويُعدّ المرحوم العلاّمة آية الله السيّد محمد الحسين الحسيني الطهراني

---

(١) ***معرفة الإمام***، ج ٥، ص ١٢٧ و ١٢٨.

(٢) سورة المائدة (٥)، مقطع من الآية ٦٧.

ـ أفاض اللَه علينا من بركات أنفاسه القدسيّة ـ من زمـرة نـوادر أهـل المعرفـة والتوحيد والولاية، والذي فـاق الجميـع في مقـام الإحاطـة بـالعلوم الرسـميّة والفنون المتداولة والمتعارفة، كما فاقهم أيضًا في مقام التزكية وكشف الحقـائق الربوبيّة والسبحات الإلهيّة الجماليّة والجلاليّة، ليصل إلى أقـصى مراتـب التجـرّد والتوحيد والولاية، بحيث لن نُبالغ إذا قلنا عنـه أنّـه كـان الفـارس الوحيـد في ميدان المعرفة والتوحيد والولاية.

لقد بلغت مراتبه في الإخلاص والاتّصال بصاحب الولاية الكـبرى حـدّاً كبيراً إلى درجة أنّ هذا الحقير لم يجد إلى الآن من وصل إلى مقدار وميزان اطّلاعه وإشرافه على أحوال وشؤون العلماء باللَه والعرفاء الإلهيّين.

وقد سألته في أحد الأيّام قائلاً: يا سيّدي العزيز، ما هو أفضل كتاب ألّفتَه؟

فقال: كتاب «**لمعات الحسين**»؛ لأنّه يتضمّن كلمات الإمـام عليـه السـلام وحسب. وبعد تأمّل قليل، قال: وبعد هذا الكتاب، يُعدّ كتاب «**معرفة الإمـام**» أفضل تأليفاتي.

وقد قال هذ الحقير بعد مطالعته لهذا الكتاب الشريـف[1]: إنّ الـذي يريـد ويطلب الوصول إلى مراتب المعرفة والتوحيد والولاية لن يتيسّر له ذلك أبـداً بدون قراءة هذا الكتاب والتأمّل التامّ فيه.

---

(١) أي كتاب «**معرفة الإمام**». (م)

ويُعدّ الكتاب الحاضر جزءاً من المواضيع والمباحث التي طرحها ذلك الرجل الشامخ في سبيل تثبيت وإثبات المدرسة الحقّة والشريعة الغرّاء، وهو بنفسه يمثّل شاهداً على حقيقة الحال وصدق المقال ممّا ادعيناه.

نبتهل إلى العليّ المتعال داعين للروح المتعالية والقدّوسيّة لذلك الفقيد السعيد بعلوِّ الدرجات، والاستغراق في بحار التجلّيات الربوبيّة، والتنعّم بجميع مواهب أصحاب ومتولّي الولاية المطلقة وفيوضاتهم.

ونسأله عزّ وجلّ لجميع أصحاب القلوب المولعة والأفئدة المتعطّشة والطالبين لهذا المنهج القويم أن يوفّقهم لاتّباع المباني الرصينة والمتينة لمدرسة التوحيد والعرفان، بمحمّدٍ وآله الطاهرين والسّلام على جميع عباد اللَه الصالحين.

٢٦ رجب ١٤٣٤هـ قم المقدّسة

وأنا الرّاجي عفوَ ربِّه

السيِّد محمّد محسن الحسيني الطهراني

خطبة الكتاب

هو العزيز

تفسير آيهٔ مودّة :

قل لا أسئلكم عليه أجراً الّا المودّة في القربى

و

نخستين قربانى

حضرت زهرا سلام الله عليها فرزندش محسن

اللهمّ يا من خصّ محمّداً وآله بالكرامة وحباهم بالرسالة وخصّصهم بالوسيلة وجعلهم ورثة الأنبياء وختم بهم الأوصياء والأئمّة وعلّمهم علم ما كان وما يكون وجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم صلّ على محمّد وآل محمّد وافعل بنا ما أنت أهله في الدين والدنيا والآخرة إنّك على كلّ شيء قدير

از حضرت سيّد ساجدين علىّ بن الحسين عليه السلام

در ملحقات صحيفهٔ سجّاديّه

(الصفحة الأولى كما وردت بخطّ العلامة الطهراني قدّس سرّه)

خطبة الكتاب

ترجمة الصفحة الأولى:

هو العزيز

تفسير آية المودّة:

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾

و

القربان الأوّل

«السيّدة الزهراء سلام اللّه عليها وابنها المحسن»

اللهمَّ يا من خصَّ محمّداً وآله بالكَرامة، وحباهم بالرسالة، وخصّصهم بالوَسيلة وجَعَلهُم وَرَثَةَ الأَنبياء، وختم بهم الأوصياءَ والأئمّة، وعلَّمهم عِلمَ ما كانَ وما يكون، وجعل أفئدةً من الناسِ تَهْوي إليهم، صلِّ على محمّد وآل محمّد وافعل بنا ما أنتَ أهْلُهُ في الدين والدنيا والآخرة، إنّك على كلّ شيءٍ قدير

عن الإمام سيّد الساجدين بن الحسين عليه السلام

في ملحقات الصحيفة السجّاديّة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلّ على محمد وآله الطاهرين الغرّ الميامين الأئمة الهداة المعصومين

والعن أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين اللهم العن أول ظالم

ظلم حق محمد وآل محمد وآخر تابع له على ذلك اللهم العن الذين بدّلوا

دينك وغيّروا سنّة نبيك واضطهدوا آل محمد ولم يحفظوه في ولده

وقهروا شيعته وشيعة علي أمير المؤمنين صهره وأخيه وابن عمه ووصيه

ووزيره وخليفته اللهم العنهم لعناً وبيلاً وعذّبهم عذاباً شديداً

اللهم اشهد بأنّا نبرأ منهم كما أن رسولك وأوصياءه ومواليهم

يبرؤون منهم إلى يوم يقوم الأشهاد هنالك تبلوا كلّ نفس ما أسلفت

وردّوا إلى الله مولاهم الحق

(خطبة الكتاب كما وردت بخطّ العلامة الطهراني قدّس سرّه)

بسم الله الرّحمن الرّحيم

اللهمَّ صلِّ على محمد وآله الطاهرين، الغرّ الميـامين، الأئمّـة الهداة المعصومين، والعن أوّل أعداءهم أجمعين مـن الآن إلى قيام يوم الدين. اللهم العن أوّل ظالمٍ ظلم حقَّ محمّدٍ وآل محمّدٍ وآخر تابعٍ له على ذلك. اللهم العن الذين بدّلوا دينك وغـيّروا سنّة نبيّك واضـطهدوا آل محمّـدٍ و لم يحفظـوه في وُلـده وقهـروا شيعته وشيعة عليٍّ أمير المؤمنين صهره وأخيه وابن عمّه ووصيّه ووزيره وخليفته. اللهم اشهد بأنّنا بُراءٌ منهم كما أنّ رسـولك وأوصياءَه ومواليهم بريؤون منهم إلى يوم يقوم الأشهاد ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾[1] .

* * *

(١) سورة يونس (١٠)، مقطع من الآية ٣٠.

المجلس الأوّل

(خلاصة موعظة يوم الجمعة ١٧ ربيع الأوّل ١٣٩١هـ)

مسجد القائم في طهران

محبّة ذوي القربى

ودورها في السلوك إلى الله

أعوذُ بِاللّه مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم

بِسْمِ اللّه الرَّحْمَنِ الرَّحيم

وَصَلَّى اللّه عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطيِّبِينَ الطَّاهِرين

وَلَعنَةُ اللّه عَلَى أعْدائِهِمْ أجْمَعين مِنَ الآنَ إلَى قِيامِ يَوْمِ الدّين

وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلّا بِاللّه العَلِيِّ العَظيم

قال اللّه الحكيم في كتابه الكريم:

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[١].

سيرة أنبياء اللّه في عدم طلب الأجر وفلسفة ذلك[٢]

لا شكّ في أنّ أيّاً من أنبياء اللّه ورسله ممّن اختارتهم ساحة ربوبيّته المقدّسة لم يطلِب من قومه أجراً أو مكافأة، ولم يرد منهم مالاً أو جاهاً، كما لم يحتفظ لنفسه بأيّ حقّ من حقوق الناس، ولا سخّر لخدمته واحداً منهم.

---

(١) سورة الشورى (٤٢)، الآية ٢٣.

(٢) نلفت عناية القارئ الكريم إلى أنّ جميع العناوين ـ بلا استثناء ـ الواردة في متن الكتاب قد وُضعت من قبل لجنة ترجمة وتحقيق «**دورة علوم ومباني الإسلام والتشيّع**».

وقد تعرّض القرآن المجيد إلى جواب هؤلاء الأنبياء العظام لأقوامهم في خمسة مواضع من سورة الشعراء في الآيات ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤ و ١٨٠، التي تتطرّق لسيرة كلّ من نوح ولوط وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، وكان جواب كلّ منهم على نفس الجواب: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

نعم، كان الحقّ والصواب بالنسبة للأنبياء أن لا يبتغوا من قومهم أو غيرهم أجراً، وألّا يطلبوا منهم جزاءً؛ لأنّ أجر كلّ إنسان في ذمّة من استأجره واستخدمه. ولا يخفى أنّ الرسل إنّما جاؤوا من قِبل الله تعالى، حيث كانت دعوتهم مبتنيةً على الوحي والاتّصال بعالم الغيب، لذلك كان أجرهم على من بعثهم وأمرهم، فأجرهم على الله تعالى.

وتجدر الإشارة إلى أنّ بالإمكان عدّ هذه الحقيقة دليلاً على صحّة النبوّة وصدق ادّعائها، إذ من يتسلّط على الناس من قبل غير الله تعالى، فهو لا يقوم بذلك إلّا في سبيل هدف أو غاية شاء ذلك أم أبى، وسيكون نفس هذا الهدف هو أجره، وتلك الغاية هي جزاؤه. وبما أنّ هذا المدّعي للنبوّة لم يصل إلى مقام التوحيد بحسب الفرض فيما لو كان كاذباً، وبما أنّ دوافعه ليست إلهيّة، فمهما

(١) سورة الشعراء (٢٦)، الآيات ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤ و ١٨٠.

يكن قصده وهدفه عالياً، فسوف لن يخلو من الشوائب النفسانيّة، ورغم عدم تعلّق هذا الهدف بالمال والنساء والأولاد، إلّا أنّه لا يخلو من حبّ الجاه وسائر الدواعي الخفيّة. فنفس التمتّع بوزن اجتماعيّ أو شعبيّة ومكانة تخوّله للأمر والنهي وكذلك ما يراه في نفسه من ضرورة انصياع الآخرين له لهو أكبر هدف ومبتغى يُسعى إليه.

وعليه فإنّ الأنبياء وحدهم هم الذين يعملون مخلصين لوجه الله؛ وذلك لارتفاع الحجاب عن قلوبهم، واطّلاعهم على أسرار العالم، وحصولهم على سرّ الموت والحياة والتكامل، ووفودهم إلى الوطن الحقيقيّ من خلال طيّ عوالم السلوك ومنازله، ومن ثمّ التحاقهم بالأبديّة، ولارتباط أرواحهم بإلههم ووصولهم لمقام المناجاة، بحيث لم يرتضوا أيّ أجر مقابل المحن والابتلاءات التي تحمّلوها في طريق تبليغ الشريعة وهداية الناس، بل انحصر أجرهم في رضى الله تعالى وأداء التكليف وهداية الناس لا غير.

ومن هذا المنطلق وبنفس هذه الروحيّة، يلتحق **حبيب النجّار** ـ الذي كان يقطن في أقصى نقطة من مدينة أنطاكية ـ بمبعوثَي نبيّ الله عيسى عليه السلام من أجل مساندتهما، ويخاطب الناس في مقام المحاججة والمجادلة قائلاً:

﴿ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾.[1]

(١) سورة يس (٣٦)، الآية ٢١.

فنجد هنا أنّ هذا الرجل العظيم ذا الضمير الحيّ قد اعتبر أنّ أحد الركنين اللذين يتميّز بهما الحكّام والقادة إنّما يتجلّى في عدم ابتغائهم الأجر والثواب، والركن الآخر هو امتلاكهم للبصيرة ووصولهم إلى مقام الإنسانيّة ومعرفة الباري عزّ وجلّ واهتدائهم إليه. وقد أمضى القرآن المجيد هذا الكلام، ولم يأت بأيّ طعن عليه، فصار يعدّ بنفسه دليلاً على صحّة النبوّة.

ولو كان لنبيٍّ مّا أن يطلب أجراً لنفسه، فإنّه سيفقد في مقابل ذلك الحريّة في التبليغ، ولن يمتلك الجرأة على التبليغ القويّ أمام من أخذ منهم الأجر، شاء ذلك أم أبى؛ إذ إنّ الحياء والخجل سيعتريان الواقع تحت إحسان الغير، فيذلاّنه ويحقّرانه، وبالتالي يقلّلان من حزمه في التبليغ. ولهذا يقول نبيّ الله نوح لقومه: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾.[1]

ففي هذه الحالة، من شاء أن يقبل بالدعوة فليقبل، ومن لم يشأ فهو حرّ؛ فلن يعتريَ الرسولَ أيّ حياء أو خجل أمام المتمرّدين، ولن يرى نفسه أسيراً لإحسانهم، وسيوبّخهم ويعاتبهم بشدّة.

التزام الرسول الأكرم بعدم طلب الأجر

وبدوره لم يُستثن الرسول الأكرم محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله مِن هذا الحكم الكليّ، ولم يكن ليلتمس من الناس أيّ أجر؛ ففي سورة الأنعام التي تعرّضت

(١) سورة يونس (١٠)، صدر الآية ٧٢.

لبيان حديثه صلّى اللّه عليه وآله مع قومه، يأمره اللّه تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

وعليه فالرسول الأعظم لم يأت ليثقل كاهل الناس ويوقعَهم في المشقّة، ويذهبَ بحاصل أعمالهم وثمرات جهودهم، فيستفيد منها لحسابه الخاصّ، كثمن وأجرة على الدعوة النبويّة؛ ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾[2].

ويخاطب اللّه المشركين والمتمرّدين موبّخاً لهم في موضعين من القرآن: أوّلهما في سورة الطور، والثاني في سورة القلم، فيعاتبهم بشدّة على رفضهم دعوة الرسول صلّى اللّه عليه وآله قائلاً عزّ من قائل: ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ﴾[3].

فلماذا يمتنع هؤلاء المتمرّدون عن القبول بدعوتك، أفهل رُمتَ منهم أجراً كي يشعروا بهذا الثقل جرّاء أدائه؟!

هل طلب الرسول الأجر في آية المودّة؟

غير أنّنا نلحظ في موردين آخرين من القرآن أنّ الرسول الأكرم صلّى اللّه عليه وآله يطلب من أمّته أجراً وجزاءً مقابل النبوّة ومشقّات الرسالة، وعلينا أن نبحث هذين الموردين بدقّة للإحاطة بحقيقة الأمر.

---

(١) سورة الأنعام (٦)، الآية ٩٠.

(٢) سورة ص (٣٨)، الآية ٨٦.

(٣) سورة الطور (٥٢)، الآية ٤٠، و سورة القلم (٦٨)، الآية ٤٦.

المورد الأوّل في سورة الفرقان، أعني: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾[1]. قلْ يا أيّها الرسول: أنا لا أريد منكم أجراً، وأجري هو ذلك السبيل الذي يسلكه الناس إلى ربّهم، وذلك الطريق الذي يجدونه إليه.

والمورد الثاني في سورة الشورى، أي قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.[2] قل يا أيّها الرسول: أنا لا أريد منكم أجراً إلّا قيامكم بمحبّة أقربائي ومودّتهم.

وعند التدقيق في هذين الموردين نستنتج:

أوّلًا: أنّ هذين الأمرين اللذين وقعا مورداً للاستثناء لم يكونا في الواقع منفصلين في حقيقتهما، وأنّ الاستثناءين لم يردا في الواقع على عموم قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾؛ بل إنّ حقيقتهما شيءٌ واحدٌ، غاية الأمر أنّهما تمتلك عنوانين وتعريفين اثنين. ففي الآية الأولى تمّ استثناء الاهتداء إلى الله تعالى، وفي الآية الثانية مودّة ذوي القربى.

---

(١) سورة الفرقان (٢٥)، الآية ٥٧.

(٢) سورة الشورى (٤٢)، الآية ٢٣.

ويشير هذان العنوانان إلى حقيقةٍ واحـدةٍ؛ فطريـق اللَه هـو مـودّة ذوي القـربى، ومودّة ذوي القربى هو السبيل الذي يتّخذه العبد للوصول إلى مقام التوحيد.

والنتيجة التي نخلص إليها بعد ضمّ الآيتين إحداهما إلى الأخرى هـي: يـا أيّها الرسول قل: إنّي لا أريد منكم أيّ أجر إلّا أن تتخذوا سـبيلاً إلى ربّكـم مـن خلال مودّة قرابتي.

وعليه فمن ملاحظة انحصـار اسـتثناء عمـوم الآيـة بهـذين الاسـتثناءين، وملاحظة اتّحاد هذين المعنيين، نخلص إلى أنّ مودّة ذوي القـربى هـي الطريـق الأوحد المؤدّي إلى اللَه تعالى، وأنّ هذا الطريق الأوحد المؤدّي إليه تعـالى هـو مودّة ذوي القربى فقط. بمعنى: أنّ كلّ مسلم إذا ما رامَ أن يقدّم لنبيّه أجراً، فعليه أن يسعى حثيثاً في طريق الوصول إلى مقام التوحيد والاتصاف بصـفات الحـقّ جلّ وعلا، هذا مع أنّ الوصول إلى مثل هذا المقام والاتصاف بهذه الصفات لن يحصل إلّا في ظلّ مودّة ذوي القربى فحسب.

و**ثانيًا**: أنّ هذا الاستثناء لا يتنافى مع عموم الآيات الدالّة على نفي الأجر والجزاء. وبعبارةٍ أُخرى: إنّ المستثنى منه ههنا لا يُستثنى منه شيء في الواقع، وبحسب اصطلاح أهل اللغة الاستثناء منقطع؛ لأنّ الآيات التي تدلّ على أنّ الأنبياء ـ ومنهم نبيّ الإسلام ـ لم يكونوا يبتغون أجراً وجزاءً، إنّما تريد من الأجر

والجزاء ما يتعلّق بالأنبياء ويعود عليهم. وأمّا الذي يعود على الناس من الاتّصاف بالصفات الربوبيّة والخروج من عالم البهيميّة والوصول إلى ذروة الإنسانيّة فهو مقصود كلّ نبيّ، وهدف نبيّ الإسلام أيضًا حيث يقول تعالى: **﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ * وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾**[1].

فاللَه هو الذي بعث من بين الأمّيين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته، ويعمل على ترقيتهم دائماً من خلال طريق السلوك النفسيّ، ويعلّمهم الكتاب وأسرار عالم الخلق، وقد كانوا قبل ذلك يعيشون في الضلال البيّن. ورسالته هذه لا تشمل هؤلاء وحدهم، بل تعمّ الذين لم يكونوا قد ولدوا بعد في ذلك الزمان، وسيأتون في زمان لاحق، فيقودهم إلى نفس ذلك الصراط، واللَه عزيز حكيم.

وبناءً عليه تشير هاتان الآيتان اللتان وقعتا مورداً للاستثناء إلى حقيقة مسلّمة واحدة، وهي عبارة عن العلّة الغائيّة من الرسالة والباعثة على البعثة والداعية إليها. وكذا الآية المتقدّمة من سورة الجمعة وبعض الآيات الأخر تشير إلى علّة الرسالة فقط، لا إلى شيء سواها.

---

(١) سورة الجمعة (٦٢)، الآيتين ٢ و٣.

وبذلك يتبيّن لنا: أنّ تلاوة الآيات الإلهيّة على النـاس وتعلـيمهم الكتـاب والحكمة وتزكيتهم هو الطريق نحو الله الذي سيعبر بهم إليه تعـالى مـن خـلال مودّة ذوي القربى ليصلوا في النهاية إلى مقام التوحيد. وهذا الأمر يعود بالنفع إلى نفس أمّة الرسول الأكرم، لا أنّه أجرٌ وجزاء يستفيد منه الرسول، بحيث يكـون باعثاً على نقصان ما عند الآخرين والزيادة في ماله ومآله وجاهه ومكانته. ونظير ذلك الأب الذي يقول لولَده: أنا لا أتوقّع منك أيّ جزاء أو مكافأة في قبال جميع المشقّات والمعاناة التي تحمّلتها في أيّام طفولتك وصباك وشبابك وعند تربيتي لك وتعليمك وحفظ سلامتك ودفع الأخطار والبلايا عنك، سـوى أن تكـون شخصاً سالماً مهذّباً مراعياً للنظام ومؤدّباً بالآداب.

والشاهد على هذا المعنى قوله سبحانه وتعالى في سورة سبأ مخاطباً الرسول الأكرم: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾[١].

ما العلاقة بين طريق الله و محبّة آل محمّد صلّى الله عليهم؟

وإذا عرفنا ذلك فلندخل في صلب الموضوع لنرى كيف جعـل الله تعـالى مودّة ذوي القربى نتيجة وثمرة للرسالة وأجراً عليها؟ وما هو التأثير الذي تتركه هذه المودّة في سلوك الطريق إلى الله؟ وما هي العلاقة بين طريق الله وبين محبّـة

---

(١) سورة سبأ (٣٤)، الآية ٤٧.

آل محمّد صلّى الله عليهم؟ وهـل يمكـن أن يلتـزم الإنسـان بـالبرامج العمليّـة للرسول الأكرم بشكل كامل: بأن يقيم الصلاة ويصوم ويجاهد ويحـجّ ويـؤدّي جميع التكاليف الواحد منها تلو الآخر، ولكن من دون أن تكون له مودّة بذوي القربى؟ فهل سيصل مثل هذا الشخص إلى مقام السعادة ويجد طريقه إلى ربّه؟ أم إنّ هذه الأعمال لا تثمر أبداً إلّا حينما تكون مقترنةً بمحبّة ذوي القربى ومودّتهم؟

يُستفاد من خلال ضمّ الآيتين السابقتين أنّ السلوك في سبيل الله تعبير آخر عن مودّة أهل البيت عليهم السلام، وبدون ذلك لن يتمكّن أحد من الاهتـداء إلى ربّه.

حقيقة الحبّ وآثاره السلوكيّة

وبناء على ذلك سنتعرّض إلى البحث عن سرّ هـذا الأمـر وتـأثير الحـبّ في صلاح العمل وفي السير التكامليّ للإنسان. ولتسليط الضوء على هـذه الحقيقـة نقول: إنّ الحبّ عبارة عن الجاذبيّة النفسيّة والانجذاب الروحيّ الـذي يحصـل للحبيـب نحـو محبوبـه، ويختلـف هـذا الانجـذاب بحسـب اخـتلاف الأفـراد والظروف، كما يتفاوت أيضًا من حيث تأثير المحبوب ودرجة فعاليّته على نفس المحبّ، وبمقدار ما تترك آثار جمال المحبـوب ومحاسـنه بصـماتها عـلى نفـس المحبّ ـ أيّاً ما كان هذا المحبوب: سـواءً أكـان إنسـاناً أم حيوانـاً أم جمـاداً أم

حجراً أم موجوداً آخر ـ فإنّ قوّة الانجذاب هذه في المحبّ ستكون أشدّ، وتعلّقه بالمحبوب سيكون أعظم.

ونظراً إلى أنّ صفات كلّ موجود وآثاره من اللوازم والتوابع النفسيّة والروحيّة لذلك الموجود، فإنّه وبسبب ذلك الانجذاب الروحيّ الذي يحصل للمحبّ نحو المحبوب، ستنعكس آثار المحبوب وصفاته في المحبّ إلى حدّ يصل فيه الانجذاب بين النفسين إلى المستوى الذي لا يغفل فيه أحدهما عن الآخر في حال من الأحوال. وكأنّ نفسَيهما قد امتزجتا والتحمتا وضمّت إحداهما إلى الأخرى، فصار الحبيبان متّصلين أو متّحدين إلى درجة أصبحا يمتلكان نفساً واحدة.

وفي هذه الحالة، ستتجلّى جميع آثار المحبوب وصفاته في المحبّ؛ إذ إنّ هذه الآثار بحسب ما فرضناه هي آثار المحبوب. وبناءً على علاقة المحبّة والانجذاب الروحي للمحبّ، ستصير نفس المحبوب حاكمةً على وجود المحبّ وستكون هي صاحبة الأمر والنهي عوضاً عن نفسه، وبذلك ستَحلّ آثار المحبوب وصفاته ـ تبعاً لنفسه ـ في نفس المحبّ. ويعدّ هذا الطريق أسرع طريق للاتصال بالأرواح الطيّبة.

فكثيراً ما شاهدنا أنّ العاشق صار متّصفاً بأوصاف محبوبه، مع أنّ ذلك كان خارجاً عن إرادته، أو أنّه عند مرض المعشوق وتعرّضه للمِحن يصير هو مريضاً وممتحناً مثله، مع أنّه لم يكن مطّلعاً على ذلك أصلاً. ونجد أنّ جانباً مهمّاً من علوم ومعارف المحبوب ومدركاته تتجلّى بشكل تلقائي في نفس المحبّ، وبأنّ المحبّ مشرف على شؤون المحبوب من دون أيّة علاقة ماديّة حسيّة بينهما، فيناجيه في سرّه ويطّلع على أخباره وأحواله حالاً بعد حال.

والأرقى من ذلك أنْ تشرق صفات المحبوب في الحبيب. أي: يمكن للمبتلى بالصفات الرذيلة ـ كالحسد والبخل وحبّ المال والشره وغيرها ـ أن يصير بدوره متّصفاً بالعفّة والإيثار، سواءً أكان ذلك عن اختيار منه أم عن غير اختيار؛ وذلك لأنّ المعشوق الذي تعلّق قلبه به كان متّصفاً بالإيثار والعفو والعفّة. فعشق المتهتّك يجعل العاشق الذي يمتلك قليلاً من العفّة متهتّكاً، وعشق العفيف يجعل العاشق المتهتّك عفيفاً. كما أنّ محبّة الذي يعبد المال تجعل السخيّ حريصاً، و محبّة المُنفق السخيّ تجعل الحريص سخيّاً. والعشق الذي تعلّق بعالِمٍ معيّن ستتجلّى علومه و إدراكاته في نفس العاشق بشكل مجمل، بل وبشكل تفصيليّ في مرحلة أعلى. والمحبّة الشديدة لبعض أصناف الجهّال من قبيل بعض النساء تجعل العالم النحرير بليداً جاهلاً.

وعلى أيّ حال، فإنّ أثر العشق والمحبّة وظهور آثار المحبوب وصفاته في نفس المحبّ بسبب انجذابه الروحيّ مشهودة وواضحة للعيان. وقد أوردتْ السِيَر والتواريخ في هذا الباب العديد من القصص، فكان هذا الأمر واضحاً حتّى بالنسبة لنفس الأشخاص الذي ابتلوا بالحبّ، وإن تفاوتوا في ذلك شدّةً وضعفاً.

وإذا اتّضحتْ لنا هذه المقدّمة نقول: لو أنّ أحدهم أحبّ شخصاً ظالماً وجائراً، فإنّ الروح العدائيّة ستنبثق منه بشكل تلقائيّ ولو كان بنفسه لا يميل إلى الظلم والعدوان. ولو أنّ أحدهم أحبّ شخصاً عادلاً ومتوازناً ومستقيماً قد انطبعت التقوى والطهارة في روحه وسرت إلى باطنه، فإنّه سيصبح حائزاً بصورة تلقائية على صفة العدالة والطهارة والاستقامة.

وعلى ذلك لزم على قاصدي طريق اللّه أن يتخلّقوا بالصفات الإلهيّة، وهو محال بغير تحصيل المحبّة الإلهيّة، بمعنى: أنّه لو صرف أحدهم تمام عمره في القيام بأعمال الخير واجتناب أعمال السوء، لكنّه في المقابل لم يعمل على تنمية محبّة اللّه في قلبه، فإنّ روحه ستكون خالية من الصفاء والإخلاص وشبيهة بقبر زُخرف بالنقوش والرسوم.

فروح الإنسان وحقيقته هي قوته الجاذبة وجاذبيّته الروحيّة، وإلّا فبأيّ شيء سيفترق عن الجدار الثابت والقبر المندرس! ومَثَل العمل الصالح الذي لا ينبعث من روح حيّة وطاهرة ومفعمة بالمحبّة كمثل قرط أو سوار وُضع في أُذن ميّت أو يده! ولكنّه إذا ما اقترن بالحبّ، كان مؤدّياً للفضل والكمال، نظير الزينة التي يتجمّل بها الإنسان الحيّ.

ينبغي للسالك أن يقوّي محبّة الله في قلبه

ومن خلال الأعمال الحسنة يقوّي محبّ اللَه في قلبه محبتّه له تعالى بشكل دائم، كما أنّه ينمّي في قلبه عشقَه له سبحانه بواسطة المخالفة لهوى النفس والموافقة لرضا المحبوب إلى الحدّ الذي يحظى برضاه ويخرج عن هوى نفسه ويحيى بهواه. وفي هذه الحالة سيكون اللَه تعالى هو الحاكم على وجوده، وستصدر منه جميع الأعمال والتصرّفات من خلال إرادته تعالى بشكل تلقائي؛ وكأنّه قد فُرِّغ من ذاته ومُلئ باللَه، وتخلّى عن تحريك نفسه وتحرّك بتحريك اللَه.

يروي المرحوم الكلينيّ في «روضة الكافي» عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عليّ بن أسباط، عن الأئمّة عليهم السلام فيما وعظ اللَه تعالى به عيسى بن مريم عليهما السلام:

«يَا عِيسَى أُوصِيكَ وَصِيَّةَ الْمُتَحَنِّنِ عَلَيْكَ بِالرَّحْمَةِ حَتَّى حَقَّت لَكَ مِنِّي الوِلايَةَ بِتَحَرِّيكَ مِنِّي المَسَرَّةَ».[١]

فإنّي أوصيك يا عيسى وصيّة المحبّ الـرحيم المشـفق لتـزداد فيـك قـوّة الانجذاب فتصبح باحثاً عن محبّتي ورضـاي، ولتصـير ولايتـي حاكمـة فيـك وتكون متّصفاً بجميع صفاتي وأسمائي.

إنّ دين الإسلام المقدّس ـ الذي هو خاتم الأديان المتكفّل بأكمل الـنظم والتشريعات من حيث العلاقات الروحيّة والطبيعيّة ـ قد جعل معيـار المحبّـة ميزاناً لقياس صحّة الأعمال وسلامتها، وقد شقّ هذا الدين أمـام النـاس أسرع الطرق للوصول إلى مقام الإنسانيّة والتوحيد متمـثّلاً بطريـق محبّـة رسـول الله وذوي قرابته صلّى الله عليه وآله.

حقيقة ذوي القربى ودور محبّتهم في السلوك إلى الله تعالى

والمقصود بـذوي القـربى هـم أولئـك الـذين وصـلوا إلى مقـام الطهـارة المطلقـة، فرَسـخت الطهـارة في أرواحهـم وخيـالاتهم ونفوسـهم وعقـولهم وأسرارهم وسويدائهم، وخلصت من جميع شوائب الشرك، فلا يمكن العثور في موطن من مواطن نفوسهم عـلى غـير الله وآثـاره وصـفاته. إنّهـم قـوم غضّـوا

(١) ***روضة الكافي***، [دار الكتب الإسلاميّة، الطبعة الثانية]، ص ١٣١.

أبصارهم عن العوالم الدنيا الطبيعيّة المظلمة، وتعلّقوا بالجمال الأبدي. فهم عباد لا تساور وجودهم حكومة الشهوة والغضب والخيال، فهم دائماً أحياء بحياة العقل، منوّرون بنور اللَه، وقد وصلوا إلى مقام البلوغ والكمال الإنساني. إنّهم أفراد لم يعد في أفق وجودهم شيء من شوائب النفس الأمّارة والميل الحيواني، والحياة الحسيّة وتوابعها. لقد اختاروا من حرم أمن اللَه وأمانه سكناً لهم، وتنوّروا بنور الحقّ، ولا مصداق عندهم للذنب الذي هو من لوازم الغفلة، ولقد غدوا مطهّرين بطهارة الحقّ تعالى، معصومين بعصمة ذاته المقدّسة.

ومن الواضح أنّ حبّ هؤلاء وعشقهم يجعل الإنسان قريباً من أفقهم الفكريّ والوجوديّ، وكلّما اشتدّت تلك المحبّة فإنّ الإنسان سيقترب أكثر من ذلك الأفق، وبالملازمة فإنّ صفات المعشوقين وروحيّاتهم وأخلاقهم ستظهر في الإنسان، كما ستشرق فيه ملكاتهم وعقائدهم في نهاية المطاف. إنّ محبّ أهل بيت العصمة سيتحوّل إلى عابد تقيّ مؤثِر عفوّ منفقٍ باذل في سبيل اللَه مهجته وماله.

إنّ المحبّة كالصاعقة التي تصيب أكوام الحصيد فتتركها رماداً، فهي تحرق رذائل الصفات من الحسد والبخل وقسوة القلب والشره والجبن وأمثالها، فتحيلها هباءً منثوراً، فلا أثر لها في وجود المحبّ، ومن الواضح أنّ هذا هو

الطريق الأوحد إلى اللَه، فهو أسرع الطرق وأكملها وأيسرها في الوصول إلى الغاية.

وهذا على خلاف من أراد أن يطوي هذا الطريق الطويل بغير عشقهم ومودّتهم معتمداً على نفسه، فهيهات هيهات أن يصل! ففي كلّ يوم يخطو فيه إلى الأمام فإنّ شوائب النفس الأمّارة والخواطر الشيطانيّة تعود به خطوات إلى الوراء، ليبقى دائماً كحمار الطاحونة يدور حول نفسه، وكلّما ازداد سيره لم يزدد من اللَه إلّا بعداً، إلى أنْ يترك الدنيا مع كثير من العمل والجهد، صفر اليدين، منهوباً خاسراً، ويفارقها مع ألف حسرة وندامة.

* * *

المجلس الثاني

(خلاصة موعظة يوم الجمعة ٢٤ ربيع الأوّل ١٣٩١هـ)

مسجد القائم في طهران

أوثقُ عُرى الإيمَان

الحُب والبُغض في الله

أعوذُ بِاللّه مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم

بِسْمِ اللّه الرَّحْمَنِ الرَّحيم

وَصَلَّى اللّه عَلَى سَيّدِنا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطيِّبِينَ الطَّاهِرين

وَلَعنَةُ اللّه عَلَى أعْدائِهِمْ أجْمَعين مِنَ الآنَ إلَى قِيامِ يَوْمِ الدّين

وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلّا بِاللّه العَلِيِّ العَظيم

قال اللّه الحكيم في كتابه الكريم:

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[1]

أثر حبِّ المعاصي وأهلها على المحبّ

ذكرنا سابقاً أنّ محبّة اللّه وأوليائه هي أُسّ ولُبّ الدين والسلوك في طريق اللّه؛ ولذلك يُعدّ تحصيل المحبّة أفضل وأسرع طريق للوصول إلى هذا المقصود. وفي مقابل ذلك فإنّ الميل إلى أهل المعاصي وأعداء اللّه ومحبّتهم من

(١) سورة الشورى (٤٢)، مقطع من الآية ٢٣.

أشدّ درجات المعصية؛ إذ إنّ مودّة الظلَمَة والمنحرفين تترك أثر القسوة والكدورة في القلب، وتوجب انتقاش القلب بصور قلوبهم، وبالتالي تُفضي إلى ظهور صفاتهم وحالاتهم في القلب، وإلى بروز أفعالهم وتصرّفاتهم على الإنسان.

ولهذا فقد عُدّ حبّ الدنيا وزخارفها الفانية بحدّ ذاته ذنباً: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾[1]، كما عُدّ حُبّ جمع المال وادّخاره كذلك ذنباً: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[2].

ومع أنّ كلّ واحدٍ من المنكرات يُعتبر معصيّةً، فإنّ حبّ الأفعال القبيحة وانتشارها في المجتمع الإسلامي وبين المؤمنين يُعتبر كذلك معصيةً، ولأنّ تلك المحبّة تورث الذنب بنفسها وتوجب ظهور المعاصي، فإنّها ستستتبع عقاباً شديداً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.[3]

كذلك الأمر بالنسبة إلى محبّة غير الله محبّةً استقلاليّة، ومحبّة الأصنام والأشخاص الذين يتّبعهم الإنسان ويخضع لطاعتهم ويعدّهم بمثابة شركاء لله

---

(١) سورة القيامة (٧٥)، الآية ٢٠.

(٢) سورة الفجر (٨٩)، الآية ٢٠.

(٣) سورة النور (٢٤)، الآية ١٩.

تعالى، حيث ورد الذمّ فيها بشكلٍ كبيرٍ في القرآن المجيد: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [1].

وفي مقابل هذه الآيات التي تذمّ بشدّة حبَّ الدنيا وجمع المال ومحبّة شركاء الله وما إلى ذلك، توجد بعض الآيات التي تُثني على محبّة الله وأوليائه وتمدحها بشكلٍ كامل: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ﴾ [2].

ومنه يتّضح أنّ محبّة الله هي أنفس وأشرف موهبة من المواهب الإلهيّة التي جعلها الله تعالى موضوعاً لكلامه ومترتّبةً على طاعة رسوله، مع أنّه كان من الممكن أن يقول [بدلاً عن ذلك]:إن كنتم تريدون أن تدخلوا الجنّة أو لا تدخلوا النار، أو ترغبون في إصلاح مجتمعكم، أو تسعون للحصول على نفسٍ تقيّةٍ وطاهرةٍ وما إلى ذلك.

لكنّنا نُلاحظ بأنّه تمّ الاكتفاء [هنا] بطرح محبّة الله، وجعل نفس طاعة رسول الله أمراً ملازماً لها بعنوانها لازماً لا يقبل الانفكاك. وفي نفس الوقت الذي يُحذّر فيه الله تعالى المؤمنينَ من الارتداد ويُنذرهم من عواقبه الوخيمة ويُظهر لهم غناه وغنى رسوله عن إيمانهم وارتدادهم، فإنّه يُعرّفهم على جماعة من المؤمنين سوف يأتون من بعد ارتدادهم يحبّون رسول الله ويحبّهم رسول الله،

(١) سورة البقرة (٢)، مقطع من الآية ١٦٥.

(٢) سورة آل عمران (٣)، مقطع من الآية ٣١.

فيكون أفضل تعريف لهم من جهة الكمالات والخصائص الإنسانيّة بلحاظ محبّتهم لرسول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[١].

وفي آية أخرى يعتبر سبحانه وتعالى بأنّ حبّ الطهارة وتزكية النفس هي أفضل معرّف وشاهد على خصائص الأشخاص وكمالاتهم: ﴿ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴾[٢]، يأمر الله تعالى في هذا الموضع رسوله بالصلاة في مسجد قبا والتعبّد هناك؛ لأنّه علاوةً على أنّ دعائمه قد أُسّست منذ اليوم الأوّل على التقوى، فإنّ جماعة من المؤمنين الذين يحبّون الطهارة وصفاء الباطن ولقاء الله منهمكون هناك بالصلاة والعبادة.

والأكثر من ذلك أنّ الله تعالى قام بطرد الذين يُبرزون المودّة والحبّ تجاه المحاربين لله ورسوله من زمرة المؤمنين بشكل نهائي، حتى لو كان أولئك المحاربون أبناءهم أو آباءهم أو إخوانهم أو من أهلهم وعشيرتهم.

فقد ظهر أنّ محبّة أعداء الله ورسوله تترك أثراً بالغاً في نفس الإنسان إلى درجة تُفرغ معها صفحة النفس من الإيمان بشكل كلّي، بحيث لن يبقى له أيّ

---

(١) سورة المائدة (٥)، مقطع من الآية ٥٤.

(٢) سورة التوبة (٩)، مقطع من الآية ١٠٨.

أثر. وفي هذه الحالة لن تمتلك أعمال الإنسان الصالحة ـ نظير ذلك التبن والقشّ الذي ينمو في أرض قاحلة ومجدبة ـ أيّة رائحةٍ أو نضارةٍ أو حُسنٍ أو جمالٍ. فمَثل العمل الصالح المقترن بمحبّة أعداء الله كمثل وردةٍ ونبتةٍ نمت في مزبلة، فلو فرضنا أنّها تمتلك مظهراً خلاّباً إلّا أنّ باطنها وأصلها سيكون قبيحاً ومنتناً.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١].

في هذه الآية المباركة نلاحظ أنّه ـ علاوةً على تمييز محبّي أعداء الله عن صفوف المؤمنين بشكل حاسم ـ قد تمّ اعتبار عدم محبّة أعداء الله بمثابة أعلى صفةٍ يمكن للمؤمنين أن يتّصفوا بها وأجلى خصوصيّةٍ من خصائصهم الروحيّة. ولهذا السبب سيُفاض عليهم دوماً من روح الله، وسوف يسكنون جنان الخلد، ويحوزون على رضا الله تعالى ويكونون بدورهم راضين عنه. والأهمّ من ذلك أنّ هذه الجماعة من المؤمنين الذين عُجنت أرواحهم بصفة الحبّ لله ورسوله والتبرّي من أعدائهما قد خُصّوا لوحدهم فقط باسم «حزب الله»، وحصر نيل السعادة والفلاح المطلق بشكل واضح بهم فقط.

(١) سورة المجادلة (٥٨)، الآية ٢٢.

أصل الحبّ والبغض في الروايات من أصول الدين

لقد وردت في كتب الأخبار عدّة أبواب حول الحبّ والبغض. وقد عُدّ أصل الحبّ والبغض في هذه الأخبار ـ التي يُمكننا أن نقول بأنّها من حيث المجموع قد وصلت إلى حدّ التواتر ـ من أصول الدين بحيث جُعلت بقيّة الأعمال الصالحة متفرّعة عنه.

يروي أبو عُبيدة الحذّاء عن الإمام الصادق عليه السلام:

قَالَ عَلَيهِ السلامُ : «مَنْ أَحَبَّ للهِ (أيّ شخص وأيّ شيء يُحبّه الله) **وأَبْغَضَ للهِ** (أيّ شخص وأيّ شيء يُبغضه الله) **وَأَعْطَى للهِ فَهُوَ مِمَّنْ كَمَلَ إِيمَانُهُ».**[1]

ويروي سعيد الأعرج عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

---

(١) *أصول الكافي*، ج ٢، ص ١٢٤.

[ويروي آية الله السيّد شرف الدين العاملي في كتاب «*الفصول المهمّة*»، الطبعة الخامسة، مطبعة النعمان ـ النجف، ص ٥: **قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : «لا تدخلون الجنة حتّى تؤمنوا، ولا تؤمنون حتّى تحابّوا. أوَلا أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».**

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم : «الدين النصيحة». قلنا لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمّة المسلمين ولعامّتهم. والذي نفسي بيده لا يُؤمن عبدٌ حتّى يُحبّ لأخيه ما يُحبّه لنفسه».

قَالَ عَلَيهِ السلامُ: «مِنْ أَوْثَقِ عُرَى الإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ (كلّ ما يُحبّه اللَه) **وتُبْغِضَ فِي اللهِ** (كلّ ما يُبغضه اللَه) **وتُعْطِيَ فِي اللهِ** (كلّ ما يُحبّ اللَه إعطاءه) **وتَمْنَعَ فِي اللهِ** (كلّ ما يرضى اللَه بمنعه)**»**.[1]

عَنْ فُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ:

سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام عَنِ الْحُبِّ والْبُغْضِ أَمِنَ الإِيمَانِ هُوَ؟ فَقَالَ: «وهَلِ الإِيمَانُ إِلّا الْحُبُّ والْبُغْضُ؟» ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ (كشاهد): **﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾**[2]».[3] و[4]

---

(١) ***أصول الكافي***، ج ٢، ص ١٢٥.

(٢) سورة الحجرات (٤٩)، جزء من الآية ٧.

(٣) ***أصول الكافي***، ج ٢، ص ١٢٥.

(٤) ورُوي في ***ينابيع المودّة*** (طبع إسلامبول)، ص ١٨٠، عن الديلمي **عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أنّه قال: «الحبّ في اللّه فريضة والبُغض في اللّه فريضة». ورُويَ كذلك عن أبي داود أنّ: «الحبُّ في اللّه والبُغض في اللّه أفضلُ الأعمال».**

[ويروي آية اللّه السيّد شرف الدين العاملي في كتاب الفصول المهمّة من ص ٦ إلى ص ٨ أنّه:

قال صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: «إيّاكم والظنّ، فإنّ الظنّ أكذبُ الحديث، ولا تحسّسوا ولا تجسّسوا ولا تَنَاجشوا ولا تَحاسَدوا ولا تَدَابروا ولا تَبَاغضوا وكونوا عبادَ اللّه إخواناً، ولا يحِلُّ لِمُسلم أن يهجُرَ أخاهُ فوقَ ثلاثة أيّام ⇦

⇦ وقال صلّى اللَه عليه وآله وسلّم : «المُسلمُ أخو المُسلمِ لا يَظلِمُهُ ولا يُسلِمُهُ، ومَن كانَ في حاجةِ أخيهِ كانَ اللَهُ في حاجَتِه، ومَن فرّجَ عن مُسلِمٍ كُربَةً فرّجَ اللَهُ عنهُ كُربَةً مِن كُرُباتِ يومِ القِيامةِ، ومَن سَتَرَ مُؤمِناً سَتَرَهُ اللَهُ يومَ القِيامةِ».

وقالَ الصادِقُ عَلَيهِ السلامُ: «المُسلِمُ أخو المُسلِمِ، هُوَ عَينُهُ ومِرآتُهُ ودَليلُه: لا يَخونُه ولا يَخدَعُه ولا يظلِمُه ولا يَكذِبُه ولا يغتابُه».

وقال عليه السلام لِجَماعةٍ مَن شيعَتِه: «اتقوا اللهَ وكونوا إخوةً بَرَرةً مُتحابّينَ في اللهِ مُتواصِلينَ مُتَراحِمينَ، تَزَاوَروا وتَلاقَوا وأحيوا أمرَنا».

وعَن رسولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ أَقرَبَكم مِنّي مَجلِساً أحاسِنُكُم أخلاقاً المُوَاطِؤون [١] أكنافاً الذينَ يَألَفون ويُؤلَفون».

وقال صلّى اللَه عليه وآله وسلّم : «المُؤمنُ إلفٌ مألوفٌ، ولا خيرَ فيمَن لا يَألَفُ ولا يُؤلَف».

وفي حديثٍ آخَرَ: «إنّ أَحَبَّكم إلى اللهِ الذينَ يَألَفونَ ويُؤلَفون، وإنَّ أَبغَضَكم إلى اللهِ المشاؤونَ بِالنميمَةِ المُفرّقونَ بَينَ الإخوانِ».

وَقالَ صلّى اللَه عليه وآله : «المُتحابّونَ في اللهِ على عَمودٍ مِن يَاقوتَةٍ حَمراءَ، رَأسُ العَمودِ سَبعونَ أَلفَ غُرفَةٍ يُشرِفونَ عَلى الجَنّةِ يُضيءُ حُسنُهم كَمَا تُضيءُ الشمسُ، عَلَيهم ثِيابُ سُندُسٍ خُضرٌ مَكتوبٌ علَى جِباهِهِم: المُتحابّونَ في اللَهِ».

وقَالَ صلّى اللَه عليه وآله وسلّم: «يُنصبُ لِطائفةٍ مِنَ الناسِ كَراسِيُّ حَولَ العَرشِ يَومَ القِيامَةِ وُجوهُهم كَالقَمَر لَيلَةَ البَدرِ، يَفزَعُ الناسُ وَهُم لا يَفزَعونَ ويَخافُ الناسُ وَهُم لا يَخافونَ، أُولئِك أولياءُ اللَهِ الذينَ لا خوفٌ عَلَيهِم ولا هُم يَحزَنونَ». فَقِيلَ: مَن هُم يا رسولَ اللَهِ؟ فَقَال: «هُمُ المُتحابّونَ في اللَهِ». ⇦

⇦ وَقَالَ صلّى اللهُ عليه وآلِه: «إنّ اللهَ تعالى يَقولُ: حَقّت مَحبّتي لِلَّذينَ يَتزاوَرونَ مِن أَجلي، وَحَقّت مَحبّتي لِلَّذينَ يَتَحابُّونَ مِن أَجلي، وَحَقَّت مَحبّتي لِلَّذينَ يَتَباذَلون مِن أَجلي، وَحَقَّت مَحبّتي لِلَّذينَ يَتَناصَرونَ مِن أَجلي».

وَقَالَ صلّى اللهُ عليه وآلِه: «إنّ اللهَ تعالى يَقولُ يَومَ القِيامَةِ: أَينَ المُتحابُّونَ بِجَلالي؟ اليَومَ أُظِلُّهم في ظِلّي».

وَعَن بَاقِرِ عُلوم النبيِّينَ عَن آبائِه الخُلفاءِ الراشِدينَ عَن جَدِّهِم سَيّدِ المُرسَلينَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُه عَليه وَعَليهِم أَجمَعينَ مِن حَديثٍ طَويلٍ قَالَ: «إذا كَانَ يَومُ القِيامَةِ يُنادي مُنادٍ أَينَ جيرانُ اللهِ جَلَّ جَلالُه في دَارِه؟ فَيَقومُ عُنُقٌ مِن الناسِ فَتَستَقبِلُهم زُمرةٌ مِنَ المَلائِكةِ فَيَقولونَ لَهُم: ما ذا كَانَ عَمَلُكم فَصِرتُم بِهِ جِيرانَ اللهِ في دَارِه؟ فَيَقولونَ: كُنّا نَتَحابُّ في اللهِ وَنَتَباذَلُ في اللهِ وَنَتَزاوَرُ في اللهِ عزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَيُنادي مُنادٍ صَدَقَ عِبادي، خَلُّوا سَبيلَهُم لِيَنطلِقوا إلى جِوارِ اللهِ بِغَيرِ حِسابٍ».

وَعَن عَبدِ المُؤمنِ الأَنصارِيِّ قَالَ: دَخَلتُ عَلى الإمامِ أَبي الحَسَن (الكَاظِمِ) عليه السلام وَعِندهُ مُحمّدُ بنُ عبدِ اللهِ الجَعفريِّ، فَتَبسّمتُ إليهِ. فَقَال عَليهِ السلامُ: «أَتُحِبُّه؟». قُلتُ: نَعَم وَمَا أَحببتُه إلاَّ لَكُم. فَقَال عَليهِ السلامُ: «هُوَ أخوكَ، وَالمُؤمنُ أَخو المُؤمنِ لِأَبيهِ وأُمِّهِ. مَلعونٌ مَلعونٌ مَن اتَّهمَ أَخاهُ. مَلعونٌ مَلعونٌ مَن غَشَّ أَخاهُ. مَلعونٌ مَلعونٌ مَن لَم يَنصح أَخاهُ. مَلعونٌ مَلعونٌ مَن استَأثَرَ عَلى أَخيهِ. مَلعونٌ مَلعونٌ مَن اغتابَ أَخاهُ».

وَقَالَ رَسولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله في الثنَاءِ عَلى الإخوَةِ في الدينِ: «مَن أَرادَ اللهُ بِهِ خَيراً رَزَقَهُ خَليلاً صالِحاً إن نَسيَ ذَكَّرَهُ أَو ذَكَرَ أَعانَهُ، وَمَثَلُ الأَخَوَينِ إذا التَقَيا مَثَلُ اليَدَينِ تَغسِلُ إحداهُما الأُخرى، وَمَا التَقَى مُؤمِنان قَطُّ إلا أَفَادَ اللهُ أَحَدَهما مِن صَاحِبِه خيراً».

وَقَالَ أميرُ المُؤمنينَ عَلَيهِ السلامُ: «عَلَيكُم بِالإِخوانِ فَإِنّهُم عُدَّةٌ في الدنيا والآخِرَة، أَلَا تَسمَعونَ إلى قَولِ أهلِ النارِ: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۞ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[٢]». ⇦

ورُوي كذلك عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«قَالَ رَسُولُ اللَه صلّى اللَه عليه وآله لأَصْحَابِهِ: أَيُّ عُرَى الإِيمَانِ أَوْثَقُ؟ فَقَالُوا: اللَه ورَسُولُهُ أَعْلَمُ. وقَالَ بعْضُهُم: الصَّلاةُ. وقَالَ بعْضُهُم: الزَّكَاةُ. وقَال بَعْضُهُم: الصِّيَامُ. وقَالَ بَعْضُهُم: الْحَجُّ والْعُمْرَةُ. وقَالَ بَعْضُهُم: الْجِهَادُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَه صلّى اللَه عليه وآله وسلّم: لِكُلِّ مَا قُلْتُمْ فَضْلٌ ولَيْسَ بِهِ. ولَكِنْ أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَه والْبُغْضُ فِي اللَه وتَوَالِي أَوْلِيَاءِ اللَه و التَّبَرِّي مِنْ أَعْدَاءِ اللَه».[1]

⇦ **وَعَن جَريرِ بنِ عَبدِ اللهِ قَالَ: بَايَعتُ رَسولَ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم عَلى إِقامِ الصلاةِ وَإِيتاءِ الزكاةِ وَالنُّصحِ لِكُلِّ مُسلمٍ.**

وَالأخبارُ في هذا مُتواترةٌ وَالصحاحُ مُتظافرةٌ، وَإِذا رَاجَعت حَديثَ الفَريقَين رَأَيت الصبحَ قَد أَسفرَ لِذي عَينينِ، وَفي هذا كفايةٌ لِمن لَه مِن اللهِ هدايةٌ.]

---

[١] لقد وردت هذه الكلمة في المنابع الروائية («أصول الكافي»، ج ٢، باب حسن الخلق، ص ١٠٢، الحديث ١٦؛ و«بحار الأنوار» ، الطبعة الحروفية، ج ٦٦، الباب ٣٧ (صفات خيار العباد وأولياء اللَه) ، ص ٣٠٦، الحديث ٢٨؛ و...) بهذا الشكل: **المُوَطّئون**، والظاهر أنّ هذا هو الصحيح.

[٢] سورة الشعراء (٢٦) ، الآية ١٠٠ و١٠١ .

(١) ***أصول الكافي***، ج ٢، ص ١٢٥.

ويُحدّث جابر الجعفي أيضًا عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام أنّه قال:
«إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ فِيكَ خَيْراً فَانْظُرْ إِلَى قَلْبِكَ؛ فإِنْ كَانَ يُحِبُّ أَهْلَ طَاعَةِ اللهِ ويُبْغِضُ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ فَفِيكَ خَيْرٌ واللهُ يُحِبُّكَ، وإِنْ كَانَ يُبْغِضُ أَهْلَ طَاعَةِ اللهِ ويُحِبُّ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ فَلَيْسَ فِيكَ خَيْرٌ واللهُ يُبْغِضُكَ؛ والْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» (بمعنى أنّ للإنسان اتّصالاً تامّاً بمحبوبه، بل يمتلك معه جهة اتّحاد ومعيّة).[١]

و ينقل المرحوم المجلسي رضوان الله عليه عن «الدعوات» للراوندي أنّه:
«رُوِيَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِمُوسَى عليه السلام: هَلْ عَمِلْتَ لِي عَمَلاً قطُّ؟ قَالَ: صَلَّيْتُ لَكَ وصُمْتُ وتَصَدَّقْتُ وذَكَرْتُ لَكَ. قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى: وأَمَّا الصَّلاةُ فَلَكَ بُرْهَانٌ (على إيمانك وشخصيّتك)، **والصَّوْمُ جُنَّةٌ** (من النار)، **والصَّدَقَةُ ظِلٌّ** (لرحمة الله)، **والذِّكْرُ (الزكاةُ ـ خ ل) نُورٌ** (وجميع هذه الأعمال ترجع فائدتها إليك). **فَأَيَّ عَمَلٍ عَمِلْتَ لِي؟ قَالَ مُوسَى عليه السلامُ: دُلَّنِي عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي هُوَ لَكَ! قَالَ: يَا مُوسَى هَلْ وَالَيْتَ لِي وَلِيّاً؟ وهَلْ عَادَيْتَ لِي عَدُوّاً قَطُّ؟ فَعَلِمَ مُوسَى أَنَّ أَفْضَلَ الأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللهِ والْبُغْضُ فِي اللهِ».**[٢]

---

(١) ***أصول الكافي***، ج ٢، ص ١٢٦.

(٢) ***بحار الأنوار***، [طبع الكمباني] ، ج ١٥، ص ٢٨٤؛ [ومن الطبعة الحروفية ، ج ٦٩، ص ٢٥٢].

لزوم محبّة محمّد وأهل بيته صلوات الله عليهم وآثارها

ويقول المرحوم الراوندي بعد ذلك:

«وَإِلَيْهِ أَشَارَ الرِّضَا عليه السلام بِمَكْتُوبِهِ: كُنْ مُحِبّاً لِآلِ مُحَمَّدٍ وإِنْ كُنْتَ فَاسِقاً ومُحِبّاً لِمُحِبِّيهِمْ وإِنْ كَانُوا فَاسِقِينَ».

ويقول أيضًا (المرحوم الراوندي):

«ومِنْ شُجُونِ الْحَدِيثِ[1] أَنَّ هَذَا الْمَكْتُوبَ هُوَ الآنَ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ كرمند قَرْيَةٌ مِنْ نَوَاحِينَا إِلَى أَصْفَهَانَ، مَا هِيَ. ووَقْعَتُهُ (أي قصّته) **أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِهَا كَانَ جَمَّالاً لِمَوْلانَا أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام عِنْدَ تَوَجُّهِهِ إِلَى خُرَاسَانَ، فَلَمَّا أَرَادَ الانْصِرَافَ قَالَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَه! شَرِّفْنِي بِشَيْءٍ مِنْ خَطِّكَ أَتَبَرَّكْ بِهِ. وكَانَ الرَّجُلُ مِنَ الْعَامَّةِ. فَأَعْطَاهُ ذَلِكَ الْمَكْتُوب».**

وفي «تفسير العيّاشي» روايةٌ رواها بُرَيد العِجلي:

كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ قَادِمٌ مِنْ خُرَاسَانَ مَاشِياً فَأَخْرَجَ رِجْلَيْهِ وقَدْ تَغَلَّفَتَا (تفطّرتا وتشقّقتا). **وقَالَ: أَمَا واللَه مَا جَاءَ بِي مِنْ حَيْثُ جِئْتُ إِلّا حُبُّكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ.**

---

(١) قال المجلسي رحمه الله: **الشجَن**: الغُصن المـُشتبِك، **والحديث ذو شجون**: فنون وأغراض قوله: ما هي؛ أي: ما هي من أصفهان لكنّها في تلك الناحية.

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلامُ: «والله لَوْ أَحَبَّنَا حَجَرٌ حَشَرَهُ الله مَعَنَا. وهَلِ الدِّينُ إِلَّا الحُبُّ؟ إِنَّ الله يَقُولُ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (١) وقَالَ: ﴿يُحِبُّونَ (أي أنصار المدينة) مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٢) وهَلِ الدِّينُ إلّا الحُبُّ؟». (٣)

وروى في «علل الشرائع» بإسناده عن أنس أنّه:

جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ـ وَكَانَ يُعْجِبُنَا أَن يَأْتِيَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ يَسْأَلُ النَّبِيَّ صلّى الله عليه وآله ـ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَتَى قِيَامُ السَّاعَةِ؟ فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلَمَّا قَضَى صَلاتَهُ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟». قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ الله! قَالَ: «فَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟». قَالَ: وَالله مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ عَمَلٍ صَلاةٍ وَلا صَوْمٍ إِلا أَنِّي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا رَأَيْتُ الْمُسْلِمِينَ فَرِحُوا بَعْدَ الإِسْلامِ بِشَيْءٍ أَشَدَّ مِنْ فَرَحِهِمْ بِهَذَا. (٤)

---

(١) سورة آل عمران، جزء من الآية ٣١.

(٢) سورة الحشر، جزء من الآية ٩.

(٣) ***بحار الأنوار***، [طبع الكمباني]، ج ٧، ص ٣٧٧؛ [ومن الطبعة الحروفية، ج ٢٧، ص ٩٥].

(٤) ***بحار الأنوار***، [طبع الكمباني]، ج ٦، ص ١٩٥؛ [ومن الطبعة الحروفية، ج ١٧، ص ١٣].

[يقول آية الله السيّد شرف الدين العاملي في كتاب ***الفصول المهمّة*** ص ٤١ و٤٢: ⇦

⇦ لا يخفى أنّ شيعة علي وأهلَ البيت هم أتباعُهم في الدين وأشياعُهم من المسلمين. ونحن والحمد للَه قد انقطَعنا إليهم في فروعِ الدين وعقائِدِه وأصولِ الفقه وقواعِدِه وعلومِ السنة والكتاب وفنون الأخلاق والسلوك والآداب؛ بخوعاً لإمامتهم وإقراراً بولايتهم، وقد والَيْنا أوليائهم وجانبنا أعداءهم، عملاً بقواعد المحبة وطبقاً لأصول الأخلاق في المودّة، فكنّا بذلك لهم شيعةً وكانوا لنا وسيلةً وذريعةً. والحمدُ للَه على هدايته لدينه والتوفيق لِما دعا إليه الرسول من التمسّك بِثقلَيه والاعتصام بِحبليه ودخولِ مدينة علمه من بابها، بابِ حطّة وأمانِ أهلِ الأرض وسفينةِ نجاة هذه الأُمّة، والحمدُ للَه الذي هدانا لهذا وما كنّا لِنهتديَ لولا أن هدانا اللَه.

وأخرج ابن سعد (كما في صفحة ٩١ من «الصواعق») عن عليٍّ :«**أخبرني رسولُ اللَه صلّى اللَه عليه وآله أنّ أوّلَ مَن يدخُلُ الجنّةَ أنا وفاطمةُ والحسنُ والحسينُ. قلت: يا رسولَ اللَهِ! فَمُحِبّونا؟ قال: مِن وَرَائِكم**».

وأخرج الديلَمِيّ (كما في ***الصواعق*** أيضاً) مرفوعاً: «**إنّما سُمّيَت ابنتي فاطمةَ لأنّ اللَهَ فَطَمَها ومُحِبّيها عن النار**».[١]

وأخرج ابن حنبل والترمذي (كما في صفحة ٩١ من ***الصواعق***) أنّه صلّى اللَه عليه وآله وسلّم أخذ بيد الحسنين وقال: «**مَن أَحَبّني وأحبّ هذين وأباهما وأمَّهما كان معي في دَرَجَتي يوم القيامة**».[٢]

ويقول بعد ذلك فيص ٤٣ و٤٤:

وأخرج أحمد (كما في أواخر الفصل الثاني من الباب ٩ من ***الصواعق***)[٣] عن عليّ قَال: «**طَلَبني النبيُّ صلّى اللَه عليه وآله فَوَجدني في حائطٍ فَقالَ: قُم وَاللَهِ لَأُرضينّك، أَنتَ أخي وأبو وُلدي تُقاتِل على سُنّتي. مَن مَاتَ على عَهدي فَهُو في كنز الجنّةِ، وَمَن ماتَ على عَهدِك فَقَد قَضى نحبَه، وَمَن مَات يُحِبّك بعد موتِك خَتَم اللَهُ لَهُ بِالأمنِ والإيمانِ ما طَلَعت شمسٌ أو غَرَبَت**».⇦

⇦ وَأَورد ابنُ حَجَر (في أوائل المقصد الثاني من المقاصد التي ذكرها في آية المودّة في القربى من صواعقه) حديثاً هذا لفظُه [٤] : **إنّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وآلِه وسلّمَ خَرَج عَلى أصحابِه ذَاتَ يَومٍ وَوَجهُه مُشرقٌ كدائِرةِ القمرِ، فَسَأَله عبدُ الرحمنِ بن عَوْفٍ عن ذلك فَقَال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «بِشارَةٌ أَتَتني مِن رَبّي في أَخي وابنِ عَمّي وَابنَتي بِأنّ اللّهَ زَوّج عَليّاً مِن فاطمةَ، وَأَمَر رِضوَانَ خازِنَ الجِنان فَهزَّ شَجَرةَ طوبى فَحَمَلت رِقاقاً ـ يعني صكوكاً ـ بِعَدِدِ مُحِبّي أهلِ بيتي، وَأَنشأَ تَحتَها مَلائِكة مِن نورٍ دَفَعَ إلى كُلّ مَلَكٍ صَكّاً، فَإذا استَوَتِ القِيامةُ بِأهلِها نَادَتِ الملائِكةُ في الخَلائِقِ، فَلا يَبقى مُحِبٌّ لأهلِ البَيتِ إلاَّ دَفَعت إليهِ صَكّاً فيه فَكاكٌ مِن النار؛ فَصارَ أخي وابنُ عمّي فَكاك رِقابِ رِجالٍ ونِساءٍ مِن أُمّتي مِن النارِ».**

والأخبارُ في هذا لا يَحتمِلُها هذا الإملاءُ، وفي هذا القَدرِ كِفايةٌ لِمن كانت للهِ تعالى فِيهِ عنايةٌ. فَعَسى أن يعرفَ الشيعيُّ بعد هذا أنّ أهلَ السنّةِ قَد أنصَفوا واعترَفوا، وَعَسى أن يعرِف السنيُّ أن لا وَجهَ بعد هذه المـُبشّرات لشيءٍ مِن الضغائنِ أو الهَناةِ. والسلامُ على مَن اتَّبعَ السننَ وَجانَب الفِتنَ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه].

---

[١] وأخرج النسائيُّ نحوَه كما في صفحة ٩٦ من «الصواعق».

[٢] وأخرجه أيضاً أبو داود (كما في صفحة ١٠٣ من «الصواعق») وزاد فيه: من مات مُتّبِعاً لِسنّتي، وبها يُعلم أنّ اتّباعَ سنّته لا يكون إلاّ بِمحبّتهم عليهم السلام.

[٣] صفحة ٧٥.

[٤] راجعه في صفحة ١٠٣ من «الصواعق»؛ ورواه غيرُ واحد ممّن كتب في الفضائل والمناقب.

حبّ رسول الله لفاطمة

وقد ورد في الكثير من روايات الشيعة والسنّة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يحبّ السيّدة فاطمة حبّاً جمّاً، وكان يُطلق عليها اسم سيّدة نساء العالمين.[١]

(١) [أورد آية الله السيّد شرف الدين العاملي في كتاب ***الكلمة الغرّاء*** ـ ص ٣٣٩ وما بعدها ـ روايات حول مقام السيّدة الزهراء سلام الله عليها ومنزلتها وأفضليّتها، نتعرّض لذكر البعض منها (الحديث ١ و٢ و٤ و٥):

ح١ ـ **قولُ رسولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أفضلُ نساءِ أهلِ الجنّةِ خديجةُ بنتُ خُوَيلِد، وفاطِمةُ بنتُ محمّدٍ، وآسيا بنتُ مُزاحِمٍ امرَأةُ فِرعونَ، ومَريمُ بنتُ عِمرانَ».**

(أخرجَتهُ جماعَةٌ مِن المـُحدِّثين كثيرون كالإمام أحمدَ من حديثٍ رواه عن ابن عبّاسٍ في صفحة ٢٩٣ من الجزء الأوّل من مسنده، وأبي داودَ كما في ترجمةِ خديجةَ من الاستيعاب، وقاسم بنِ محمّدٍ كما في ترجمةِ الزهراء من الاستيعاب، وجماعةٌ من حَمَلة الأثار وحَفَظة الأخبار لا يسعُ المقامُ استيفاءَهم.)

ح٢ ـ **قَولُ رسولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم : «خيرُ نساءِ العالَمينَ أربعٌ: مَريمُ بنتُ عِمرانَ، وآسيا بِنتُ مُزاحِمٍ، وخديجةُ بنتُ خُويَلِدٍ، وفاطِمةُ بنتُ محمّدٍ».**

(أخرجَهُ أبو داود كما في ترجمةِ خديجةَ من الاستيعاب بالإسنادِ إلى أنس ورواه عبدُ الوارثِ بنِ سُفيانَ كما في ترجمَتي الزهراءِ وخديجةَ من الاستيعاب بالإسناد إلى أبي هُريرَةَ، ونقله غيرُ واحدٍ من ثقاةِ المحدِّثين بطُرُقهم إلى أنس وأبي هُريرة.)

ح٤ ـ ما استخرَجَه أبو داود كما في ترجمةِ خديجةَ من الاستيعاب بِسَنَدِه إلى ابنِ عبّاسٍ قال: **قالَ رَسولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «سيّدةُ نِساءِ أهلِ الجنَةِ بعدَ مَريمَ بنتِ عِمرانَ، فاطِمةُ بنتُ محمّدٍ وخديجةُ وآسيا»** ـ انتهى.

⇦

⇦ وهذا كالأحاديثِ السابقةِ في الدلالةِ على تفضيلِ الأربع على مَن سِواهُنّ مِن نِساء العالَمين، إلاّ أنّه رُبّما يُستشعَر مِنه تفضيلُ العذراءِ على الزهراءِ؛ لكن الأدلّةَ الأُخَر التي هي أكثرُ عدداً وأصحُّ سنداً وأصرحُ دلالةً مِن هذا الحديث ونحوِه تُوجِبُ الإعراضَ عمّا يُستشعَر منه على أنّه لا يُروَى مِن طريقِ أصحابِنا كما لا يخفى.

ح٥ ـ ما أخرَجَه البُخاريُّ [١] ومسلمٌ [٢] والترمِذيُّ في صِحاحهم، وصاحبُ الجمعِ بين الصحيحين، وصاحبُ الجمعِ بين الصحاح الستةِ، والإمامُ أحمدُ مِن حديثِ الزهراءِ مِن مُسندِه[٣] ، وابنُ عبد البرّ في ترجمتِها من استيعابِه، ومحمّدُ بنُ سعيدٍ في ترجمتِها من الجزء الثامن من طبقاتِه وفي بابِ ما قاله النبيُّ في مرضِه من المجلّد الثاني من الطبقاتِ أيضاً، واللفظ الذي تسمعُهُ للبُخاريِّ آخر وَرَقةٍ مِن كتاب الاستئذان من الجزء الرابع من صحيحِه، قال: حدَّثَنا موسى عن أبي عوانةَ عن فراس عن عامرٍ عن مسروقٍ، حدَّثَتني عائشةُ أمُّ المؤمنين قالت:

إنّا كُنّا أزواجَ النبيِّ عندَهُ جميعاً لم تُغادِر مِنّا واحدةٌ، فأقبَلَت فاطِمةُ تمشي، لا واللهِ ماتخفَى مِشيتُها مِن مِشيةِ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم. فلمّا رآها رحّبَ وقالَ: «مرحباً بِابنَتي!» ثُمّ أجلَسَها عن يَمينِه أو عن شِمالِه ثُمّ سارّها، فَبَكت بُكاءً شديداً. فَلمّا رَأى حُزنَها سَارّها الثانيةَ إذا هِيَ تَضحكُ. فقُلتُ لها أنا مِن بينِ نِسائه: خَصّك رسولُ اللهِ (صلّى اللهُ عليه وآلِهِ وسلّم) بِالسرّ من بَينِنا ثُمّ أنت تَبكينَ! فَلَمّا قامَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم سألتُها: عمّا سارَّكِ؟ قالَت: «ما كُنتُ لِأُفشِيَ عَلى رسولِ اللهِ سِرَّهُ».

فَلَمّا تُوُفّيَ قُلتُ لها: عَزَمتُ عليكِ بِما لي عليكِ مِن الحقِّ لَمّا أخبرتِنِي؟ قالت: «أمّا الآنَ فَنَعَم». فأخبَرَتني قالت: «أمّا حينَ سارَّني في الأمرِ الأوّلِ فَإنّه أخبرَني أنّ جبرائيلَ كان يُعارِضُه [بِالقُرآن] كُلَّ سَنَةٍ مرَّةً وأنّه عارَضَني به العامَ مرّتين، ولا أرى الأجَلَ إلاّ قَدِ اقتَرَب، فاتقي اللهَ واصبِرِي فَإنّي نِعمَ السلَفُ أنا لكِ». قالت: «فَبَكيتُ بُكائيَ الذي رأيتِ. فَلمّا رأى جزعي سارَّني الثانيةَ قالَ: يا فاطِمةُ! ألا تَرضِينّ أن تَكوني سيّدَةَ نِساء الـمُؤمنينَ أو سيّدَةَ نِساءِ هذه الأُمّة» ـ انتهى.

ولفظُه فيما ذكره ابنُ حجرٍ في ترجمتِها من الإصابة وغيرُ واحدٍ مِن المحدِّثين: «ألا ترضَينّ أن تكوني سَيّدةَ نِساءِ العالَمين؟». وكيف كان فالحديثُ صحيحٌ والنصُّ في تفضيلِها صريحٌ. ⇦

ويروي المفيد في «المجالس» بسنده المتّصل عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام الباقر عليه السلام عن أبيه عن جدّه أنّه قال:

«قَالَ رسولُ اللَه صلّى اللَه عليه وآله وسلّم: إنّ اللَه لَيَغضَبُ لِغَضَبِ فاطِمةَ ويَرضى لِرِضاها».(١)

وعن «المجالس» للمفيد أيضًا و «الأمـالي» للشـيخ الطـوسي رضـوان اللَه عليهما بإسناد متّصل عن سعد بن مالـك (أي ابـن أبي وقّـاص) **قـالَ: سَـمِعتُ رسولَ اللَه صلّى اللَه عليه وآله وسلّم يقولُ:**

⇦ وأخرجَ ابنُ سعدٍ (في باب ما قاله النبيُّ في مرضِه، من المجلّد الثاني من طبقاتِه) بالإسنادِ إلى أمّ سلمةَ قالت: **لمـّا حُضِر رسولُ اللهِ صلّى اللَه عليه وآله وسلّم دَعا فاطمةَ فَناجاها فَبَكت، ثُمّ ناجاها فَضَحِكت. فَلَم أسأَلها حتى تُوُفّيَ رسولُ اللهِ صلّى اللَه عليه وآله وسلّم فَسَألتُها عن بُكائِها وضِحكِها فقالَت: «أخبَرَني أنّه يَموتُ ثُمّ أخبَرَني أنّي سيّدةُ نِساءِ أهلِ الجنّة»** ـ الحديث.

(وأخرَجَه أيضاً أبو يعلى كما في ترجمةِ الزهراءِ من الإصابةِ بالإسنادِ إلى أمّ سلمة، ورواه غيرُ واحدٍ من أهلِ الحديثِ)] .

---

[١] راجع آخر صفحة ٦٤، من الجزء الرابع من صحيحه المطبوع بالطبعة المليحيّة سنة ١٣٣٢.

[٢] راجع بابَ فضائل فاطمةَ، من الجزء الثاني من صحيحه، تجد طُرُقه في هذا الحديث إلى عائشةَ مُتعدّدةً.

[٣] راجع صفحة ٣٨٢ من الجزء السادس من المـُسند.

(١) ***بحار الأنوار***، [طبعة الكمباني] ، ج ١٠، ص ٧؛ [ومن الطبعة الحروفية، ج ٤٣، ص ١٩].

«فاطِمةُ بَضعةٌ مِنّي؛ مَن سَرَّها فَقَد سَرَّني، ومَن ساءَها فَقَد ساءَني. فاطِمةُ أَعَزُّ الناسِ إِلَيَّ». (١)و(٢)

ويُحدّث الشيخ الطوسي في «الأمالي» بسند متّصل عن جميع بن عمير قال:

قالت عمّتي لِعائشةَ وأنا أسمعُ لَهُ: أنتِ مَسيرُكِ إلى عليٍّ ما كان؟ قالَت: دَعينا مِنكِ! إنّه ما كان مِن الرجالِ أحبُّ إلى رسولِ اللّه مِن عليٍّ ولا مِن النساءِ أحبُّ إليه مِن فاطمةَ. (٣)

* * *

---

(١) ***نفس المصدر***، ص ٩؛ [ومن الطبعة الحروفية، ص ٢٣].

(٢) يقول الفخر الرازي في تفسيره، الطبعة الثانية لدار الكتب العلميّة، ج ٢٧، في ذيل آية المودّة، ص ١٦٦: **قالَ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: «فاطِمةُ بَضعةٌ منّي يُؤذيني ما يُؤذيها».**

(٣) ***بحار الأنوار***، [طبع الكمباني]، ج ١٠، ص ٩؛ [ومن الطبعة الحروفية، ج ٤٣، ص ٢٣].

[ويروي آية اللّه السيّد شرف الدين العاملي في كتاب ***الكلمة الغرّاء*** ص ٢٤٦:

وَأَخرجَ ابنُ عبدِ البرّ (في ترجمةِ الزهراءِ مِن استيعابه) بالإسنادِ إلى ابنِ عُمَيرٍ قال: **دَخَلتُ على عائِشةَ فَسَألتُها أيُّ الناسِ كانَ أَحَبَ إلى رسولِ اللهِ صلّى اللّهُ عليهِ وآلِهِ؟ قالَت: فاطِمةُ. قُلتُ: فَمِنَ الرجالِ؟ قالَت: زوجُها**].

المجلس الثالث

(خلاصة موعظة يوم الجمعة ٢ جمادى الأولى ١٣٩١هـ)

مسجد القائم في طهران

معنى المودة الواجبة

أعوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيم

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطيِّبِينَ الطَّاهِرين

وَلَعنَةُ اللهِ عَلَى أعْدائِهِمْ أجْمَعين مِنَ الآنَ إلَى قِيامِ يَوْمِ الدّين

وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلّا بِاللهِ العَليِّ العَظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[1]

أجمع المفسّرون من الخاصّة تبعاً للروايات الواردة من طرقنا على أنّ المقصود من ﴿ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ هم أهل بيت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم. إلّا أنّ «القربى» فُسّرت بمعاني مختلفة في تفاسير أهل السنّة، ونحن لأجل إدراك حقيقة الأمر سنذكر المعاني التي ذكروها لهذه اللفظة والردّ على ما ذكروه.

---

(١) سورة الشورى (٤٢)، الآية ٢٣.

معاني المودّة الواردة في الآية والتأمّل فيها

المعنى الأوّل: الخطاب لقريش والمودّة أجرٌ لقرابته منهم

المعنى الأول: وهو الذي نسب إلى جمهور من مفسـّري أهل السنّة؛ مِن أنّ الخطاب لقريش والأجر الذي قد وقع في مورد السؤال هو مودّتهم للنبي صـلّى اللَه عليه وآله وسلّم لقرابتـه مـنهم؛ وذلـك لأنّهـم كـانوا يكذّبونـه ويبغضـونه لتعرّضه لآلهتهم، فأُمر صلّى اللَه عليـه وآلـه وسـلّم أن يسـألهم: إن لم تؤمنـوا بي فودّوني واتركوا البغض والعداء جانبًا ـ كحدّ أدنى ـ لقرابتي منكم؛ فـ«القُـربى» هنا مصدرٌ بمعنى القرابة، ولفظةُ «في» استعملت بمعنى السببيّة.

وقد ذكر هذا المعنى الفخر الرازي في تفسيره في ذيل الآية الشريفة ونسبه إلى ابن عبّاس نقلاً عن الشعبي[١]. ونسبه في مجمع البيان إلى ابن عبّـاس وقتـادة ومجاهد وجماعة غيرهم[٢]. وعليه يكون المعنـى : **إن لَم تُؤمنـوا بي ولَم تَـودّوني لأجل النبوّة فودّوني لأجل القرابة التي بيني وبينكم.**

يقول في لسان العرب:

والقرابة والقربى: الدنوّ في النسب والقربى في الرحم... .

---

(١) ***تفسير الفخر الرازي***، ج٢٧،ص ١٦٤. (م)

(٢) ***مجمع البيان*** (طبع صيدا)، ج٥، ص٢٨. (م)

إلى أن قال:

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي: إلّا أن تودّوني في قرابتي منكم.[١]

ويُرجِّح هذا المعنى كلّ من الآلوسي في تفسير «روح المعاني»[٢] والشيخ إسماعيل حقّي في «تفسير روح البيان»[٣]، ولكنّ تفسير الكشّاف يذكر هذا المعنى معبّراً عنه بقوله: «قِيل»، أي: إنّه احتمالٌ ضعيفٌ وأحد الأقوال الواردة.[٤]

ولكنّ هذا المعنى غير صحيح كما بيّن ذلك العلّامة الطباطبائي في تفسير «الميزان» قائلاً:

إنّ معنى الأجر إنّما يتمّ إذا قوبل به عملٌ يمتلكه معطي الأجر، فيعطي العامل ما يعادل ما امتلكه من مالٍ ونحوه، فسؤال الأجر

---

(١) يقول في ***أقرب الموارد***: «**القربة**: القرب، قيل: القرب في المكان، والقربى في الرحم، والقربة في المنزلة، والأصل واحد».

(٢) ***تفسير [روح المعاني] للآلوسي***، ج٢٥، ص٣١؛ [ومن طبعة دار الكتب العلميّة، ج١٣، ص٣١].

(٣) ***روح البيان*** (طبع المطبعة العثمانية)، ج٨، ص٣١١. (م)

(٤) ***تفسير الكشّاف*** (طبعة دار الكتاب العربي)، ج٤، ص٢٢١. (م)

من قريش وهم كانوا مكذّبين له كافرين بدعوته إنّما كان يصحّ على تقدير إيمانهم به صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ لأنّهم على تقدير تكذيبه والكفر بدعوته لم يأخذوا منه شيئاً حتّى يقابلوه بالأجر، وعلى تقدير الإيمان به ـ و النبوّة أحد الأُصول الثلاثة في الدين ـ لا يتصوّر بغض حتّى تُجعل المودّة أجراً للرسالة[١].

أضف إلى ذلك أنّ لفظة «في» ظاهرة في الظرفيّة، مع أنّها قد تُستعمل في معنى لام التعليل، نحو: «**إنّ امرأةً دخلت النار في هرّة**»، لكنّ هذا المعنى خلاف الظاهر ومع عدم القرينة القطعيّة لا يمكن أن نترك حملها على المعنى الأوّلي الحقيقي وأن نحملها على المعنى الثانوي المجازي. ولذلك أبقى الزمخشري لفظة «في» على معنى الظرفيّة وفسّر الآية بناءً على هذا المعنى، وبيّن أنّ المقصود من المودّة في القربى هي المودّة في حقّ أقرباء النبيّ صلّى الله عليه وآله.

كما أنّ المرحوم السيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي في كتابه «الفصول المهمّة» ردّ هذا المعنى من الآية الشريفة بخمسة أدلّة. إلّا أنّه ليس الغرض الآن أن ننظر إلى الأخبار أو أن نتجاوز متن الآية، ولذا سنكتفي بهذا الوجه الذي ذكرناه.

---

(١) ***تفسير الميزان***، ج١٨، ص٤٣. (م)

المعنى الثاني: الخطاب للأنصار، والمودّة أجرٌ لقرابته منهم

المعنى الثاني: أنّ الخطاب لأنصار المدينة، والمراد من القربى نفس المعنى الأوّل، يعني: يا أنصار المدينة الذين آمنتم، أنا لا أُريد مقابلاً للرسالة إلّا أن تودّوني وذلك تبعاً للقرابة والارتباط فيما بيننا. وبناءً على نقل الآلوسي في «روح المعاني» من بعض التواريخ أنّ النبيّ كان له قرابة من جهة سلمى بنت زيد النجّاريّة أُمّ عبد المطَّلب ومن جهة أخوال أُمّه آمنة الذين كانوا من أنصار المدينة.(١)

وهذا المعنى أيضًا غير تامٍّ؛ لأنّه **أوّلًا**: لا مجال للشكّ والشبهة في محبّة ومودّة أنصار المدينة للنبيّ، ولا داعي لأن يدعوهم النبيّ لمودّته، فالأنصار في بادئ الأمر ومع كامل العشق والمحبّة للنبي قاموا بدعوته من مكّة للمدينة ثمّ قاموا باستضافته على أتمّ وجه. كذلك آووا المهاجرين في منازلهم ولم يتوانوا عن تقديم أيّ نوع من الإحسان المالي والنفسي لهم، بل قدّموهم على أنفسهم إلى الحدّ الذي مدحهم الله في سورة الحشر: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾(٢).

---

(١) *روح المعاني*، ج٢٥، ص٣٠؛ [ومن طبعة دار الكتب العلميّة، ج١٣، ص٣١].

(٢) سورة الحشر (٥٩)، الآية ٩.

والأنصار هم الذين آمنوا واختاروا السكن في منزل الإيمان قبل أن يأتي مهاجروا مكّة إليهم، وهم الذين أظهروا المحبّة والارتباط مع الأفراد الذين هاجروا إليهم، ولم يتوانوا في الأموال والأرزاق التي أعطاها المهاجرون إيّاهم، ومع الفقر والحاجة، قدّموا المهاجرين أيضًا على أنفسهم في تمام شؤون المعيشة.

فينبغي التأمّل بأنّه عندما تكون محبّتهم لمؤمني مكّة إلى هذا الحدّ، فما حدود محبّتهم للرسول إذن؟! وفي هذه الحالة ما معنى أن يقوم الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم بالتوسّل إلى مودّتهم بقرابته منهم هذه القرابة البعيدة وأن يدعوهم لمحبته في ظلّ وجود المحبّة والمودّة الوطيدة معه؟!

وثانيًا: أنّ العرب لم يكونوا يرون وجوب احترام القرابة من جهت الأُمّ أو المرأة، حتّى يأتي النبي ويعرّف نفسه لقومه وأهله على موجب ذلك. على أن العرب قبل الإسلام ـ كما أفاد العلاّمة الطباطبائي ـ ما كانت تعتني بالقرابة من جهة النساء ذاك الاعتناء، وإنّما أدخل الإسلام النساء في القرابة وساوى بين أولاد البنين وأولاد البنات.[1]

---

(١) ***تفسير الميزان***، ج ١٨، ص ٤٤. (م)

المعنى الثالث: الخطاب لقريش وأرحام النبيّ والمودّة أجرُ الرحميّة

المعنى الثالث: أنّ الخطاب لقريش ولأقرباء النبي، والمودّة في القربى هي المودّة بسبب القرابة الرحميّة، غير أنّ المراد بها مودّة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لا مودّة قريش، وعليه يكون الاستثناء منقطعاً. ومحصّل المعنى يُصبح هكذا: **إنّي لا أسألكم أجراً على ما أدعوكم إليه من الهدى الذي ينتهي بكم إلى روضات الجنّات والخلود فيها ولا أطلب منكم جزاءً، بل إنّ حبّي لكم ـ بسبب قرابتكم منّي ـ دفعني إلى أن أهديكم إليه وأدلّكم عليه.**

وهذا المعنى أيضًا غير سديدٍ؛ إذ بالرجوع إلى الآيات القرآنيّة ولسيرة الرسول الأكرم نجد **أوّلًا**: أنّ الدافع لدعوة الرسول كان أمر الله فقط، ولم يكن عند الرسول إرادة في مقابل إرادة الله سبحانه، ولم يحصل أيّ حبٍّ أو بغضٍ شخصيٍّ ليكون باعثاً وموجباً للدعوة. بل ورد ذلك في كثير من الآيات نحو قوله تعالى: **﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾**[1]، وقوله تعالى: **﴿طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾**[2]. وقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ**

(١) سورة الرعد (١٣)، ذيل الآية ٤٠.

(٢) سورة طه (٢٠)، الآيات ١ إلى ٣.

﴿عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[(١)] وقوله تعالى: **﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ١٢٩﴾**[(٢)].

وثانيًا: لقد كانت دعوة النبيّ عامّة ومحبّته للناس محبّة إلهيّة، ولقد كانت قريش وغيرها عند النبيّ سواء. مضافاً إلى أنّ «إلّا» ظاهرةٌ في الاستثناء، ومن المؤكد أنّ حملها على معنى «بل» الإضرابيّة خلاف الظاهر، ومع عدم القرينة لا يمكن استعمال «إلّا» في معنى «بل».

المعنى الرابع: القربى بمعنى التقرّب لله والمودّة هي التودّد لله

المعنى الرابع: أنّ القربى بمعنى التقرُّب إلى الله، والمودّة في القربى هي التودّد إليه تعالى بالطاعة والتقرّب، وعليه يتحصّل هذا المعنى: **يا أيّها النبي قل: أنا لا أريد منكم أجراً إلّا أنّ تظهروا لله عزّ وجلّ المحبّة من خلال الأعمال الصالحة وكل عمل يقرّبكم إليه.** وهذا المعنى ينقله الفخر الرازي عن الحَسَن [البصري].[(٣)]

---

(١) سورة الغاشية (٨٨)، قسم من الآيات ٢١ و ٢٢.

(٢) سورة التوبة (٩)، الآية ١٢٩ .

(٣) تفسير الفخر الرازي، ج٢٧، ص١٦٥. (م)

وهذا المعنى غير تامٍّ أيضًا؛ و ذلك **أوّلًا**: لأنّ القربى ظاهرة في معنى القرابة من جهة الرحميّة والنسب، وواضح أنّه لا يوجد لأحد قربٌ أو قرابةٌ مع الله من هذه الجهة. ومع عدم الدليل لا يمكن استعمال لفظ القربى في مطلق معنى القرب والتقرّب.

وثانيًا: المودّة التي استعملت في الآية غير التودّد؛ لأنّ المودّة ظاهرة بمعنى الحبّ والمحبّة، أمّا التودّد فظاهر إمّا بمعنى طلب المحبّة وجلبها، أو بمعنى إظهار المحبّة إذا استعملت مع لفظ «إلى» ؛ فيقال: **تودّده: طلب مودّته واجتلب ودّه**، ويقال: **تودّد إليه: تحبّب إليه وأظهر محبّته له.**

ولو صرّحت الآية بالقول **«إلّا التودّد في القربى»** لكان فيها وجه لحملها على هذا المعنى، فعلى الوجه الأوّل يتحصّل المعنى التالي: **اطلبوا المحبّة من الله بواسطة الأعمال الصالحة التي تتقربون فيها إليه**. وعلى أساس الوجه الثاني يكون المعنى: **أظهروا المودّة والمحبّة بواسطة الأعمال الصالحة التي تتقرّبون فيها إليه**. ولكن في الآية المباركة لم يأتِ لفظ التودّد، بل الوارد هو لفظة «المودّة» بمعنى المحبّة، وفي هذه الحالة لا يكون هناك معنى للقول: أحبوا الله بواسطة الأعمال الصالحة.

وثالثاً: أنّ مادّة المودّة ليست بمعنى المحبّة، بل أفاد الراغب الأصفهاني نقلاً عن بعض في «المفردات في غريب القرآن» ، أنّ في المودّة إشعاراً في المراعاة والتطلّع إلى حال المحبوب والعناية به. ولذا نُسب هذا المعنى في

القرآن المجيد إلى الله تعالى، كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾[٢].[٣] لأنّه يصحّ أن يقال: إنّ الله يعتني بأحوال عباده، ولأجل مراعاة أحوالهم يتطلّع إليهم دائماً. ولكن لا يستقيم هذا المعنى من جهة العبد، ولا يمكن أن يقال: إنّ العبد يتفقّد ويتطلّع إلى الله ويحضر قلبه إليه، ولذا لا يجب القول: إنّ المؤمنين لديهم مودّة لله، بل يجب القول: إنّ لديهم محبّة لله.

المعنى الخامس: القربى هي الرحميّة بين الناس والمودّة بمعنى تودّد الناس لبعضهم.

المعنى الخامس: أنّ القربى وردت بنفس معنى القرابة النَسَبِيّة والرَحِميّة، ولكن لا قرابة الرسول بل قرابة الناس بعضهم لبعض. وبناءً على ذلك يصبح المعنى: **أيّها النبي قل: إنّني لا أريد منكم جزاءاً ولا أجراً أبداً، إلّا أن تتوادّوا وتتحابّوا مع أرحامكم وأقربائكم.**

وهذا المعنى غير سديدٍ قطعاً؛ لأنّ الإسلام قطع أرحام الجاهليّة ومنع التودّد مع الأقارب غير المسلمين، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

(١) سورة هود (١١)، الآية ٩٠.

(٢) سورة البروج (٨٥)، الآية ١٤.

(٣) *المفردات* [للراغب الأصفهاني]، الطبعة الأولى لدفتر نشر، ص ٥١٧.

﴿ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[1].

وعلى هذا الأساس فمن ضروريّات الدين أنّ الولد الكافر لا يرِث من الأب المُسلم وبالعكس، يعني: أنّ الكافر لا يرث من المسلمين في كلّ طبقةٍ من طبقات الإرث. وقد حَرَم الإسلام الكفّار في سائر الجهات الاجتماعيّة من هذه الخصائص من النكاح وغيره وإن كان عندهم صِلات قرابة مع المسلمين. وعليه كيف يمكن القول بالمودّة بشكل مطلق للأقرباء، مع أنّ مفاد الجملة الاستثنائيّة أجر مقام الرسالة.

وإذا قيل: إنّ الجملة الاستثنائيّة مخصَّصة أو مقيَّدة بالآية: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ...﴾، فينبغي الإجابة بأنّ سياق جملة: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ لا يلائم التخصيص؛ لأنّه قد بيّن أجر الرسالة في هذه الجملة وهذا المعنى له أهميّة بالغة، وإذا كان هناك تخصيص لعمومه وإطلاقه، للزم أن يُذكر.

وثانيًا: أنّ سياق الآية: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ...﴾ناظر إلى التنويه بالمؤمنين الذين مع إيمانهم بالله واليوم الآخر لم يقع حبّ الكفّار في قلوبهم، وإلى أنّ الإيمان قد كتب في قلوبهم وأنّهم سيخلدون في روضات الجنان. فإنّ هذا السياق والخطاب غير ناظر إلى جهة التخصيص في آية المودة في القربى.

(١) سورة المجادلة (٥٨)، قسم من الآية ٣٢.

والحاصل: مع أنّ الإسلام أكّد على أهمّيّة الرحم والقرابة، لكنّ ذلك كان بعنوان صلة الرحم وإيتاء المال لذوي القربى ونظائر ذلك، لا بعنوان مطلق المحبّة، بل المحبّة إليهم في ضوء المحبة لله ممدوحة، أي: في حالة كونهم مؤمنين.

لقد أورد هذه المعاني التي ذكرت في تفسير هذه الآية جمع من علماء أهل السنّة. وبالإضافة إلى ما ذُكر من جواب، يمكن القول: إنّه لا دليل على شيء من هذه المعاني، يعني: لنفرض أنّ الآية حُملت على معنى مع إمكان حملها أيضًا على معنى غيره، فعليه لا يمكن الجزم بتفسيرها بمعنى معيّن من دون دليل، لا سيّما في مثل هذه الآية التي تتناول الأجر المقابل للرسالة، ويمكن بلحاظ الأهمّيّة القول: إنّها من أهم آيات القرآن، وذلك لأنّ كلّ واحدٍ يفهم هذه الآية ويعمل على طبقها يكون قد أعطى أجر الرسالة، والذي لا يفهمها ولا يعمل على طبقها لا يكون قد أعطى أجراً ولا جزاءاً على الرسالة. بناءاً على ذلك إنّ الذي يقوم بتفسير هكذا آية بدون دليل ولا شاهد، بل على طبق رأيه وذوقه يحتاج بذلك إلى الكثير من الجرأة، لأنّه إنّما يتجرّأ على ربّه.

المعنى الصحيح للمودّة الواجبة

وأمّا بالنظر إلى العديد من الروايات الواردة من طرق أهل السنّة والأخبار المستفيضة الواردة من طرق الشيعة في تفسير الآية، فبالإضافة إلى الروايات

المتواترة عن طريق الشيعة والسنّة في الحثّ على موالاة أهل البيت عليهم السلام ومحبّتهم، يتّضح معنى الآية على أساسها أنّه: **يا أيّها النبي قل: أنا لا أطلب منكم أجراً إلّا موالاة أهل بيتي.**

ويتبيّن حقيقة هذا المطلب وسرّه من خلال الروايات المتواترة عن طريق الشيعة والسنّة في ضرورة إرجاع الناس إلى أهل البيت عليهم السلام في فهم القرآن المجيد وأصول معارف الدين وفروعه وفي بيان حقائق كتاب اللَه وفي لزوم التمسّك بهم. وعليه لا ينبغي الشك لدى الشخص المُنصِف في أنّ المراد بالمودّة في القربى: عين موالاة أهل البيت عليهم السلام التي جعلت كأجرٍ وجزاءٍ على الرسالة فتكون وسيلةً في إرجاع الناس إلى تلك الذوات المقدّسة في كشف الحقائق العلميّة ورفع المصائب الاجتماعيّة ولزوم الاعتماد على تلك الذوات الطاهرة في جلب المنافع والخيرات ورفع المشاكل.

فأيّ شخصٍ مُنصفٍ يتأمّل في الروايات الصحيحة المتواترة عن طريق الشيعة والسنّة التي نُقلت عن رسول اللَه ـ كحديث السفينة: «**مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِق**»[1]، وحديث الثقلين: «**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَه وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا**

(١) ينقل هذا الحديث الفخر الرازي في تفسيره في ذيل آية مودّة القربى، في الجزء ٢٧،ص ١٦٧.

عَلَيَّ الْحَوْضِ»[(١)]، وقوله صلّى الله عليه وآله: **«أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ فَلْيَأْتِهَا مِنْ بَابِهَا»**[(٢)] ويُلاحِظ الكثير من الروايات الواردة في وجوب محبّتهم، لا يتردّد في أنّ وجوب المودّة والأجر للرسالة يكون في إرجاع الأمّة إليهم وفي كسب الفضائل المعنويّة منهم والاقتداء بسيرتهم وطريقتهم في جميع

(١) ينقل هذا الحديث أحمد ابن حنبل بطريقين صحيحين عن زيد بن ثابت: الأوّل في أوّل ص ١٨٢، والثاني في آخر ص ١٨٩ من مسنده في هذه الصورة: قال النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **«إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»**.

يقول في تفسير الدرّ المنثور طبع دار المعرفة، ج٦، ص٧: وأخرج الترمذيّ وحسّنه ابن الأنباري في المصاحف عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **«إنّي تاركٌ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»**.

ويذكر الحديث في غاية المرام ص ٢١١ بعد ٣٩ طرق عن العامّة و٨٢ طريق عن الخاصّة.

[وجديرٌ بالذكر أنّ المؤلّف (العلامة الطهراني قدّس سرّه) قد بحث هذا الحديث بشكلٍ وافٍ من ناحية أسناده وإثبات تواتره ودراسة دلالته، ولمزيدٍ من الاطّلاع، راجع: كتاب «***معرفة الإمام***»، الجزء ١٣، الدرس ١٨٦ إلى ١٩٥، ص ١٦٩ إلى ص ٤٠٤].

(٢) جديرٌ بالذكر أنّ المؤلّف (العلامة الطهراني قدّس سرّه) قد بحث في هذا الحديث وفي أسانيده بنحوٍ وافٍ، ولمزيدٍ من الاطّلاع، راجع: كتاب ***«معرفة الإمام»***، ج ١١، الدرس ١٥٣، ص ٤٣ إلى ص ١١٩، كذلك راجع: كتاب ***«الغدير»***، ج ٦، ص ٦١. (م)

مراحل الحياة: الجسميّة والروحيّة، المادّية والمعنويّة، الظاهريّة والباطنيّة، الدنيويّة والأخرويّة!

المودّة تقتضي الاتّباع والاقتداء

ولأنّ مودّة أهل البيت تستلزم اتّباعهم والاقتداء بسننهم وآدابهم وتستلزم أيضًا التعرّف على علومهم وكشف حقائق القرآن ومراتب التوحيد، لذا تصبح هذه المودّة بمنزلة بقاء للرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله ودوام وجوده المقدّس وبمنزلة سلسلة العلل الحافظة للإسلام، وأثراً من آثار النتائج الحاصلة من جهوده صلّى الله عليه وآله وسلّم التي تجشّمها، وعليه تكون حقّاً أجراً وجزاءاً على الرسالة؛ لأنّه بناءً على البيان السابق من أنّ الدّاعي من الرسالة هو وصول أفراد البشر إلى مراتب الإنسانيّة وعروجهم من سطح البهيميّة إلى مستوى البشرية والوصول إلى الأهداف الإنسانية الرفيعة والخروج من كلّ أنواع الشرك ثمّ الوصول إلى سلسلة مراتب التوحيد، فإذا سار أحد كذلك فإنّه حقّاً سيكون قد دفع أجر الرسالة. وهذا السير لن يحدث بدون الارتباط والمودّة بأهل البيت الذي له حكم بقاء وجود نفس رسول الله ودرجة نفسه النفيسة.

مع أنّه لم يشكّ أحد من المسلمين في أنّ أهل البيت هم الحامل الوحيد لعلوم الرسول الأكرم، وهذا المعنى موضع تصديق أيضًا بين علماء العامّة، كما

أنّ المسلمين الأوائل كانوا يعلمون بأنّ أهل البيت حاملوا أسرار القرآن والعلوم النبويّة وأنّهم حلّالوا المشاكل العِلميّة والعَمليّة.

لذا فالمودّة لأهل البيت والتأسّي بهم استمرارٌ للمودّة برسول اللَه والتأسّي به صلّى اللَه عليه وآله، وستحيا نفس رسول اللَه القدسيّة بعد ارتحاله في حياة أهل البيت، وهذه هي العلّة لعدم انفكاك القرآن عن العترة إلى قيام الساعة والورود إلى جانب حوض الكوثر، فكأنّ نفس النبي التي هي نفس وروح القرآن ستحيا وتخلّد مع كتابه الذي هو كتاب اللَه إلى يوم القيامة، نظير المعنى والصورة الحافظ لعالم البشريّة والهادي للبشريّة إلى مقام الكمال والسعادة.

بعض الإشكالات على هذا المعنى والردّ عليها

ولا ننسى أن نذكّر بأنّ بعضهم قد توهّم أنّ تفسير آية المودّة في القربى بأهل البيت فيها تنافٍ مع شأن النبيّ؛ لأنّه يقرّ بوجود أفضليّة لأرحامه وأقربائه الخواصّ في مقابل الرسالة ويكون قد جرّ المنفعة إلى خلفائه من أهل البيت. ويشهد له التنافي مع الآيات القرآنيّة التي دلّت أوّلًا على أنّ تمام الأنبياء ما أرادوا شيئاً من الأجر والجزاء من أُممهم، وأنّ قوله تعالى: ﴿**قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ**﴾[1] يفيد أنّ النبيّ لم يطلب الأجر والجزاء.

---

(١) سورة الأنعام (٦)، جزء من الآية ٩٠.

وفيه نظرٌ من عدّة جهات:

الأوّل: أنّه بحسب الدليل الذي ذكرناه سابقاً يلاحظ أنّ المودّة في القربى هي نفس الوصول إلى الله سبحانه، كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾[1]، والوصول إلى الله عين مودّة ومحبّة أهل البيت عليهم السلام كما أنّه منحصر في محبّتهم، ولم يتعلّق بنفس النبي، بل تعلّقت منافعه بالناس والأمّة.

وعليه فما ذُكر من أنّ الأجر والجزاء في الحقيقة مفاده عود المنفعة والفائدة بطرف الإنسان في إزاء العمل الذي قد قام به ليس متحقّقاً هنا، والاستثناء منقطع، وهذا المعنى توضّحه الآية المباركة: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ﴾[2]، أي: قل يأيّها النبي بأنّ الأجر الذي سألتكم عنه يكون لكم، وعليه ففائدة مودّة ذوي القربى ستعود عليكم وأجري ومجازاتي فقط على الله سبحانه.

الثاني: أنّه على أساس هذا المعنى فالمخاطب في هذه الآية هم المسلمون والآية مدنيّة. فكيف يمكن للمسلمين أن يحدثوا أوهاماً من هذا القبيل بعد

---

(١) سورة الفرقان (٢٥)، الآية ٥٧.

(٢) سورة سبأ (٣٤)، الآية ٤٧. (م)

إيمانهم بالرسول الأكرم وتصديقهم بعصمته ومشاهدتهم جميع مراتب عظمة وسعة الروح وعلوّ المقام؟!

فإذا كان هذا المعنى مخالفاً لمرتبة النبوّة مع سخافة هذه الاتّهامات فلا يجب الحكم والتصديق به. ومع أنّه لو قيل به للزم القول بمنافاة سائر الامتيازات للرسول الأكرم التي دلّت الآيات القرآنيّة عليها من قبيل وجوب الإطاعة المطلقة والتسليم المحض في قبال أوامره، وكاختصاص الأنفال والغنائم به واختصاص الخمس بذوي القربى، واختصاصه بالأمر الذي أبيح له في مسألة النساء، وستكون هذه الأحكام مخالفة للواقع ومنافية لشأن الرسول صلّى اللَه عليه وآله، مع أنّه لا قائل بذلك.

الثالث: أنّه لنفرض أنّنا صرفنا النظر عن معنى الآية ولم نفسّر قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ على وجوب المودّة لأهل البيت (دفعاً لهذا الاتّهام)، لكن ما محلّ الأخبار المتواترة الخارجة عن العدّ والإحصاء من طرق السنّة والشيعة الصريحة في وجوب المودّة لأهل البيت عليهم السلام؟!

فإذا التزمنا بأنّ وجوب المودّة لأهل البيت يكون منافياً لشأن الرسالة فما الفرق بين أن تدلّ آية قرآنيّة على ذلك، أو إخبار الرسول من غير طريق القرآن؛ لأنّه بناءً على الفرض فإنّ نفس الدّعوة إلى أهل البيت وإلزام الأمّة بوجوب مودّتهم مستلزمة للمحذور، لا خصوص دلالة القرآن!

والحاصل فإنّ قرب أهل بيت الرسالة من النبي الأكـرم لا يقتصـــر عـلى القرب المادّي والجسمي، بل يتعدّاه إلى القرب الروحي والحقيقـي بـه. وظـاهر هذه العلّة يقتضي أنّهم كانوا من جميع الجهـات نفـس النبـيّ وأثـره الظـاهر في المراتب العلميّة والأخلاقيّة والمعنويّة، فالرجوع إلـيهم في حكـم الرجـوع إلى نفس رسول الله وإلى أجر الرسالة.

دلالة الأحاديث والروايات الواردة في المقام

يروى الكلبي عن ابن عبّاس أنّه قال:

إنّ النبيّ صلّى الله عليه و[وآله] سلّم لمّا قَدِم المدينة كانت تعروه نوائبٌ وحقوق وليس في يده سَعة، فقال الأنصار: إنّ هذا الرجل قد هداكم الله على يده، وهو ابـن أُخـتكم وجـاركم في بلـدكم، فاجمعوا له طائفة من أموالكم ففعلوا ثمّ أتوه به فردّه عليهم، فنزل قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ أي: على الإيمان إلّا أن تودّوا أقاربي فحثّهم على مودّة أقاربه[1].

كما قد ورد في تفسير الآلوسي أنّه روى ذاذان عن عليّ كرّم الله وجهه قال:

---

(١) *تفسير الفخر الرازي*، ج٢٧، ص١٦٤.

فينا في آل حم[١] آيةٌ لا يحفظ مودّتنا إلّا مؤمن. ثمّ قرأ هذه الآية.

ثمّ أردف قائلاً: وإلى هذا أشار الكميت في قوله:

وجدنا لكم في «آل حـم» آيـة تأوّلهـا منّـا تقـيّ ومُعـرب[٢]

وفي تفسير مجمع البيان يروي بإسناده المتّصل عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس أنّه قال:

لمّا نزلت ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ـ الآية، قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودّتهم؟ قال: علي وفاطمة ووُلدهما.[٣]

وينقل عين هذا الحديث أيضًا في ينابيع المودّة عن مسند أحمد بـن حنبـل بإسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس.[٤]

(١) المقصود من «آل حم» سلسلة سور حم وعددها سبعة ويُقال لها: الحواميم. فقد عبّر سـلام الله عليه بآل حم لوقوع آية المودّة في القربي في سورة الشورى التي هي إحدى سور الحواميم.

(٢) ***روح المعـاني للآلـوسي***، ج٢٥، ص٣١؛ [ومـن طبعـة دار الكتـب العلميّـة، ج١٣، ص٣٢]، وأيضاً قد ورد في ***ينابيع المودّة*** (طبعة النجف)، ص١٢٤؛ وفي ***مجمع البيان***، ج٥، ص٢٩؛ [وكذلك قد أورد آية الله السيّد شرف الدين العاملي هذه الروايـة وهـذا الشـعر في كتـاب «***الكلمـة الغـرّاء***»، ص ٢٢١].

(٣) ***مجمع البيان*** (طبعة صيدا)، ج٥، ص٢٨.

(٤) لقد ورد هذا الحـديث في ***ينـابيع المـودّة*** (طبعـة النجـف)،ص ١٢٣، ولكـن بلفـظ «الحسـن والحسين» مكان لفظ «وُلدهما». ثم يقول: وينقل هذا الحديث كل من الطبراني في «***المعجم الكبـير***»

وقال الزمخشري في تفسير الكشّاف:

رُوي أنّها لـمّا نزلت، قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: «عليٌّ وفاطمة وابناهما».

ويروي أيضا في ينابيع المودّة عن صحيحي البخاري ومسلم: سأل ابن عبّاس عن هذه الآية، فقال سعيد بن جبير: هي قربى آل محمّد صلّى الله عليه [وآله] وسلّم.

ويروي في تفسير مجمع البيان بإسناده عن كتاب «شواهد التنزيل لقواعد التفصيل» مرفوعاً عن أبي أُمامة الباهلي قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] : إنّ الله تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتّى وخُلقت أنا وعلي من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعلي فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمارها وأشياعنا أوراقها، فمن تعلّق بغصنٍ من أغصانها نجا، ومن زاغ عنها هوى. ولو أنّ عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثمّ ألف عام ثمّ

وابن أبي حاتم في تفسيره والحاكم في «*المناقب*» والواحدي في «البسيط» والحافظ أبو نعيم في «*حلية الأولياء*» والثعلبي في تفسيره والحمويني في «*فرائد السّمطين*». وينقل هذا الحديث السيد شرف الدين العاملي في «*الفصول المهمّة*» (الطبعة الخامسة، مطبعة عثمان ـ النجف)،ص ٢١٩، عن ابن عبّاس بسلسلة إسناد ابن منذر وابن مردويه المقريزي والبغوي في تفاسيرهم والسيوطي في «*الدرّ المنثور*» والحافظ أبو نعيم في «*حلية الأولياء*» والحمويني في «*فرائد السمطين*» وغيرهم من المحدّثين والمفسّرين. وقد ذكر في تفسير «*الدرّ المنثور*» لفظ «ولداهما» مكان لفظ «ابناهما».

ألف عام حتّى يصير كالشنّ البالي ثمّ لم يدرك محبّتنا كبّه الله على منخريه في النار. ثمّ تلا: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[1].

وخرّج الآلوسي في تفسيره عن ابن جرير عن أبي الديلم قال:

لمّا جيء بعلي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما أسيراً فأقيم على درج دمشق قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم فقال له علي رضي الله تعالى عنه: أقرأت القرآن؟ قال: نعم قال: أقرأت آل حم؟ قال: نعم قال: ما قرأت ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ قال: فإنكم لأنتم هم؟ قال: نعم[2].

---

(١) ***مجمع البيان***، ج٥،ص ٢٨؛ ويرويه كذلك السيد شرف الدين في «***الفصول المهمّة***»، ص ٢٢٠ عن الحاكم في تفسيره، كما قد ورد في «***مجمع البيان***» بإسناده عن أبي أمامة الباهلي.

كما أنّ العلامّة الأميني في «***الغدير***» في الطبعة الرابعة لدار الكتاب العربي، ج٢، ص٣٠٨ يروي هذه الرواية باختلاف بسيط ، عن الحافظ الطبري وابن عساكر والحاكم الحسكاني في «***شواهد التنزيل***» بطرق عديدة عن أبي أمامة الباهلي، ويقول أيضاً: إنّ الكنجي ذكره في ***الكفاية*** ص ١٧٨.

ويقول في التفسير المنسوب لمحيي الدين ابن العربي: «**قال الرسول الأكرم: علي وفاطمة والحسن والحسين وأبناؤهما**».

(٢) ***روح المعاني للآلوسي***، ج٢٥، ص ٣١؛ [ومن طبعة دار الكتب العلميّة، ج١٣، ص٣٢] ؛ وينقل أيضاً هذا الحديث السيد شرف الدين العاملي في «***الفصول المهمّة***»، ص ٢٢١ عن الطبراني وعن «***الصواعق المحرقة***» وعن غيرهم.

كما ورد في كتاب إرشاد المفيد: عندما وصل خبر شهادة سيّد الشهداء وأولاده وأصحابه إلى المدينة، خرجت أُمّ لقمان بنت عقيل بن أبي طالب (رحمة الله عليهم) حين سمعت نعي الحسين عليه السلام حاسرةً ومعها أخواتها: أُمّ هانيء وأسماء ورملة وزينب، بنات عقيل ابن أبي طالب رحمة الله عليهنّ تبكي قتلاها بالطفّ وهي تقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم — ماذا فعلتم وأنتم آخر الأُمم
بعترتي وأهلي بعد مفتقدي — منهم أسارى وقتلى ضُرّجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم — أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي[1]

* * *

(١) ***الإرشاد،*** [الطبعة الحجريّة] ،ص ٢٧٠؛ [ومن الطبعة الثانية لدار المفيد ـ بيروت، ج ٢، ص ١٢٤].

المجلس الرابع

(خلاصة موعظة يوم الجمعة ٩ جمادى الأولى ١٣٩١هـ)

مسجد القائم في طهران

القرابة هم سفينة النجاة

أعوذُ بِالله مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحيم

وَصَلَّى الله عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطيِّبينَ الطَّاهِرين

وَلَعنَةُ الله عَلَى أعْدائِهِمْ أجْمَعين مِنَ الآنَ إلَى قِيامِ يَوْمِ الدِّين

وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلّا بِالله العَلِيِّ العَظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم:

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (١)

بيان الزمخشري وتفسيره لآية المودّة:

القربى هم أهل البيت

سبق أن قدّمنا عرضاً بالمعاني المختلفة لتفسير هذه الآية المباركة المنقولة عن أرباب التفسير من أهل السنّة، كما استوفينا الردّ عليها. ولكن إمام المفسّرين

(١) سورة الشورى (٤٢)، الآية ٢٣ .

عندهم جار اللَه محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هجريّة فسـّر هذه الآية المباركة في تفسيره «الكشّاف» بمحبّة ومودّة أهل البيت عليهم السلام، كما فسّرناها نحن سابقاً؛ طبقاً للأحاديث المتواترة عن الشيعة والسنّة في ذلك. قال: إنّ الاستثناء سواء كان متّصلاً أم منفصلاً، فالمراد من أهـل القـربى هـم قرابـة رسول اللَه صلى اللَه عليه وآله. وهذا نص عبارته:

«يجوز أن يكون استثناءً متصلاً، أي: لا أسألكم أجراً إلّا هذا، وهو أن تودّوا أهل قرابتي، ولم يكن هذا أجراً في الحقيقة؛ لأنّ قرابته قرابتهم، فكانت صلتهم لازمةً لهم في المروءة. ويجوز أن يكون منقطعاً، أي: لا أسألكم أجراً قطّ، ولكنّني أسألكم أن تودّوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم. فإن قلت: هلاّ قيل: إلّا مودّة القربى أو إلّا المودّة للقربى وما معنى قوله ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ؟ قلتُ: جعلوا مكانـاً للمـودّة ومقراً لها كقولك: لي في آل فلان مودّة ولي فيهم هوى وحبّ شـديد، تريد: أحبّهم وهم مكان حبّي ومحلّه، وليست «في» بصلةٍ للمودّة، كاللام إذا قلت: إلّا المودّة للقربى. إنّما هي متعلّقة بمحذوف تعلّق الظرف به كما في قولك: المال في الكيس، وتقديره: إلّا المـودّة ثابتـة في القـربى ومتمكّنة فيها، والقربى: مصدرٌ كالزلفى والبشـرى، بمعنـى: قرابـة، والمراد: في أهل القربى».[1]

---

(١) ***تفسير الكشّاف***، [طبع دار إحياء التراث العربي]، ج ٤، ص ٢٢٣.

وبعد ذلك يشرع الزمخشري في بيان الأحاديث التي وردت في تفسير هـذه الآية وغيرها بمحبّة أهل بيت الرسول صلى اللَه عليه وآله ويذكرها. ويلاحظ أنّ الزمخشرّي يفسّر الآية بأنّه يجب على المسلمين أن يجعلوا أهل البيت محلاًّ ومقرّاً لمحبّتهم، وأن يثبّتوا مودّتهم تجاه تلك النفوس المقدّسة.

دلالة حديث السفينة
على لزوم اتّباع أهل البيت عليهم السلام

نعم، فهذه هي حقيقة المسألة طبقاً للأحاديث المسلّمة والمتـواترة التـي يرويها الشيعة والسنّة عن الرسول الأكرم صلى اللَه عليه وآله من قبيل قوله:

«مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح؛ من ركب فيها نجى، ومن تخلّف عنها غرق».[1]

وهذا الحديث الـذي يُشـبِّه العلاقـة والارتبـاط والمـودّة لتلـك الـذوات المطهّرة بسفينة نوح، والوارد بلفظ «في» التي هي بمعنى الظرفيّة، والتي ذُكرت

(١) لقد نقل هذا الحديث علاوة على علماء الشيعة كثير من أكابر علماء السنّة بأسانيد صحيحة ومـن طرق مختلفة، بحيث أنّ العلاّمة الخبير السيد ميرزا نجم الدين الشريف العسكري ـ مدّ ظلّه ـ قد ألّف كتاباً مسّتقلاً لبيان أسانيد هذا الحديث وحـديث الثقلـين وسـمّاه: «***محمّـد وعـلي وحـديث الثقلـين وحديث السفينة***».

كذلك في الآية المباركة: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ هو حديث في غاية الروعة وجدير بالتأمّل.

فلا شكّ في أنّ سفينة نوح التي صنعت بيدي النبيّ نوح عليه السلام، كانت سفينة أمن ونجاة بحيث أنّ كل من ركب فيها نجا بنفسه إلى السلامة، وكلّ من لم يركب فيها أصيب بالهلاك. ففي الطوفان الذي ملأ العالم كلّه مع أمواج الآفات السماوية والأرضيّة التي كانت تقبل من كل ناحية وصوب، ومع الرياح العاصفة والأمطار الغزيرة التي كانت تهدّ وترعد، كان الماء يتفجّر من الأرض، والسماء تهطل بالشلالات الغزيرة، مع كل ذلك كانت سفينة نوح وسيلة النجاة الوحيدة؛ لأنّها كانت سفينةً واحدةً ولم يكن سواها.

لقد كانت السفينة محكمةً ثابتةً بحيث لم تتحطّم على أثر الطوفان، ولم يكن ليؤثّر فيها تيّار الطوفان وطغيان الماء الذي لم يرحم أحداً، فدمّر البيوت وأفنى أصحابها، حتّى أغرق اللاجئين إلى أعالي الجبال كابن النبيّ نوح، لقد نجا كل ركّاب تلك السفينة ولم يصب أيّ منهم بمكروه، مع أنّ هؤلاء الذين ركبوا في السفينة بدعوة من النبيّ نوح عليه السلام كانوا سيغرقون بأجمعهم فيما لو تخلّفوا، وما كان طغيان البلاء ليتأخّر عن إبادتهم.

وقد أدرك خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وآله أنّ أهل بيته هم سفينة النجاة. كيف لا؟ وهو نوح الحقيقة والمعنى، وهو منجي عالم

البشرّية من دوّامة بلاء الجهل والغـرور والطمـع والاسـتكبار، وحـبّ الـذات والجحود، والإنكار والشهوة والغضب، وهو مخلّص الناس في النهاية من ظلمة عبادة الأنا والآخذ بأيديهم إلى حريم أمن عبادة اللَه وأمانه، أدرك ذلك ببصيرته وبنور قلبه المنوّر بمقتـضى قوله تعـالى: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾[1].

ومولى الموالي أمير المؤمنين صلوات اللَه وسلامه عليه هـو خلاصـة روح النبيّ ونفسه وهو أخوه وسرّه. كيف لا؟ وهو الذي ولـد في بيـت اللَه الحـرام، وفتح عينيه من أول يوم على طلعة الجمال المحمّدي، وتربىّ في أكناف النبيّ صلّى اللَه عليه وآله ، ولم يسجد لصنم قطّ، وهـو أول مـن صّـدق بالإسـلام، وكـان ملازماً للنبيّ في كل المراحل في الخلوات والجلوات، وفي الهجـرة والغـزوات، وكان تالي النبي في العلوم والمعارف والأسرار الإلهيّة، وفي مقام تعلـيم البشـر وتربيتهم وإيصالهم إلى مقام الفوز والسعادة، وكان باب مدينة علـم ذاك النبـيّ وحكمته. قال: «**ولقد كنت أتّبعه إتّباع الفصيل أثر أمّه، يرفع لي في كلّ يومٍ من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به**».[2] حتّى صار الإسلام مديناً ورهيناً لجهـاده وتضحياته، ولذا قال الرسول الأكرم صلى اللَه عليه وآله: «**خلقت أنا وعلي من**

(١) سورة النجم (٥٣)، الآيتان ١٧ و١٨.

(٢) *نهج البلاغة*، الخطبة القاصعة، ص ٣٩٢.

شجرةٍ واحدةٍ»[١]، كما ورد عن نفس أمير المؤمنين في نهج البلاغة أنّه قال: «**وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو، والذراع من العضد»**.[٢]

وأمّا الصدّيقة الكبرى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام فهي أيضًا سرّ أبيها ووارثة حقائقه ومعنوياته، وفضائله وكمالاته، بالإضافة للحسنين سيدي شباب أهل الجنّة، وأولاد هؤلاء العظام حاملوا لواء الولاية والمقام المحمود، فهؤلاء جميعهم هم بمنزلة سفينة نوح عليه السلام.

فكلّ من أخذ بنفسه إلى هذه السفينة وأدلى بقلبه فيها ووضع رأسه على عتبتها وأحبّهم بروحه وقلبه، واتّبعهم وأدرك أنّهم القدوة والقادة والمرشدون والمعلّمون في تمام شؤون الحياة الدنيويّة منها والأُخرويّة، الظاهريّة والباطنيّة وانقاد لهم وتأدّب بسننهم، فإنّه سينجو من أذى الحوادث الماديّة والمعنويّة وسيصل إلى مقام الأمان.

وكل من تخلّف عنهم تقاذفه تيّار الأفكار الشيطانيّة والخواطر النفسيّة والأهواء الباطلة المضلّة تقاذف الأمواج وساقه إلى فخّ الهلاك، وسدّ طريق النجاة أمامه، ومهما بحث عن الدواء والعلاج فلن يكون له من نصيب سوى الحرمان، وما من صديق يتّخذه يريد الأنس به إلّا كان عدواً لروحه، حتّى

---

(١) *مجمع البيان*، طبع صيدا، ج ٥، ص ٢٨.

(٢) *نهج البلاغة*، باب المكاتيب، من مكاتبة أمير المؤمنين لعثمان ابن حنيف، ص ٧٣.

يصاب بالبوار بين الأمواج العاتية والمصائب اللامتناهية الناجمة عن الأنانيّة والاعتداد بالنفس ليتّجه بعدها نحو جهنّم.

الفخر الرازي: حديث السفينة لا يعارض حديث «أصحابي كالنجوم»

يقول الفخر الرازي في تفسيره:

«وسمعت بعض المذكّرين قال: إنّه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح؛ من ركب فيها نجا» وقال صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: «أصحابي كالنجوم؛ بأيّهم اقتديتم اهتديتم». ونحن الآن في بحر التكليف وتضربنا أمواج الشبهات والشهوات، وراكب البحر يحتاج إلى أمرين أحدهما: السفينة الخالية عن العيوب والثقب، والثاني: الكواكب الظاهرة الطالعة النيرة، فإذا ركب تلك السفينة ووقع نظره على تلك الكواكب الظاهرة كان رجاء السلامة غالباً، فكذلك ركب أصحابنا أهل السنّة سفينة حبّ آل محمّد ووضعوا أبصارهم على نجوم الصحابة، فرجوا من الله تعالى أن يفوزوا بالسلامة والسعادة في الدنيا والآخرة»[١] ـ إلى هنا انتهى كلام الفخر الرازي.

---

(١) *تفسير الرازي*، ج ٢٧، ص [٥٩٦].

وكـذلك ينقـل الآلـوسي هـذا المطلـب عـن الفخـر الـرازي في تفسـيره ويؤيّده.[١]

والخلاصة أنّهم يقولون: إنّ كلام الرسول الأكرم في حقّ أهل البيت بـأنّهم كسفينة نوح من ركبها نجى ليس كافياً وحده؛ ، فالمحبّة والاقتداء بأهل البيت لا تأخذ وحدها بيـد الإنسـان؛ لأنّ النبـي كـان قـد قـال بالإضـافة إلى ذلـك: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**». لذا علينا أن نتمسّك كذلك بسيرة أصحاب الرسول وأن نقتدي بهم بأيّ شكل وعنوان؛ فهـم نجـوم السـماء؛ لأنّ المسافر في السفينة لا ينتفع من الجلوس فقط في السفينة، بل عليه أن يعمل نظره في السماء ويبحث عن النجمة الدالّة على الطريق ويتحرّك على أساسها.

الأدلّة الدالّة على ضعف الاستدلال بحديث «أصحابي كالنجوم»

أوّلاً: ضعف سنده

ولكن هذا الاستدلال باطلٌ مـن عـدّة جهـات، وهـو لا يعـدو أن يكـون مغالطة؛ **أوّلًا**: لأنّ رواية: «**أصحابي كالنجوم؛ بأيّهم اقتديتم اهتـديتم**» ليسـت

(١) ***تفسير روح المعاني [للآلوسي]***، ج ٢٥ ، ص ٣٢؛ [ومن طبعة دار الكتب العلميّة، ج١٣، ص٣٢].

أكثر من حديث مجعول، فهذا الحديث لم يعثر عليه في كتاب من كتب الشيعة، بالإضافة إلى عدم صحّة سنده في روايات أهل السنّة.

فعندما أرادوا بعد رحلة رسول اللَه أن يحرفوا مسير هداية الناس ويبعدوهم عن أهل بيت الرسالة ـ مع وجود الآلاف من الروايات في بيان فضائل أمير المؤمنين عليه السلام التي سمعوها عن رسول اللَه بأنفسهم ـ وعندما أرادوا أن يكونوا هم المسؤولين عن زعامة المسلمين وذلك تبعاً لأهوائهم، قاموا بجعل الحديث عن رسول اللَه بأنّ أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم. وبهذه الرواية أرادوا أن يبرّروا مخالفاتهم وانحرافاتهم، غافلين عن أنّ التاريخ التحليليّ والأبحاث النقديّة سوف لن تبقي شأناً لاختلاقاتهم.

وبعد أن يروي المرحوم المجلسي أخباراً كثيرة عن رسول اللَه على خلافة ووصاية أمير المؤمنين عليه السلام، نقل عن الفخر الرازي رواية في تفسير آية ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [1] عن ابن عبّاس وهذا نصّها:

«قال ابن عبّاس: وضع رسول اللَه صلّى اللَه عليه [وآله] وسلّم يده على صدره فقال: «أنا المنذر!» ثمّ أومأ إلى منكب عليّ وقال: «أنت الهادي! يا عليّ بك يهتدي المهتدون من بعدي» [2] ـ انتهى.

---

(١) سورة الرعد (١٣)، ذيل الآية ٧.

(٢) *تفسير الرازي*، ج ١٩، ص ١٤. (م)

بعد ذلك يشرح هذه الرواية ويقول:

وبهذه الأخبار يظهر أنّ حديث: «أصحابي كالنجوم؛ بأيّهم اقتديتم اهتديتم» من مفترياتهم، كما اعترف بكونه موضوعاً شارح الشفا وضعّف رواته، ونحوه ابن حزم والحافظ زين الـدين العراقـي. وسيأتي القول في ذلك إن شاء الله تعالى.[1]

ثانياً: معارضته لصريح الآيات القرآنيّة

وثانيًا: أنّ حديث الاقتداء بالصحابة واتّباعهم منافٍ بشكل صريح للآيات القرآنيّة؛ فهم يعلمون أنّ تصريح القرآن بالاقتداء منحصر ـ في الأنبيـاء والأئمّـة المعصومين والأولياء المقرّبين المجرّدين عن كلّ نوع من الأهواء النفسيّة، ولا يجوز بأيّ وجه من الوجوه الاقتداء بالأفراد الـذين لم يخرجـوا بعـد مـن أهـواء النفس، ولم تتنوّر قلوبهم بعدُ بنـور الله، خصوصـاً في إطـار الولايـة الشرعيّـة والزعامة الدينيّة والرياسة العامّة وخلافة رسول الله.

شواهد قرآنيّة تبيّن لمن تكون التبعيّة والانقياد

وسنقوم الآن بذكر بعض الشواهد من آيات القرآن من باب المثال:

---

(١) ***بحار الأنوار***، [طبعـة الكمبـاني]، ج ٩، ص ٧٧، [ومـن الطبعـة الحروفيـة، ج ٣٥، ص ٤٠٦ و٤٠٧].

أولاً: من الوصايا التي يوصي بها المولى الإنسانَ؛ الاقتصار على اتّباع طريق الذين أنابوا إليه وسلّموا له قلوبهم، ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾[١].

ثانيًا: إنّ اللَه تعالى ما تحدّث في القرآن عن الإمامة والزعامة إلّا وجعلها مقارنة لاهتداء الإمام بأمر اللَه، وجعل هداية الإمام ملازمة لهداية اللَه.. فبعد أن بيّن في سورة الأنبياء حالات الأنبياء إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب يقول: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[٢]، فيلاحظ أنّه اعتبر جنبة الإمامة والزعامة ملازمة لهدايتهم بأمر اللَه سبحانه.

ويقول في موطن آخر في حقّ بني إسرائيل عندما بعث النبي موسى إليهم بكتابه السماويّ وجعله مصباح هدايتهم: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٣].

ثالثاً: قال اللَه سبحانه على سبيل الاستفهام التقريري: ﴿أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾[٤].

---

(١) سورة لقمان (٣١)، مقطع من الآية ١٥.

(٢) سورة الأنبياء (٢١)، الآية٧٣.

(٣) سورة السجدة (٣٢)، الآية ٢٤.

(٤) سورة يونس (١٠)، مقطع من الآية ٣٥.

ويلاحظ هنا: أنّ اللّه قابل بين الهداة إلى الحق وبين الأفراد الفاقدين للهداية الذاتيّة والإلهام، بل هم مهتدون بواسطة غيرهم. بناءً على ذلك يتّضح أنّ المجموعة الأولى فقط هي القادرة على هداية الناس إلى الحقّ وهم أصحاب الهداية الذاتيّة والإلهاميّة، وقلوبهم منوّرة بنور اللّه فيميّزون بين الحقّ والباطل بالفرقان الإلهي وقدرة الإلهام.

رابعاً: أنّه ورد في ثلاثة مواضع من القرآن: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾[1]، ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾[2]، ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾[3]. ومن المعلوم أنّ من لم يكن قد اهتدى الطريق فكيف يمكنه أن يأخذ بأيدي الضالين؟

فمن لم تُفتح عين بصيرته ولم يرَ جمال اللّه في كلّ الموجودات بعين الوحدانيّة ومن لم يزل سجين قفص الأوهام والأنانيّة، فهل يستطيع أن يقود مخلوقات اللّه تعالى إليه؟ وهل سيتمكّن بواسطة رؤية بصيرته وتفحّصه وجاذبيّته الروحيّة أن يهب البصيرة للعمي التائهين فيقودهم في طريق السعادة والتوحيد الرحب؟ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[4].

---

(١) سورة الإسراء (١٧)، صدر الآية ٩٧.

(٢) سورة الكهف (١٨)، مقطع من الآية ١٧.

(٣) سورة الأعراف (٧)، صدر الآية ١٧٨.

(٤) سورة الأنعام (٦)، ذيل الآية ٥٠.

خامساً: لقد خاطب اللّه سبحانه نبيّه قائلاً: ﴿**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا**﴾[1]. ومع أنّ الخطاب موجّه إلى النبيّ إلّا أنّ من الواضح أنّ ملاك الخطاب عامّ، وعلى كلّ مسلم أن يجتنب اتّباع كلّ من أغفل قلبه عن ذكر اللّه وانقاد وراء هوى نفسه، سواء أكان من صحابة رسول اللّه أم من غيرهم.

فإذا ركن بعض الصحابة إلى اتّباع أهواء النفس فهل من الممكن الاقتداء بهم؟ يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾[2]. يعدّ اللّه سبحانه وتعالى الأفراد الذين يتّبعون أهواء نفوسهم من أضلّ أفراد البشر، و لا فرق هنا بين أن يكونوا من الصحابة أو من غيرهم. فعلى كلّ حالٍ بموجب نصّ القرآن الصريح يكونون ضالّين، ولا يمكن للضّال أن يقوم بالهداية.

بناءً على ما ذكر، وبموجب الآيات المتقدّمة كيف يصحّ أن نصدّق بأنّ النبي الأكرم قال: (اقتدوا بكلّ واحدٍ من أصحابي، واتّخذوهم قدوة لكم، فهم الهادون لكم؟). لقد كان بين الصحابة أفراد جديرون ومؤمنون ذوو بصيرة، كما كان بينهم ضالّون ومنافقون، كما كان بينهم أفراد عوام آمنوا ولـمّا يرسخ الإيمان

(١) سورة الكهف (١٨)، ذيل الآية ٢٨.

(٢) سورة القصص (٢٨)، قسم من الآية ٥٠.

في قلوبهم، فمع انقسامهم إلى هذه الأقسام، هل يصحّ أن يقول الرسول صلى الله عليه وآله للناس: (اقتدوا بأيّ واحد من أصحابي وستدركون طريق الكمال وستصلون إلى الصلاح والسعادة؟).

نبذة عن فضائل بعض الصحابة ومناقبهم

ونجد أنفسنا هنا مضطرّين لأن نبيّن بعضاً من الأحاديث والوقائع ذات الدلالة على عظمة روح بعض الصحابة وعلوّ قدرهم ومنزلتهم، وكذلك الأحداث والوقائع التي تدلّ على ضعف إيمان بعضهم أو نفاقهم، حتّى يصير واضحاً بأنّ بينهم الصالح والطالح ولم يكونوا كلّهم قطعة طاهرة ومطهّرة.

وقد ورد كذلك في موارد مختلفة من القرآن الكريم آيات في تمجيد ومدح بعضهم، غير أنّا سنكتفي ببعض الأحاديث التي جاءت في فضلهم وشرفهم:

أولاً: نُقل عن أمالي الشيخ الطوسي بإسناده المتّصل عن الإمام الباقر عليه السلام: قال:

«صلّى أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام بالناس الصبح بالعراق، فلمّا انصرف وعظهم فبكى وأبكاهم من خوف الله تعالى، ثم قال: أمَ والله لقد عهدت أقواماً على عهد خليلي رسول الله صلّى الله عليه وآله وإنّهم ليصبحون ويمسون شعثاً غبراً خمصاً بين أعينهم كركب

المعـزى، يبيتـون لـربّهم سـجّداً وقيامـاً، يراوحـون بـين أقـدامهم وجباههم[١] يناجون ربّهم، ويسألونه فكاك رقابهم من النار، واللّه لقد رأيتهم وهم جميع[٢] مشفقون منه خائفون».[٣]

ثانيًا: ورد في نهج البلاغة:

«لقد رأيت أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، فـما أرى أحـداً منكم يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً قد باتوا سجّداً وقياماً، يُراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر مـن ذكـر معادهم، كأنّ بين أعينهم من ركب المعزى من طول سـجودهم، إذا ذكر اللّه سبحانه هملت أعينهم حتّى تبلّ جيوبهم، ومـادوا كـما يميـد الشجر يوم الريح العاصف؛ خوفاً من العقاب ورجاءً للثواب».[٤]

ثالثاً: نُقل عن الطبري أنّه:

رُوي أنّه لـمّا نُسخ فرض قيام الليل طاف النبي صلّى اللّه عليه وآله ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصاً على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لـما سمع من دندنتهم[٥] بذكر اللّه والتّلاوة.[٦]

---

(١) **راوَحَ بين العملين**: اشتغل بهذا مرّة وبهذا أخرى.

(٢) **جميع**: مجتمعون على الحقّ.

(٣) ***بحار الأنوار***، [طبعة الكمباني]، ج ٦، ص ٧٤٥، [وفي الطبعة الحروفيّة، ج ٢٢، ص ٣٠٦].

(٤) ***شرح نهج البلاغة***، الملا فتح اللّه، ص ١٧٩؛ [ومن طبعة پيام حق، ج ١، ص ٤٦٨].

(٥) **دندن دندنةً الذباب**: صوَّتَ و طَنَّ.

(٦) ***سفينة البحار***، ج ٢، ص ٩.

رابعاً: ورد في نهج البلاغة في خطبة لأمير المؤمنين:

«أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟! أين عمّار؟ وأين ابن التّيّهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنيّة وأُبرد برؤوسهم إلى الفجرة؟».[1]

فأمير المؤمنين يذكر هنا عمّار بن ياسر وابنّ التيهان (مالك بن التيهان الذي كانت كنيته أبو الهيثم) وأبو عمارة خزيمة بن ثابت الأنصاري الأوسي الذي عدّ رسول اللّه شهادته بشهادة رجلين، وجميعهم كانوا من كبار الصحابة وأجلائهم، وكان يتحسّر في حرب صفّين على فقدانهم وشهادتهم. ثم قبض على محاسنه الشريفة وبكى طويلاً ثم قال:

«أوه! على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبّروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنّة وأماتوا البدعة، دُعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتّبعوه».

نعم، لقد كان هؤلاء الأفراد من نخبة صحابة رسول اللّه الذين قاتلوا بإيمانهم الراسخ إلى جنب مولى الموالي حتّى آخر لحظة حيث أسلموا أرواحهم بين يديه.

---

(١) ***نهج البلاغة***، محمّد عبده، طبعة مصر، ص ٣٤٤.

ثالثاً: الأدلّة على ارتداد بعض الصحابة وضلالهم

وأمّا الطائفة الأُخرى من الصحابة الذين لم يصلوا إلى مرحلة اليقين وكـان إيمانهم ظاهرياً ولربما اقترن بالنفاق أحياناً، فحالاتهم كانت مختلفة، ويبيّن القرآن والروايات مقداراً من حالاتهم، ونذكر بعض قصصهم من باب المثال:

الأوّل: واقعة صلاة الجمعة

أوّلاً: ورد في تفسير الآيـة المباركـة ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ أنّ جابر بن عبد الله الأنصاري قال: أقبلت عير ونحن نصلّي مع رسـول الله صلّى الله عليه وآله الجمعة، فانفضّ الناس إليها، فما بقي غير اثنـي عشرـ رجـلاً أنـا فيهم، فأنزل الله هذه الآية. وتوضـيح ذلـك أنّ العـادة اتّفقـت في ذلـك الزمـان أن تسافر القوافل إلى الشام أو مناطق أُخرى لكي يحضـروا معهم الوسـائل الضرـوريّة من القمح والشعير والألبسـة وغيرهـا، وعنـد وصـول القافلـة إلى المدينـة كـانوا يقرعون الطبول حتى يطّلع الناس على وصولهم ويشتروا احتياجاتهم منها قبل نفـاذ الكمية. وصادف ذلك أنّ النبي صلّى الله عليه وآله كان يصلّي الجمعـة[١] أو يخطـب يوم الجمعة[٢] فدخلت قافلة ووصل صـوت قـرع الطبـول إلى المسـجد، فلـمّا رأى المصلّون القافلة قاموا إليها بالبقيع خشية أن يسبقهم أحد إليها، فلم يبق مع النبـي

---

(١) بناءاً على رواية جابر بن عبد الله في «*مجمع البيان*».

(٢) بناءاً على رواية حسن ومقاتلان في «*مجمع البيان*».

صلّى اللّه عليه وآله إلّا رهط، اثنا عشر شخصاً أو إحدى عشر شخصاً أو ثمانية أشخاص.[(١)] عندها نزلت الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[(٢)]، ثمّ خاطب النبيّ الذين بقوا: **«لو تتابعتم حتّى لا يبقى أحد منكم لسال بكم الوادي ناراً»**.

فمن هذه القضية يتبيّن كم كان بعض الصحابة لا يبالون برسول اللّه وبالصلاة؟! وإلى أيّ حدّ كانوا متعلّقين بالتجارة واللهو؟!

الثاني: قضيّة الأحزاب وفشل الأصحاب

ثانيًا: ذكرت التفاسير أنّه عندما عبر عمرو بن عبد ودّ الخندق بفرسه في غزوة الأحزاب، وقف أمام جيش رسول اللّه يريد مبارزاً، فلم يكن أحد مستعداً للمبارزة غير أمير المؤمنين عليه السلام، وقد رأى الجميع أنفسهم في الذلّ والضعف.

لقد كان جوّ الحرب مثيراً للرعب، فقد تحالفت كافّة القبائل والأحزاب ضدّ رسول اللّه وصارت أطراف المدينة كلّها محاصرة بهم، وقد عبر الخندق وطلب المبارزة أقوى وأشجع فرسانهم الذي يُعدّ بألف فارس. وعندها شحبت ألوان

---

(١) اثنا عشر شخصاً تبعاً لرواية جابر بن عبد اللّه، وإحدى عشر شخصاً تبعاً لرواية ابن كيسان، وثمانية أشخاص بالرجوع لرواية الكلبي عن ابن عبّاس في ***«مجمع البيان»***.

(٢) سورة الجمعة (٦٢)، الآية ١١.

الصحابة، وتغيّرت وجوههم، وفزعت قلوبهم إلى الحدّ الذي كادت أن تزهق أرواحهم، وظنّوا بالله سوءً، و تلقّوا وعد رسول الله صلّى الله عليه وآله إيّاهم بالنصر بحالة من اللامبالاة والاستخفاف.

﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ * هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾[1]، وكان هناك جماعة من الأصحاب المنافقين في باطنهم ومن الذين لا تخلو قلوبهم من مرض الشرك، فظنّوا أنّ وعود الرسول وعود كاذبة، ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾[2]، كما أنّ هناك جماعة من أهل المدينة وقفوا أمام الجموع وقالوا: يا أهل يثرب ليس هذا المكان بموضع إقامة لكم، عودوا إلى بيوتكم، وكان هناك من يستحيي أن يرجع بغير عذر فجاؤوا إلى رسول الله والتمسوا لأنفسهم عذراً، واستجازوا منه الرجوع بحجّة عدم وجود الراعي لعيالهم وبيوتهم، فكانوا يتركون رسول الله في هذا الظرف العصيب، وقد أخبر الله تعالى عن كذبهم فقال: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾[3].

---

(١) سورة الأحزاب (٣٣)، الآيات ١٠ و١١. (م)

(٢) سورة الأحزاب (٣٣)، الآية ١٢. (م)

(٣) سورة الأحزاب (٣٣)، الآية ١٣.

كان هذا مجمل قضيّة الأحزاب، ففي مثل هذا الظرف قال بعض الصحابة بأنّ الأعداء يريدون محمّداً فقط، تعالوا ندفع إليهم محمّداً وننجو بأنفسنا. فعندها قام النبيّ خطيباً ثلاث مرّات ودعاهم إلى الجهاد والدفاع ومبارزة عمرو بن عبد ودّ، فلم يقدم أحد في هذه المرّات الثلاث لمواجهته غير مولى الموالي أمير المؤمنين عليه السلام الذي نهض قائماً وأظهر استعداده في كلّ مرّة، إلى أن قام بطلب الإذن للمبارزة من الرسول الأكرم وقتل الأعداء وتحقّق الفتح على يديه. وقد اتّفقت تفاسير الشيعة والسنّة على هذه القضيّة واعترف بها الجميع.

الثالث: فشل الصحابة في الالتزام بكلام النبيّ وأحكامه

ثالثاً: أوردت التفاسير[١] أنّ الرسول الأكرم صلى اللّه عليه وآله أعطى وعداً لأصحابه بفتح مكّة. ففي السنة السادسة من الهجرة النبويّة في شهر ذي القعدة عزم النبيّ صلّى اللّه عليه وآله من المدينة مع جماعة من أصحابه على حجّ بيت اللّه الحرام، وقاموا بأخذ جمالهم للتضحية بها وقطعوا الطريق محرمين حتّى وصلوا إلى أرض الحديبيّة قرب مكّة.

ولكن عندما علمت قريش بقصد النبي، مانعت وبشدّة من دخولهم مكّة بحيث كادت أن تشتعل حرب بينهما. وفي النهاية وبعد المحاورات الكثيرة

---

(١) لقد وردت قضيّة صلح الحديبيّة مرويّة عن ابن عبّاس مفصّلةً في ***مجمع البيان***، ج ٥، ص ١١٦ إلى ص ١١٩.

واللقاءات المتعدّدة من رؤسائهم مع النبي الأكرم صلّى اللهَ عليه وآله أدركوا أنّ النبيّ صلّى اللهَ عليه وآله لا يريد الحرب وأنّه أتى مع أصحابه محرمين مصطحبين جمالهم بقصد الحجّ والزيارة، وعليه جرى الصلح بينهم وبين النبيّ في أرض الحديبيّة على مقربة من مكّة.[١]

وكان من جملة بنود هذا الصلح أن لا تقع حرب فيما بينهم مدّة عشر سنوات، وأنّ للصحابة أن يدخلوا مكّة آمنين عند حجّهم أو عمرتهم، كما أنّ للمشركين أن يدخلوا المدينة آمنين، كما تقرّر أن يأتي النبيّ مكّة في السنّة المقبلة لا أن يدخلها في هذه السنة. وبعد إمضاء الصلح عزم النبيّ الأكرم صلّى اللهَ عليه وآله مع المسلمين الحاضرين معه على العودة إلى المدينة. وعندها أمر النبيّ المسلمين بأن يحلقوا رؤوسهم ويضحّوا بجمالهم هناك وبذلك يُحلّوا إحرامهم[٢]. فوقع هذا الأمر ثقيلاً على قلوب الكثير من الصحابة ولم يكونوا مستعدّين لتقديم الأضاحي وحلق الرؤوس.

فقال رسول اللهَ صلّى اللهَ عليه وآله لأصحابه: «**انحروا بدنكم واحلقوا رؤوسكم**» فامتنعوا وقالوا: كيف ننحر ونحلق ولم نطف بالبيت ولم نسع بين الصفا والمروة؟ فاغتمّ رسول اللهَ صلّى اللهَ عليه وآله من ذلك، وشكى ذلك إلى

---

(١) ***سيرة ابن هشام***، [طبعة مكتبة محمد علي صبيح وأولاده]، ج ٣، ص ٧٨٢.

(٢) ***نفس المصدر***، [ص ٧٨٤]؛ و***بحار الأنوار***، [طبعة الكمبياني] ، ج ٦، ص ٥٦٢، [ومن الطبعة الحروفيّة، ج ٢٠، ص ٣٥٣].

أُمّ سلمة فقالت: يا رسول اللَه، انحر أنت واحلق، فنحر رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله وحلق، فنحر القوم على حيث[1] يقين وشكّ وارتياب.[2]

ولذلك قال رسول اللَه صلّى اللَه عليه [وآله] وسلّم: «**يرحم اللَه المحلّقين**». قالوا: والمقصّرين يا رسول اللَه؟ قال: «**يرحم اللَه المحلقين**». قالوا: والمقصّرين يا رسول اللَه؟ قال: «**يرحم اللَه المحلّقين**». قالوا: والمقصّرين يا رسول اللَه؟ قال: «**والمقصّرين**». فقالوا: يا رسول اللَه، فلم ظاهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين؟ قال: «**لم يشكّوا**».[3]

فلمّا التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب، وثب عمر بن الخطاب، فأتى أبا بكر ليشكوَ إليه هذه المسألة وعدم الدخول إلى مكّة والتضحية والحلق في الصحراء وبأنّ شروط الصلح لم تكن في صالح المسلمين فقال له: يا أبا بكر، أليس برسول اللَه؟

---

(١) لقد وردت هذه الرواية في ***بحار الأنوار*** (طبعة الكمبياني)؛ وأيضا في **تفسير علي بن إبراهيم** بلفظ «على حيث»، وأتت في ***بحار الأنوار*** (الطبعة الحروفيّة) بلفظ «على خُبث» ويقول في التعليقة: في المصدر المطبوع ونسخة مخطوطة منه والنسختين المطبوعتين من الكتاب (على حيث) وفي نسختي الأخرى المخطوطة «على حين» واستظهر في هامشه أنّه مصحّف (على غير). (م)

(٢) ***بحار الأنوار***، [طبعة الكمباني]، ج ٦، ص ٥٦٢، [وفي الطبعة الحروفية، ج ٢٠، ص ٣٥٣، منقولاً عن تفسير علي بن إبراهيم].

(٣) ***سيرة ابن هشام***، ج ٣، ص ٧٨٤؛ وبحار الأنوار، [طبعة الكمباني]، ج ٦، ص ٥٦٢، ٥٦٢، [وفي الطبعة الحروفية، ج ٢٠، ص ٣٥٣]، منقولاً عن تفسير علي بن إبراهيم.

وبعد أخذ وردّ مع أبي بكر أتى رسـولَ اللَه صـلّى اللَه عليـه [وآلـه] وسـلّم فقال: يا رسول اللَه، ألست برسول اللَه؟ قال: «**بلى**». قال: أولسنا بالمسـلمين؟ قال: «**بلى**». قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: «**بلى**». قال: فعلام نعطـى الدنيّـة في ديننا؟ قال: «**أنا عبد اللَه ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني**»[١]. قال عمر قلت له: أولست كنـت تحـدّثنا أنّـا سـنأتي البيـت ونطـوف حقّـاً ؟ قـال: «**بـلى أفأخبرتك أن نأتيه العام؟**». قلت: لا. قال النبيّ: «**فإنّك تأتيه وتطوف به**».

يقول عمر: واللَه ما شككت مذ أسلمت إلّا يومئذٍ.[٢]

ويلاحظ هنا أنّ الذين شكّوا بنبّوة النبي وامتنعـوا مـن التضـحية والحلـق كلّهم كانوا أصحاب رسول اللَه مع أنّ جميعهم خالف نصّ الرسـول الصـريح وأمره.

الرابع: محاولة بعض الصحابة التنكيل بالنبيّ

رابعاً: ينقل في كتاب دلائل النبوّة للشيخ أبي بكر أحمد البيهقي: أخبرنا أبـو عبد اللَه الحافظ وذكر الاسناد مرفوعاً إلى أبي الأسود عن عروة أنّه قال: لـمّا رجع رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله قافلاً من تبوك إلى المدينة حتّـى إذا كـان بـبعض الطريق مكر به ناس من أصحابه، فتآمروا أن يطرحوه من عقبة في الطريق التـي

---

(١) ***نفس المصدر***، ص ٧٨١.

(٢) ***تفسير مجمع البيان***، ج ٥، ص ١١٩.

أرادوا أن يسلكوها معه، فأخبر رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله خبرهم، فقال: من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنّه أوسع لكم، فأخذ النبي صلّى اللَه عليه وآله العقبة، وأخذ الناس بطن الوادي إلّا النفر الذين أرادوا المكر به، استعدوا وتلثّموا وأمر رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله حذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر فمشيا معه مشياً، وأمر عمّاراً أن يأخذ بزمام الناقة، وأمر حذيفة بسوقها. فبينا هم يسيرون إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم قد غشوه، فغضب رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله وأمر حذيفة أن يراهم، فرجع ومعه محجن فاستقبل وجوه رواحلهم، وضربها ضرباً بالمحجن، وأبصر القوم وهم متلثّمون، فرعبهم اللَه حين أبصروا حذيفة وظنّوا أنّ مكرهم قد ظهر عليه، فأسرعوا حتّى خالطوا الناس.[1] وأقبل حذيفة حتّى أدرك رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله ، فلـمّا أدركه قال: «**اضرب الراحلة يا حذيفة، وامش أنت يا عمّار**». فأسرعوا فخرجوا من العقبة ينتظرون الناس، فقال النبي صلّى اللَه عليه وآله : «**يا حذيفة هل عرفت من هؤلاء الرهط أو الركب أحداً؟**». فقال حذيفة: عرفت راحلة فلان وفلان، وكان ظلمة الليل غشيتهم وهم متلثّمون، فقال صلّى اللَه عليه وآله : «**هل علمتم ما شأن الركب وما أرادوا؟**». قالوا: لا يا رسول اللَه، قال: «**فإنّهم مكروا ليسيروا**

(١) لقد ورد في ***روضة الكافي***، ص١٦٥ ، عن سهل بن يعقوب بن يزيد بن عبد الحميد عمّن ذكره عن ابي عبد اللَه عليه السلام قال: **لـمّا نفروا برسول اللَه ناقته قالت له الناقة: واللَه لا أزلت خفّاً عن خف ولو قطّعت إرباً إرباً.**

معي، حتّى إذا أظلمت بي العقبة طرحوني منها». قالوا: أفلا تأمر بهم يا رسول اللَه إذا جاؤوا كالناس فتضرب أعناقهم؟ قال: «**أكره أن يتحدّث الناس ويقولون: إنّ محمّداً قد وضع يده في أصحابه**» فسمّاهم لهما ثمّ قال: اكتماهم. وفي كتاب أبان بن عثمان: قال الأعمش: وكانوا اثني عشر: سبعة منهم كانوا من قريش.(١)

وقد نُقل في هذا المورد في الكافي عن زرارة عن الصادق أو الباقر عليهما السلام أنّهما قالا: قال رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله وسلّم: «**لولا أنّي أكره أن يُقال إنّ محمداً صلّى اللَه عليه وآله استعان بقومٍ حتّى إذا ظفر بعدوّه قتلهم، لضربت أعناق قوم كثير**».(٢)

الخامس: وقعة حُنين

خامساً: فرار الأصحاب من وقعة حُنين.(٣) وتوضيح ذلك: لمّا انحدر النبي في وادي حنين وهو واد له انحدار بعيد، وكانت بنو سليم على مقدمته، فخرجت عليهم كتائب هوازن من كلّ ناحية، فانهزمت بنو سليم، وانهزم من وراءهم، ولم

---

(١) ***بحار الأنوار***، [طبعة الكمباني]، ج ٦، ص ٦٣٢، [وفي الطبعة الحروفيّة، ج ٢١، ص ٢٤٧].

(٢) ***سفينة البحار***، [طبعة النجف]، ج ٢، ص ٩.

(٣) ***بحار الأنوار***، [طبعة الكمباني]، ج٦، ص ٦٠٩، [وفي الطبعة الحروفيّة، ج ٢١، ص ٢٤٧]، نقلاً عن تفسير علي بن إبراهيم.

يبق أحد إلّا انهزم، وبقي أمير المؤمنين عليه السلام يقاتلهم في نفر قليل ومرّ المنهزمون برسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله لا يلوون على شيء، وكان العبّاس آخذاً بلجام بغلة رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله عن يمينه، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب عن يساره، فأقبل رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله ينادي: **«يا معشر الأنصار أين؟ إليّ، أنا رسول اللَه»**. فلم يلو أحد عليه، وكانت نسيبة بنت كعب المازنيّة تحثو في وجوه المنهزمين التراب، وتقول: أين تفرّون؟ عن اللَه وعن رسوله؟ ومرّ بها عمر فقالت له: ويلك ما هذا الذي صنعت؟ فقال لها: هذا أمر اللَه، فلمّا رأى رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله الهزيمة ركض نحو عليّ على بغلته فرآه قد شهر سيفه فقال: يا عباس اصعد هذا الظرب[١]، وناد: يا أصحاب البقرة ويا أصحاب الشجرة، إلى أين تفرّون؟ هذا رسول اللَه، ثمّ رفع رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله يده فقال: **«اللهمّ لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان»** فنزل جبرئيل فقال: يا رسول اللَه، دعوت بما دعا به موسى حيث فلق له البحر، ونجّاه من فرعون. ثمّ قال رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله لأبي سفيان بن الحارث: ناولني كفّاً من حصى، فناوله فرماه في وجوه المشركين ثم قال: **«شاهت الوجوه»** ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: **«اللهم إن تهلك هذه العصابة لم تعبد وإن شئت أن لا تعبد لا تعبد»** فلما سمعت الأنصار نداء العبّاس عطفوا

---

(١) **الظرب**: الجبل المنبسط أو [الرابية] الصغير[ة].

وكسروا جفون سيوفهم وهم يقولون: لبّيك، ومرّوا برسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله واستحيوا أن يرجعوا إليه ولحقوا بالراية وفي النهاية أنزل اللَه النصر من السماء لنبيّه وللمسلمين وانهزمت هوازن وعندها نزلت هذه الآية: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[1] [2].

أجل لقد كانت حالات أصحاب رسول اللَه التي تحدّثنا عنها في هذه الموارد الخمسة المذكورة شاهداً ونموذجاً من سلسلة المخالفات الطويلة التي مارسها بعضهم طيلة حياة النبيّ، وكانوا يرون أنفسهم مستقلّي الرأي أمام النبي في كثير من الأمور. فعندما يكون الجو هادئاً وساكناً وتكون منافعهم الشخصيّة في مأمن من الخطر يختارون السكوت، وفي بعض الأوقات يجدّون في تقديم اجتهاداتهم وآرائهم، كما أنّهم كانوا في مواضع الحرب والخصام والشدّة يعيشون الاضطراب والتزلزل، وربما قصدوا إلى قتله صلّى اللَه عليه وآله في بعض الأوقات، وربما شكّوا في نبوّته، وكم كانوا يطلقون العنان لأنفسهم بالفرار من أرض المعركة في أشدّ الأوقات خطورة على النبي فيتركونه وحيداً خوفاً على أرواحهم وحفظاً لأنفسهم.

---

(١) سورة التوبة (٩)، الآية ٢٥.

(٢) ***بحار الأنوار***، [طبعة الكمباني]، ج ٦،ص ٦٠٩، [ومن الطبعة الحروفية، ج ٢١، ص ١٥٠، نقلاً عن:] تفسير علي بن إبراهيم.

فهل يصحّ في هذه الحالة أنّ نصدّق بحديث «أصحابي كالنجوم»؟ فهل هؤلاء الصحابة نجوم السماء؟! فهل قال النبي: (إنّكم ستهتدون إذا ما اقتديتم بأيّ واحدٍ منهم)؟!

وقد تعرّضت الآيات القرآنيّة في كثير من المواضع إلى لوم المؤمنين ووبّختهم على آثار المعاصي التي مرّ ذكرها في موارد عدّة، وقد هدّدتهم بعض الآيات بشدّة، وعدّت الاقتداء بالباطل مذموماً وقبيحاً، فمع كلّ ذلك كيف أوصى النبي بالاقتداء بأصحابه؟!

توهّمٌ ودفعٌ

فلا يتوهمنّ أحد أنّ النبيّ دعا إلى الاقتداء بالصحابة الطيّبين الصالحين ومجّدهم واعتبرهم نجوم السماء، لأنّ هذا التوهم مدفوعٌ:

أوّلًا: أنّ التعبير الوارد عن النبي عامّ: «بأيّهم اقتديتم اهتديتم» إضافة إلى أنّ أصحابي جمع مضاف ويفيد العموم، وصريح به، فمفاده أنّ كلّ أصحابي هم نجومٌ وستهتدون إن اقتديتم بأيّ منهم.

ثانيًا: أنّ كل من يطّلع على روح القرآن وسيرة النبي يفهم بأنّ القرآن ومنهج النبي عنوانه التبعيّة والاقتداء بالحقّ ومنحصر به، فلا تظهر الدعوة للاقتداء من عنوان آخر غير هذا، ولا تكون أبداً في أيّ مورد من الموارد بدون إرائة الحقّ وتعريفه.

فعلاوة على هذه المطالب فقد نقل علماء العامّة الكبار في كتبهم ورسائلهم أخباراً عن نفس رسول اللَه التي تدّل على اشتباه ومعصية بعض الصحابة.

رابعاً: معارضته لبعض ما ورد في نصوص أهل السنة حول الصحابة

يقول العلامّة الأميني:

واللَه سبحانه يعرِّف في كتابه المقدس أناساً منهم بالنفاق وانقلابهم على أعقابهم بآيات كثيرة رامية غرضاً واحداً، ولا تنس ما ورد في الصحاح والمسانيد. ومنها: ما في صحيح البخاري من أنّ أناساً من أصحابه صلّى اللَه عليه وآله وسلّم يُؤخذ بهم ذات الشمال فيقول: «**أصحابي أصحابي فيُقال: إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم**».

وفي صحيح آخر: «**ليرفعنّ رجالٌ منكم ثمّ ليختلجنّ دوني فأقول: يا ربّ أصحابي فيُقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**».

وفي صحيح ثالث: «**أقول: أصحابي فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك**».

وفي صحيح رابع: «**أقول: إنّهم منّي فيُقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدي**».

وفي صحيح خامس: «**فأقول: يا ربّ أصحابي! فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك. إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى**».

وفي صحيح سادس: «**بينا أنا قائمٌ إذا زمرةٌ حتّى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم. فقال: هلمّ. فقلت: أين؟ قال: إلى النار واللّه. قلت: وما شأنهم؟ قال: إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى. فلا أراه يخلص منهم إلّا مثل همل النعم**».

قال القسطلاني في شرح صحيح البخاري (ج ٩ ، ص ٣٢٥) في هذا الحديث: **همل** بفتح الهاء والميم: ضوال الإبل واحدها: هامل، أو الإبل بلا راع. ولا يقال ذلك في الغنم، يعني: إنّ الناجي منهم قليل في قلّة النعم الضالّة، وهذا يشعر بأنّهم صنفان: كفّار وعصاة. وأنت من وراء ذلك كلّه تجد ما شجر بين الصحابة من الخلاف الموجب للتباغض والتشاتم والتلاكم والمقاتلة القاضية بخروج إحدى الفريقين عن حيِّز العدالة، ودع عنك ما جاء في التأريخ عن أفراد منهم من ارتكاب المآثم والإتيان بالبوائق.[1]

---

(١) *الغدير*، ج ٣، ص ٢٩٦ و ٢٩٧.

ويقول العلامة الطبطبائي في تفسيره:

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم قال: «**يرد عليّ يوم القيامة رهطٌ من أصحابي (أو قال: من أُمّتي) يحلّؤون عن الحوض. فأقول: يا ربّ، أصحابي! فيقول: لا علم لك بما أحدثوا بعدك، ارتدّوا على أعقابهم القهقرى فيحلّؤون**»[1] [2].

---

(١) *تفسير الميزان*، ج٣،ص ٤٢٠.

(٢) وينقل المرحوم المجلسي في *«بحار الأنوار»*، الطبعة الكمبانيّة ج٨ ،ص ٧ و ٨، [ومن الطبعة الحروفيّة ج٢٨ ، من ص ٣ إلى ص ٢٧] أخباراً كثيرةً من طريق أهل السنّة راجعة لانحراف الصحابة. ويروي أيضاً في *«روضة الكافي»* طبعة آخوندي ص٣٤٥ ، بإسناده عن زرارة عن أحدهما عليهم السلام قال : «**أصبح رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله يوماً كئيباً حزيناً؟ فقال له : علي عليه السلام مالي أراك يا رسول اللّه كئيباً حزيناً؟ فقال: وكيف لا أكون كذلك وقد رأيت في ليلتي هذه إنّ بني تيم وبني عدي وبني أُميّة يصعدون منبري هذا، يردون الناس عن الإسلام القهقرى، فقلت: يا ربّ في حياتي أو بعد موتي؟ فقال: بعد موتك**».

وفي نفس الصفحة يروي عن زرارة، عن أحدهما (عليهما السلام) قال : قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله : لو لا أني أكره أن يقال: إن محمداً استعان بقومٍ حتّى إذا ظفر بعدوّه قتلهم، لضربت أعناق قوم كثير.

ما أفاده شارح المقاصد في المقام

ينقل المرحوم الشهيد القاضي نور الله الشوشتري رضوان الله عليه في كتاب «إحقاق الحقّ» مطلباً عن المولى سعد الدين التفتازاني شارح كتاب «المقاصد» وهذا المطلب جدير بالدقّة والمطالعة، حيث قال:

«إنّ ما وقع بين الصحابة من المحاربات والمشاجرات، على الوجه المسطور في كتب التواريخ والمذكور على ألسنة الثقات، يدلّ بظاهره على أنّ بعضهم قد حاد عن الطريق الحقّ، وبلغ حدّ الظلم والفسق، وكان الباعث عليه الحقد والعناد، والحسد واللداد، وطلب الملك والرياسات، والميل إلى اللذات والشهوات؛ إذ ليس كلّ صحابي معصوماً، ولا كلّ من لقي النبي صلّى الله عليه وآله بالخير موسوماً، إلّا أنّ العلماء لحسن ظنّهم بأصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله ذكروا لها محامل وتأويلات بها يليق وذهبوا إلى أنّهم محفوظون عمّا يوجب التضليل والتفسيق، صوناً لعقائد المسلمين من الزيغ والضلالة في حقّ كبار الصحابة، سيّما المهاجرين منهم والأنصار، المبشّرين بالثواب في دار القرار. وأمّا ما جرى بعدهم من الظلم على أهل بيت النبي صلّى الله عليه وآله فمن الظهور بحيث لا مجال للإخفاء، ومن الشناعة بحيث لا

اشتباه على الآراء، ويكاد يشهد به الجماد والعجماء، ويبكي له من في الأرض والسماء، وتنهدّ منه الجبال، وتنشقّ منه الصخور، ويبقى سوء عمله على كرّ الشهور ومرّ الدهور، فلعنة اللّه على من باشر أو رضي أو سعى، ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى».[١] ـ انتهى إلى هنا كلام التفتازاني.[٢]

تلخيص وجوه الضعف في حديث «أصحابي كالنجوم»

والخلاصة: أنّه ثبت أنّ حديث «أصحابي كالنجوم» ليس سوى حديث مصطنع ومجعول وضعوه وفقاً لمشتهياتهم، ويدلّ على ذلك وجوه أربعة:

الوجه الأوّل: ضعف رواة هذا الحديث.

الوجه الثاني: مخالفته لآيات القرآن التي تبيّن أنّ التبعيّة والانقياد منحصران بالحقّ تعالى وبالمتّصلين به.

الوجه الثالث: مخالفته لما كانت عليه الحالات الروحيّة للصحابة وللأعمال التي صدرت منهم في حياة النبي.

---

(١) ***إحقاق الحق***، ج ٢، ص ٣٩١ .

(٢) ولمزيدٍ من الاطلاع على ردّ القول بعدالة الصحابة، راجع: ***معرفة الإمام***، ج١٦، ص ٤٢٢ وما بعدها. (م)

الوجه الرابع: مخالفته لكثير من النصوص الواردة عن أهل السنّة ممّا يدلّ على انحراف الكثير من الصحابة بعد الرسول، وأنّهم سيدخلون في جهنّم بسبب البدع التي أحدثوها في الدّين، وبسبب عودتهم إلى الآراء الجاهليّة وأفعالهم التي ارتكبوها بعد رحلة النبي صلى اللَه عليه وآله.[١]

فقه حديث السفينة

يثبت تعارضه مع حديث «أصحابي كالنجوم»

ولنفترض أنّا غضضنا الطرف عن كلّ هذه الجهات، فسيبقى هناك تناف وتعارض بين مضمون حديث: «**مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح؛ من ركبها نجى، ومن تخلّف عنها غرق**» و مضمون حديث «**أصحابي كالنجوم؛ بأيّهم اقتديتم اهتديتم**». واستناداً إلى ضوابط الحديث لا بدّ من ردّ حديث «أصحابي كالنجوم» واعتباره حديثاً مجعولاً وباطلاً؛ وذلك لأنّ حديث السفينة حديثٌ معتبرٌ في أعلى درجات الاعتبار وقد نقل عن رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله متواتراً.

وتوضيح ذلك: أنّ الرسول الأكرم لم يشبّه أهل بيت العصمة عليهم السلام بأيّة سفينة تريد أن تقلّ مسافريها في الليل المظلم من مدينة إلى أخرى، فيحتاج مسافروها إلى نجوم السماء؛ ليحدّدوا مسيرهم بالنظر إليها ويتحركوا ويسيروا نحو

---

(١) ولمزيدٍ من الاطلاع على آراء بعض آراء العلماء من العامّة في ردّ هذا الحديث، راجع: ***معرفة الإمام***، ج١٧، ص ٢٩٨ وما بعدها. (م)

مقصدهم، بل هو يشبّه أهل بيت العصمة عليهم السلام بسفينة نوح عليه السلام، التي امتازت بأنّ من ركبها أحرز النجاة، ومن تخلّف عنها ابتلي بالغرق والهلاك، ولذلك قال: من ركبها نجى ومن تخلّف عنها غرق.

ويتبيّن سرّ هذا المعنى من ملاحظة قصّة نوح عليه السلام ومخالفة الأُمّة له والعذاب الإلهيّ العامّ المتمثّل بغرق وهلاك جميع الأمّة، و انحصار النجاة في الذين التحقوا بتلك السفينة.

فسفينة نوح كانت وحدها سفينة النجاة، ولم يكن في مقابلها سفينة أخرى. لقد كانت تلك السفينة الملجأ الوحيد للأمان، وقد لاقى الهلاك كلّ من لم يلذ بها. كانت سفينة نوح تشقّ طريقها داخل الفيضان الدنيوي والطوفان العالمي في الوقت الذي كان يغمر الماء قمم الجبال.

ولم يكن هدف سفينة نوح الانتقال من نقطة إلى أُخرى ومن محلّ الخطر إلى ملجأ الأمن والأمان؛ لأنّ الماء كان يغمر تمام أنحاء العالم. وعليه لم يكن هناك من مسير محدّد وخاص حتّى يحتاج المسافرون عليها للنجوم ولتحديد الوجهة، بل كان ممّا اختصّت به النجاة من الطوفان والوصول إلى اليابسة بعد انتهائه.

بناءً على ذلك كان غرض سفينة نوح حفظ الراكبين فيها من الغرق والهلاك فحسب. ولم يكن هناك من فرق في سبيل ذلك بين أن يكون الوقت ليلاً أو نهاراً، بين أن يكون هناك نجوم في السماء أو لا يكون. فسفينة نوح لم يكن لها مسير عرضي على وجه الأرض، ولكن عندما ركبها نوح وأتباعه وبدأ الطوفان،

اعتلت على وجه الماء، وعندما انتهى الطوفان وأقلعت السماء عن هطل المطر وابتلعت الأرض ماءها رست على يابسة النجاة.

فمع هذه المعاني يتبيّن كم كان تشبيه رسول الله صلّى الله عليه وآله لأهل بيته عليهم السلام بسفينة نوح تشبيهاً سامياً رفيعاً. ويلاحظ من خلاله انحصار النجاة والأمان في أهل البيت عليهم السلام. وعلاوة على ذلك، فإنّ من يجلس في السفينة لا يمكنه أن يحصي النجوم في الليل المظلم؛ فكثير من النجوم في السماء لا تساهم في تعيين الجهة. نعم، فقط يوجد بعض النجوم التي تكون هادية ومرشدة كالجدي والعيّوق والثريّا وسهيل، وتلك النجوم لا تتجاوز عدد الأصابع. ولذلك قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[1]؛ فقد جعل النجوم في هذه الآية جنساً، فلا يكون المراد تمام النجوم بدون استثناء.

ومن الواضح أنّ هذه النجوم المحدّدة المعيّنة الهادية إلى طريق النجاة هم أمير المؤمنين وفاطمة وابناهما الإمامان الحسن والحسين وذرّيّة الحسين عليهم السلام الذين بحقّ لهم إشراقهم الخاصّ في سماء الإسلام، وهم الهداة المرشدون إلى مدينة السعادة والتوحيد الطيّبة في الليل الديجور وظلمة الليل الطويل مع اضطراب الفتن والأهواء المضلّة.

---

(١) سورة النحل (١٦)، الآية ١٦.

الأقوال في عدالة الصحابة

لقد امتدّ بنا المقام إلى شرح كلام الفخر الرازي المنقـول عـن الـبعض، ولأن الكثير من أهل السنّة بل كلّهم وقعوا في هـذا الاشـتباه، لـذا فقـد اضـطررنا لبسـط الكلام في ذلك رفعاً للشبهة.

ربّما دفع حسن الظن الذي نراه لـدى أكثـر العامّـة إلى القـول بعدالـة صـحابة رسول اللّه، وربّما أجبرهم توجيه وتأويل جنايات بعضهم عـلى الاعتقـاد بعـدالتهم جميعاً.

ولكنّ بعضهم صرّح بأنّ الصحابة كغيرهم لا ميـزة لهـم عـلى سـواهم، فـيهم الصالح والطالح، التقيّ والفاجر، المؤمن والمنافق، عباد اللّه وعباد هوى النفس.

وقيل هم كغيرهم إلى حين ظهور الفتن بين عليّ عليه السـلام ومعاويـة، وأمّـا بعدها فلا يقبل الداخلون فيها مطلقاً. وقالت المعتزلة: هم عدول إلّا من علم أنّـه قاتل عليّاً عليه السلام فإنّه مردود، وذهبت الإماميّة إلى أنّهم كسائر الناس من أنّ فيهم المنافق والفاسق والضال، بل كان أكثرهم كذلك.[1]

لقد ارتدّ كثير من الصحابة بعد ارتحال الرسول الأكرم صلّى اللّه عليه وآله، ورجعوا إلى أعقاب الجاهليّة.

---

(١) ***بحار الأنوار***، [طبعة الكمباني]، ج ٨، ص ٩، [وفي الطبعة الحروفيّـة ج ٢٨، ص ٣٦] في قسـم «البيان» الذي للعلامة المجلسي.

وأمّا العصمة من الخطايا والذنوب فهي تختصّ بمقتضى نصّ آيـة التطهـير برسول اللّه وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والحسـنين علـيهم السـلام، وهـي تشمل خلفاء رسول اللّه الاثني عشر بملاك الآية والبراهين العقليّـة المتظـافرة والنصوص المتواترة عن السنّة والشيعة.(١)

الوجه في تمسّك العامّة بحديث النجوم ووضعه وآثاره الشنيعة على أهل البيت

وعندما قام الصحابة بإبعاد الناس عن أهل البيت عليهم السلام، ودعوهم إلى أنفسهم، وطمعوا في الجلوس على أريكة خلافة رسول اللّه، ولم يكن عندهم استعداد للاقتداء بمـولى الموحّـدين عـليّ ابـن أبي طالـب عليـه السـلام تبعـاً لنصوص الغدير وغيرها من الأدلّة والشواهد التي تفوق الحصر، وحملوا أمـير المؤمنين كالجمل إلى المسجد وأضرموا النار في بيت بنت رسول اللّه الصـدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام ولم يكن عندهم من جواب في مقابل احتجاجـات أمير المؤمنين وأدلّته وفي قبال نور عين المصـطفى وفلـذة كبـده، اضـطرّوا أن يضعوا الحديث القائل: «أصحابي كالنجوم» كي يُفهِموا الناس بأنّ هـؤلاء هـم نجوم السماء وجناياتهم بمثابة أنوار النجوم! تأسّوا بهم واقتدوا بمـنهجهم، ولا

---

(١) *الغدير*، ج٣، ص٢٩٤.

تسألوا عن أفعالهم وتصـرّفاتهم، واعلموا أنّ الصحابة معصـومون عـن الخطـأ ومصونون عن الاشتباه.

فمن هنا تمسّكت الأمّة بهذا الحديث واقتفت أثر الصـحابة المنحـرف، ولم تفعل أيّ شيء مقابل المخالفات والتجاوزات الخطيرة، فقتلوا سبط رسول مع أولاده وأحفاده وعشيرته وأصحابه وأحرقوا خيمته وقاموا بأسر عيالـه، عيـال رسول الله، وارتكبوا الآلاف المؤلّفة من الجنايات بحق العلويّين وبني فاطمـة من بني الحسين ومن بني الحسن، إلى الحدّ الذي كانوا يفرّون فيه إلى أعالي الجبال، ولم يكن عنـدهم طمأنينـة واسـتقرار، وكـانوا يقتلـونهم جماعـات جماعـات في السجون الرطبة والمعتمة، وكانوا يضعون أجسـادهم وهـم أحيـاء في جـدران العمارات.

كلّ ذلك كان من جرّاء التبعيّة والانقياد لحديث «أصحابي كالنجوم» الذي فهمت الأمة معناه جيّداً وتأسّت معه بسيرة أصحاب رسول الله عمر وأبي بكر والمغيرة بن شعبة وأبي عبيدة الجرّاح وعثمان بن عفّان ومعاوية بـن أبي سـفيان وعمرو بن العاص وغيرهم، وأدّوا حقّ سيادتهم ومولوّيتهم عـلى أتـمّ وأكمـل وجه، واقتدوا بهم واهتدوا بهدايتهم حقّ الاهتداء والاقتداء.

فهذا الحديث المجعول في نهايـة المطـاف ينـاقض نفسـه بنفسـه، أي: إنّ مضمونه دليل على بطلان سنده. ولذا فمهما أرادوا أن يدافعوا عن أفعال بعـض

الصحابة المشهورين كانت فظاعة أعماله أشدّ فضاحةً، ومهما حاولوا تلميع خياناتهم وتأويلها على محمل صحيح كانت حقيقة الأمر تزداد وضوحاً.

نبذة عن حالات الزهراء وفضلها وشهادتها

فعندما يصرّح رسول اللّه بأنّ فاطمة فلذة كبده، وأنّ أذاها أذاه، فهل من الممكن أن تُؤوّل وتُوجّه جنايات أبي بكر وعمر على نور بصر رسول اللّه؟ هيهات هيهات!

فأنّى لنا بذلك وبين يدينا هتاف النبيّ الأكرم صلّى اللّه عليه وآله الذي لم يتكرّر مرّة ومرتيّن ولا لشخصٍ وشخصينٍ بل تكرّر أمام الجموع الغفيرة في المجالس المختلفة في قبال المهاجرين والأنصار أمام الصديق والعدو قائلاً صلّى اللّه عليه وآله: «**فاطمة بضعةٌ منّي، فمن أغضبها أغضبني**» وفي لفظة: «**فاطمة بضعةٌ منّي يؤذيني ما آذاها، ويغضبني ما أغضبها**». وفي لفظة: «**فاطمة بضعةٌ منّي، يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها**». وفي لفظة: «**فاطمة بضعةٌ منّي، يؤذيني ما آذاها، وينصبني ما أنصبها**». وفي تاج العروس: أي: يتعبني ما

أتعبها. وفي لفظة: «**فاطمة بضعةٌ منّي، يريبني**[١] **ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها**». وفي لفظة: «**فاطمة بضعةٌ منّي يسعفني ما يسعفها**». وفي تاج العروس: أي: ينالني ما ينالها، ويلمّ بي ما يلمّ بها. وفي لفظة: «**فاطمة شجنةٌ**[٢] **منّي، يبسطني ما يبسطها، ويقبضني ما يقبضها**». وفي لفظة: «**فاطمة مضغةٌ منّي، فمن آذاها فقد آذاني**». وفي لفظة: «**فاطمة مضغةٌ**[٣] **منّي، يقبضني ما قبضها، ويبسطني ما بسطها**». وفي لفظة: «**فاطمة مضغةٌ منّي يسرّني ما يسرّها**»[٤]. وهذه الأحاديث التي رواها أئمّة الحديث عند أهل السنّة في الصحاح الستّة وغيرهم من كبار رجال الحديث في كتبهم المعتبرة رويت بإسنادٍ صحيحٍ، ويروي العلاّمة الأميني قدّس سرّه هذا الحديث عن تسع وخمسين شخصاً من كبار علمائهم كما ورد في كتبهم.[٥]

---

(١) **رابه ورأبه**: رابَ الرجل: تحيّر، فترت نفسه من سكر من نوم أو شبع أو نعاس، **وأرابَ**: جعله رائباً، **والرائب من الأمور**: الصافي ليس فيه شبهة ولا كدر، وأيضاً المشتبه الذي فيه شبهة وكدر (ضد)، المنجد.

(٢) **الشَّجن والشَّجْنة والشِّجنة والشُّجنة**: الغصن الملتق المشتبك، والشعبة من كلّ شيء. ويقولون: الحديث ذو شجون أي: ذو فنون متشعّبة

(٣) المضغة: القطعة التي تمضغ من لحم وغيره.

(٤) روى في «***ينابيع المودّة***» عن الديلمي، طبع اسلامبول، ص ١٧٩؛ أنّ النبي قال: «**إنّ الله ليغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها**».

(٥) الغدير، ج ٧، ص ٢٣١ إلى ص ٢٣٣.

[كذلك روى آية الله السيّد شرف الدين العاملي في كتاب «الكلمة الغرّاء» ص ٢٤٣ إلى ص ٢٤٥ : ⇦

⇦ ٩ـ ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما (كما في ترجمة الزهراء مـن الإصـابة وغيرهـا) عن المسوّر قال: سمعت رسول اللَه صلّى اللَه عليه [وآله] وسلّم يقول على المنبر: «**فاطمة بضعةٌ منّي، يؤذيني ما آذاها ويريبني ما أرابها**».

ونقل النبهاني في أحوال الزهراء من «***الشرف المؤبّد***» عـن البخـاري بسـنده إلى رسـول اللَه صلّى اللَه عليه [وآله] قال: «**فاطمة بضعةٌ منّي، يغضبني ما أغضبها**». قال: وفي رواية: «**فمن أغضبها أغضبني**». قال وفي «***الجامع الصغير***» : «**فاطمة بضعةٌ منّي، يقبضني ما يقبضـها، ويبسطني ما يبسطها**».

وقالت ـ بأبي هي وأمّي ـ لأبي بكر وعمـر كـما صرّح بـه الإمـام ابـن قتيبـة في أوائـل كتـاب «***الإمامة والسياسة***» : «**نشدتكما اللَه ألم تسمعا رسول اللَه صلّى اللَه عليه [وآله] يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ ابنتي فاطمة فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟**». قالا: نعم سمعناه مـن رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله.

وهذا من الأحاديث المتواترة عن أئمة العترة الطاهرة، وكفى به حجـة لتفضـيلها عـلى مـن سواها من العالمين، وهل يعدل مسلم ببضعة النبي صلّى اللَه عليه وآله وسلّم وبقيّته في أمّته أحدٌ من الناس؟!

وقد تدبّر هذا الحديث من تدبّره من أولي الألباب فرآه يرمي إلى عصمتها؛ لدلالته على المنـع من ريبتها وأذيّتها وغضبها أو سخطها ورضاها وانقباضها وانبساطها كما هو الشأن في أذيّـة النبي صلّى اللَه عليه وآله وسلّم وريبته وسـخطه ورضـاه وانقباضـه وانبسـاطه، وهـذا كنـه العصمة وحقيقتها كما لا يخفى.

١٠- ما أخرجه ابن أبي عاصم كما في ترجمتها من «***الإصابة***» بسـنده إلى عـلي عليـه السـلام قال: «**قال رسول اللَه صلّى اللَه عليه [وآله] وسلّم لفاطمة: إنّ اللَه يغضب لغضبك،** ⇦

فهذه الروايات من وجهة نظر أهل السنّة مسلّمة، كما أنّ من المسلّم لديهم أنّ أبا بكر وعمر آذيا السيّدة الزهراء وأسخطاها، كما أنّه ليس هناك مجالٌ للتردّد في أنّ السيدة الزهراء كانت غاضبة من جرّاء أفعالهم بحيث لم تتكلّم معهم وبقيت مُعرِضة عنهم حتّى رحلت عن الدنيا.

روى البخاري في صحيحه بإسناده عن عروة بن الزبير؛ أنّ عائشة أخبرته:

أنّ فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم سألت أبا بكر الصدّيق بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أن يقسّم لها ميراثها ممّا ترك رسول الله صلّى الله عليه [وآله] ممّا أفاء الله عليه. فقال لها أبو بكر: إنّ رسول الله صلّى الله

⇦ **ويرضى لرضاك**». وأخرجه الطبري وغيره بإسناد حسن كما في أحوالها من *«الشرف المؤبّد»* وغيره، وهو في الدلالة على تفضيلها وعصمتها كالحديث السابق.

١١- ما أخرجه جماعة من أثبات المحدّثين وأعلامهم كالإمام أحمد بن حنبل من حديث أبي هريرة في صفحة ٤٤٢ من الجزء الثاني من مسنده قال: نظر النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم إلى عليّ والحسن والحسين وفاطمة فقال: «**أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم**». وأخرج الترمذي من حديث زيد بن أرقم كما في ترجمة الزهراء من *«الإصابة»* أنّ رسول الله قال: «**علي وفاطمة والحسن والحسين، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم**». وهذا الحديث في الدّلالة على تفضيلها وعصمتها كسابقه، وفيه دلالة على كفر محاربيهم كما هو ظاهرٌ.

عليه [وآله] قال: لا نورث ما تركنا صدقة. فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتّى توفيّت.[١]

كذلك روى البخاري عن عروة عن عائشة:

أنّ السيّدة فاطمة أرادت أخذ إرثها، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منه شيئاً، فوجدت[٢] **فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفيّت. وعاشت بعد النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ستّة أشهر. فلمّا توفيت دفنها زوجها علي ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى عليها.**[٣]

ومن العجيب أنّ الترمذي في سننه نقل عن عليّ بن عيسى وصحّف وتأوّل سكوت فاطمة بكيفيّةٍ ماكرةٍ، وقد أراد أن يخفي جنايات أبي بكر وعمر. يقول: إنّ أبا بكر وعمر خاطبَا السيّدة فاطمة: نحن لم نعطك فدكاً لأننا كنّا قد سمعنا من رسول الله أنّنا لا نوّرث، فعليه سكتت فاطمة ولم تجبهم، وهذا ما يدّل على تصديقها إيّاهم، ولم تتكلّم بعد ذلك بموضوع فدك مطالبةً بالإرث.

---

(١) ***صحيح البخاري***، ج ٢، ص ١٨٦ باب فرض الخمس، ومن طبعة أميريّة بولاق، ج ٤، ص ٧٩.

(٢) **وجَدَت عليه**، أي: غضبت عليه.

(٣) ***صحيح بخاري***، ج ٣، باب غزوة خيبر، ص ٥٥، ومن طبعة أميريّة بولاق، ج ٥،ص ١٣٩.

فتأويل الترمذي وتصحيفه تصرّف خاطئ وغلط كبير في مقابل الروايات الصحيحة التي نقلها البخاري وغيره من أنّ فاطمة غضبت. ولم تلاقيهم بعد ذلك، ولم تتكلّم معهم، وأوصت أن تدفن ليلاً، وأن لا يخبروا أبا بكر بالصلاة عليها حتّى رحلت كذلك عن الدنيا،[١] فأين يمكنهم أن يضعوا هذا التأويل والتوجيه فوق جنايات ابن أبي قحافة؟!

وأخيراً لم تكن قد أوصت السيّدة الزهراء أن لا يحضر أبو بكر صلاتها وحده فقط، بل كذلك ابنته عائشة. يقول في أُسد الغابة في شرح حال السيّدة فاطمة بعد وصيّتها مشيراً إلى كيفيّة تهيئها للدفن ووصيّتها لأسماء بنت عُميس:

لمّا توفّيت جاءت عائشة فمنعتها أسماء، فشكتها عائشة إلى أبي بكر، وقالت: هذه الخثعمية[٢] تحول بيننا وبين بنت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فوقف أبو بكر على الباب وقال: يا أسماء! ما حملك على أن منعت أزواج النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أن

(١) ***سنن الترمذي***، [الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (مصر - سنة ١٣٨٢) تحقيق: إبراهيم عطوة، ج ٤، ص ١٥٧ و ١٥٨].

(٢) لقد جاء في «***تاريخ الطبري***»، [طبعة مؤسسة الأعلمي]، ج ٢، ص ٦١٦: الجد الأعلى لأسماء بنت عميس كان أفتل وهو خثعم. قال: هي أسماء بنت عميس بن معد ابن تيم ابن الحارث بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن مالك بن نسر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن خلف بن أفتل وهو خثعم.

يدخلن على بنت رسول اللَه صلّى اللَه عليه [وآله] وسلّم ، وقد صنعتِ لها هودجاً؟ قالت: هي أمرتني أن لا يدخل عليها أحد، وأمرتني أن أصنع لها ذلك. قال: فاصنَعِي ما أَمَرَتْكِ. وغسّلها عليٌّ وأسماء.[1]

فغسلها أمير المؤمنين عليه السلام ليلاً ودفنها ليلاً. يقول الشيخ الأزري:

ولأيّ الأمُــــورِ تُـــــدفنُ سرًّا ... بَضعَةُ المُصطفى ويُعفَى ثَراهَا[2]

* * *

(١) ***أسد الغابة***، [طبع دار التراث العربي]، ج٥، ص٥٢٤.

(٢) ***القصيدة الأزريّة***، ص ١٦٠.

المجلس الخامس

(خلاصة موعظة يوم الجمعة ١٦ جمادى الأولى ١٣٩١هـ)

مسجد القائم في طهران

تأكِيدُ عُلماء العَامّة على لزُوم مَوَدّة أهلِ البيتِ عَليْهم السَّلام

أعوذُ بِاللَه مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم

بِسْمِ اللَه الرَّحْمَنِ الرَّحيم

وَصَلَّى اللَه عَلَى سَيّدِنا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطيِّبِينَ الطَّاهِرين

وَلَعنَةُ اللَه عَلَى أعْدائِهِمْ أجْمَعين مِنَ الآنَ إلَى قِيامِ يَوْمِ الدّين

وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلّا بِاللَه العَليِّ العَظيم

رواية ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات ..

قال اللَه الحكيم في كتابه الكريم:

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.[1]

ذكرنا سابقاً في تفسير هذه الآية المباركة رواياتٍ عديدة من طرق الشيعة و السنّة، وتقدّم أنّ في المقام روايات كثيرة وردت في كتب التفسير والحديث عندهم تتحدّث عن لزوم مودّة أهل البيت واتّباع سيرتهم.

---

(١) سورة الشورى (٤٢)، الآية ٢٣.

فمن ذلك ما رواه الزمخشري في تفسيره «الكشّاف» عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله وسلّم قال:

من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة، ثمّ منكر ونكير.

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزفّ إلى الجنّة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها. ألا و من مات على حبّ آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنّة. ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل اللّه قبره مزار ملائكة الرحمة. ألا و من مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة.

ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبٌ بين عينيه: آيسٌ من رحمة اللّه. ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً. ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة.[١]

---

(١) ***تفسير الكشّاف***، ج ٤ ، ص ٢٢٠؛ و كذلك ورد في ***روح البيان*** ج ٨ ، ص ٣١٢؛ و كذلك ورد عن رسول اللّه في التفسير المنسوب إلى محيي الدين ابن العربي، ص ٤٣٣ ؛ و كذلك أورده أبو الفتوح الرازي في تفسيره ج ١٠ (من الطبعة الحاوية لاثني عشرة مجلّداً) ص ٥٧ .

الفخر الرازي: آل محمّد هم علي وفاطمة والحسنان

و قد نقل الفخر الرازي هذا الحديث أيضًا في تفسيره عن الزمخشري وأيّده ثمّ قال بأنّ المراد من آل محمّد هم عليّ بن أبي طالب وفاطمة الزهراء والحسن والحسين، وهذا ممّا لا شكّ ولا ترديد فيه والأخبار المتواترة قد تكفّلت بإثباته. وأمّا غيرهم من أقارب النبيّ أو أمّته التي صدّقته بدعوته فلا يمكن إطلاق لقب

كما أورده آية الله السيّد عبد الحسين شرف الدين في *«الفصول المهمّة»* الطبعة الخامسة ، ص ٤٢ و ٤٣ ، مع تخريج الثعلبي في تفسيره الكبير بإسناده إلى جرير بن عبد الله البجلي، ثمّ قال: وقد أرسله الزمخشري في تفسير آية المودّة في القربى من سورة الشورى من كشّافه إرسال المسلّمات ، ورواه المؤلّفون في المناقب والفضائل مرسلاً مرّة ومسنداً تارات.

ثمّ قال: وأنت تعلم أنّ هذه المنزلة السامية إنّما ثبتت لهم لأنّهم حجج الله البالغة، ومناهل شرائعه السائغة وأمناؤه بعد النبي [صلّى الله عليه وآله] على وحيه، وسفراؤه في أمره ونهيه، فالمحبّ لهم بسبب ذلك محبّ لله والمبغض لهم مبغض لله.

ومن هنا قال فيهم الفرزدق:

من معشر حبّهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم

إن عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

هذا وللسيّد عبد الحسين شرف الدين في تعليقته عند بيانه معنى «آل محمّد» شرحاً [حيث يقول: المراد من آل محمّد في هذا الحديث ونحوه مجموعهم من حيث المجموع، باعتبار أئمّتهم الذين هم خلفاء رسول الله صلّى الله عليه وآله وأوصياؤه]، وأتبع ذلك بوصيّة رائعة يوصي بها أولاده؛ [يقول فيها: كنت قد أوصيت أولادي أن يكتبوا هذا الحديث على كفني بعد الشهادتين لألقى الله تعالى بذلك، والآن أكرر وصيّتي هذه إليهم ولتكن الكتابة على العمامة].

الـ «آل» عليهم. وحيث إنّ الاختلاف قد وقع في صدق الـ «آل» عليهم، فيتعيّن أن يكون المقصود قطعاً من الـ «آل» هو هؤلاء الأربعة: أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين.[١]

ثمّ يشرع بعد بيان هذا الأمر بالاستدلال على وجوب مودّة آل محمّد.

كما روى القندوزي هذا الحديث أيضًا في آخر الباب الثالث من «ينابيع المودّة»، نقلاً عن أبي إسحاق الثعلبي في تفسيره، بسنده عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد اللّه البجلي، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله. ثمّ قال القندوزي: أخرجه أيضًا الحمويني بلفظه [في «فرائد السمطين»]، ونقله «فصل الخطاب» و «روح البيان»[٢].

---

(١) ***تفسير الفخر الرازي***، ج ٢٧، ص ١٦٦.

[ما نقله سماحة العلاّمة قدّس سرّه عن تفسير الفخر الرازي بالمعنى، وما وَرد أعلاه ترجمةٌ لما أورده رضوان اللّه عليه، آثرنا نقله كما هو، و فيما يلي نصّ ما ورد في تفسير الفخر الرازي، حيث قال بعد نقل الحديث المذكور: «**هذا هو الذي رواه صاحب «الكشاف»، وأنا أقول: آل محمّد صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكلّ من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الـ «آل»، ولا شكّ أنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول اللّه صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم أشدّ التعلّقات وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الـ«آل». وأيضاً اختلف الناس في الـ آل فقيل: هم الأقارب وقيل هم أمّته، فإن حملناه على القرابة فهم الـ «آل»، وإن حملناه على الأمّة الذين قبلوا دعوته فهم أيضاً «آل»، فثبت أنّ على جميع التقديرات هم الـ «آل»، وأمّا غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الـ «آل»؟ فمختلف فيه**». (م)]

(٢) ***ينابيع المودّة***، طبع النجف، ص ٢٩.

أبيات الشافعي في حبّ أهل البيت عليهم السلام

و قد أنشد الشافعي محمّد بن إدريس الأبيات التالية في وجوب محبّة أهل البيت بنصّ القرآن الكريم:

يا آل بيت رسول الله حبّكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنّكم من لم يصلِّ عليكم لا صلاة له[1]

كما يقول الشافعي في موضع آخر:

لو فتّشوا قلبي لألفوا به سطرين قد خطّا بلا كاتب
العدل و التوحيد في جانب وحبّ أهل البيت في جانب[2]

ويفهم من هذه الأشعار بنحوٍ واضحٍ أنّ من المسلّمات عند الشافعي كون وجوب محبّة أهل البيت كوجوب الاعتقاد بالتوحيد والعدل، و أنّه يعتبر أنّ من أصول الشريعة و أسسها كون التديّن بموالاة أهل البيت في نفس رتبة و درجة التديّن بالتوحيد و العدل، فلو لم يلتزم شخص بمحبّتهم عليهم السلام فإنّ

(١) ذكر في التعليقة على مقدّمة «*ينابيع المودّة*» أنّ هذه الأشعار للإمام الشافعي، ونقلها عنه في «*الصواعق المحرقة*» ص ١٤٦ ؛ و «*نور الأبصار*» ص ١٠٥ ؛ و «*إسعاف الراغبين*» المطبوع بهامش «نور الأبصار»، ص ١١٨؛ و«**شرح المواهب**» للزرقاني، ج ٧، ص ٧، وغير ذلك.

(٢) *ينابيع المودّة*، طبع النجف، ص ٥٦٨.

إحدى أصول دينه ستكون فاسدة، وبالتالي فكلّ بنائه فاسد؛ لأنّ البناء لا يقوم على قاعدة واحدة دون الثانية كما هو معروف.

كما أنشد الشافعي، متصوّرًا إفاضة الحجيج من المشعر الحرام إلى منى في صباح عيد الأضحى:

يا راكباً قف في المحصّب[1] من منى	**و اهتف بساكن خيفِها و الناهضِ**
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى	**فيضاً كمنهلٍّ[2] الفرات الفائضِ**
و أخبرهم أنّي من النفر الذي	**لولاء أهل البيت ليس بناقض**

(١) يقول في «*مجمع البحرين*»: و في الحديث: «**فرقد رقدة بالمحصّب**»، هو بضم الميم و تشديد الصاد موضع الجمار عند أهل اللغة، و المراد به هنا كما نصّ عليه بعض شرّاح الحديث الأبطح؛ إذ المحصّب يصحّ أن يقال لكلّ موضع كثيرة حصباؤه، والأبطح مسيل واسع فيه دقاق الحصى، وهذا الموضع تارة يسمى بالأبطح و أخرى بالمحصّب، أوّله عند منقطع الشعب من وادي منى و آخره متّصل بالمقبرة التي تسمّى عند أهل مكّة بالمعلّى، وليس المراد بالمحصّب موضع الجمار بمنى؛ وذلك لأنّ السنّة يوم النفر من منى هي أن ينفر الحاج بعد رمي الجمار وأوّل وقته بعد الزوال وليس له أن يلبث حتّى يمسي، وقد صلّى به النبيّ المغرب والعشاء الآخرة وقد رقد به رقدة، فعلمنا أنّ المراد من المحصّب ما ذكرناه.

ويقول في «*لسان العرب*»: **المُحصَّب**: موضع رَمْيِ الجِمار بِمِنىً، و قيل: هو الشِّعْبُ الذي مَخْرَجُه إلى الأَبْطَحِ، بين مكّة ومِنى.

ومن المعلوم أنّ مراد الشافعي من المحصّب هو موضع رمي الجمار؛ وذلك أنّه يقول: «قف في المحصّب من منى، واهتف بساكن خيفِها والناهضِ، سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى» ومن الواضح أنّ الحجيج في السحر يذهبون من المشعر الحرام إلى منى وليس من منى إلى مكّة.

(٢) أوردها الآلوسي في تفسيره بلفظ «كمُلتَطَم»، أمّا الفخر الرازي فقد أورده كما في المتن.

إن كـــان رفضـــاً حـــبّ آل محمّـــد فليشهد الثقلان أنّي رافضـــي[(١)(٢)]

كما يُنقل عن الشيخ شمس الدين ابن العـربي أنّـه أنشـد الأبيـات التاليـة استناداً إلى الآية المباركة ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ﴾:

رأيــت ولائــي آل طــه وســيلةً على رغــم البعــد تــورثني القربــا

---

(١) ***تفسير الفخر الرازي***، ج ٢٧ ، ص ١٦٦ ؛ و «***ينابيع المودّة***» طبع النجف ، ص ٥٦٨ ، نقلاً عن ابن حجر. و قد أورد ابن حجر الهيتمـي البيـت الأول والثـاني والرابـع في «***الصـواعق المحرقـة***» ، ص ٧٩ .

ثمّ يقول ابن حجر بعد نقله لأبيات الشافعي : قال البيهقـي: وإنّـما قـال الشـافعي ذلـك حـين نسـبه الخوارج إلى الرفض حسداً وبغياً. وله أيضاً: وقد قال المزني: إنّك رجلٌ توالي أهل البيت فلو عملتَ في هذا الباب أبياتاً فقال:

و ما زال كتماً منك حتّى كأنّني بردّ جواب السـائلين لأعجـمُ

و أكتم ودّي مع صفاء مودّتي لتسلم من قول الوشّاء و أسلم

كما أنشد أيضاً:

قــالوا ترفّضــت قلــتُ كــلاّ ما الــرفض دينــي و لا اعتقــادي

لكنْ تولّيت مــن غــير شــكٍّ خـــيرَ إمـــام و خـــير هـــادي

إن كــان حــبّ الــوليّ رفضــا فـــإنّني أرفـــض العبـــاد

(٢) نقل المستشار عبد الحليم الجندي في كتابـه «***الإمـام جعفـر الصـادق***» البيتـين الأوّل و الرابـع واضعاً نقطاً بينهما للدّلالة على تخلّل بيت بينهما، وأورد البيت الأوّل بالشكل التالي: (واهتـف بقاعـد خيفها والناهض) ، وقال قبل نقل الأشعار: **وسمع العالَم الشافعيَّ في جامع عمرو يهتزّ تحنّناً إلى أبناء عليّ في الحجاز فينشد** ...

فما طلب المبعوث أجراً على الهدى بتبليغـه إلّا المـودّة في القـربى[(١)]

بيان المراد من اقتراف الحسنة في الآية

وأمّا بالنسبة إلى تفسير ذيل الآية المباركـة حيـث يقـول تعـالى: ﴿**وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا**﴾، فقد ورد في تفسير الكشّـاف و تفسـير الفخـر الـرازي: أنّ الظاهر من كلمة «حسنة» العموم، إلّا أنّه بقرينة مجيئها عقيب ذكر المودّة في القـربى، دلّ ذلك على أنّ المقصود التأكيد على تلك المودّة.[(٢)]

وينقل صاحب «نظم درر السِّمطين» ـ في الخطبة التي رواهـا عـن الإمـام الحسن المجتبى عليه السلام التي ألقاها بعد دفن أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة ـ الكلمات التالية التي قالها عليه السلام في آخر الخطبة:

«أنا من أهل بيتٍ الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وأنا من أهل بيتٍ الذين كان جبريل عليه السلام ينزل فينا ويصعد

---

(١) مقدّمة ***«ينابيع المودّة»***، طبع النجف، ص ٤، نقلاً عن ***«الصواعق المحرقة»*** ص ١٦٨. [ونلفت عناية القارئ الكريم إلى أنّ هذين البيتين قد نسبا إلى الشيخ شمس الـدين بـن عـربي كـما ورد في المـتن أعـلاه في المصادر السابقة وفي كتاب «الغدير»، ج٢، ص ٣١٠ نقلاً عن الصـواعق أيضـاً، ولكـنّ العلّامـة الطهـراني أجرى تحقيقاً حول هذين البيتين في كتابه «الروح المجرّد» خلص فيه إلى أنهما ينتسبان إلى محيي الدين بن عربي، وللاطّلاع على كيفيّة انتساب هذه الأشعار إلى الشيخ محيي الدين بن عربي، راجع: ***الروح المجرّد***، ص ٣٢٩؛ و ص ٤٢٩ و ٤٣٠، التعليقتان ١و ٢ في الهامش. (م)]

(٢) ***تفسير الكشّاف***، ج ٤، ص ٢٢١؛ و ***تفسير الفخر الرازي***، ج ٢٧، ص ١٦٧. (م)

من عندنا، وأنا من أهل بيتٍ الذين فرض الله تعالى مودّتهم على كلّ مسلم، وأنزل الله فيهم: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ﴾، واقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت».[1]

هذا وقد أورد هذه الخطبة كلّ من ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة»، ج ١٧، ص ٣٠، والقندوزي في «ينابيع المودّة» طبع النجف، ص ٨، كما وردت في تفسير «مجمع البيان» ج ٥، ص ٢٩.

وقد روى صاحب «المجمع» هذه الخطبة عن الإمام الحسن عليه السلام بطريق صحيح، ثمّ أضاف أنّ أبا حمزة الثمالي والسدّي فسّرا الحسنة بمودّة «آل محمّد».

كما ورد في التفاسير أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾ لأهل ولايتهم.

قول الزمخشري بلزوم مودّة أهل البيت

هذا، وقد أورد الزمخشري في تفسيره عدّة وجوه للاستدلال على وجوب مودّة أهل البيت عليهم السلام من الآية الكريمة:

الأوّل: ما روي عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال:

---

(١) ***نظم درر السمطين***، ص ١٤٨.

«**شكوت إلى رسول اللَه صلّى اللَه عليه [وآله] وسلّم حسد الناس لي. فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أوّل من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين**»[١].

الثاني: ما روي عن رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله وسلّم أنّه قال:

«**حرمت الجنّة على من ظلم أهل بيتي و آذاني في عترتي**»[٢].

الثالث: قول رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله وسلّم:

«**من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً...**»[٣]ـ إلى آخر الرواية التي أوردناها في مطلع البحث[٤].

سبب اختلاف العامّة في تفسير آية المودّة

يقول المرحوم السيّد عبد الحسين شرف الدين:

«**وأخرج أحمد بن حنبل ـ كما في «الصواعق» أيضًا ـ عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ قال: هي المودّة**

---

(١) روى هذا الحديث الشيخ إسماعيل حقّي بروسوي أيضاً في «*روح البيان*»، ج ٨، ص ٣١١.

(٢) *تفسير [الجامع لأحكام القرآن] للقرطبي*، ج١٦، ص ٢٢؛ و*تفسير أبي مسعود*، ج ٨، ص ٣٠.

(٣) *تفسير الكشّاف*، ج٤، ص ٢٢٠. (م)

(٤) *هذا الكتاب*، المجلس الخامس، ص ١٦٠. (م)

لآل محمّد. وأخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «الشرف المؤبّد»[١] ـ عن ابن عبّاس أيضًا.

وعن أبي حمزة الثمالي في تفسيره، عن ابن عبّاس: أنّه حين استحكم الإسلام بعد الهجرة، قالت الأنصار: نأتي رسول الله فنقول له: قد تعروك أمور، فهذه أموالنا تحكم فيها كيف شئت، فأتوه بذلك، فنزلت الآية فقرأها عليهم، وقال: «تودّون قرابتي من بعدي». فخرجوا مسلّمين لقوله. و قال المنافقون: إنّ هذا لشيء افتراه في مجلسه أراد به أن يذلّلنا لقرابته من بعده، فنزلت ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾[٢] ــ الحديث. و قد أخرج الثعلبي و البغوي ـ كما في «الصواعق» ـ عن ابن عباس أيضًا مثله».

ثم يقول السيّد شرف الدين:

«قاتل الله الحسد يورد أهله الدرك الأسفل من النار. أنظر كيف خرج هؤلاء من الدين، كذّبوا ـ حسداً لأولياء الله ـ نبيّهم وهو الصادق الأمين، فأنزل الله تعالى في نفاقهم قرآناً يتلوه المسلمون آناء الليل وأطراف النهار، ومع ذلك فإنّ بذرة أهل النفاق والحسد قد أجذرت بتعاهد أولي السلطة لها ـ من بني أُميّة وغيرهم ـ بما يستوجب نموّها،

---

(١) *الشرف المؤبّد*، ٩٥.

(٢) سورة الشورى (٤٢)، الآية ٢٤. (م)

وجمهور المسلمين غافلون، فالتبس الأمر، ووقعت الشبهة. وإنّما دخل البلاء باعتماد الجمهور على من كان في الصدر الأوّل، وبنائهم على عدالة كلّ فردٍ فردٍ ممّن كانت له صحبة، مع ما يتلونه في الكتاب والسنّة من شؤون المنافقين، وتربّصهم الدوائر بسيّد النبيّين و المرسلين صلّى الله عليه وآله.

واشتدّ البلاء بالمنع من الخوض في تلك الأحوال، وسدّهم باب البحث عن حقائق أولئك الرجال، فضيّعوا على أنفسهم كثيراً من الحقائق، وربما نسجوا ـ من حيث لا يقصدون ـ على منوال كلّ منافق، ولذلك اختلفوا في هذه الآية، مع ما سمعت بعضه من النصوص الجليّة في نزولها بمودّة العترة الزكيّة».[1]

انتهى كلام العلاّمة السيّد عبد الحسين شرف الدين، والحقّ أنّه كان بحثاً علميّاً ومتقناً.

وقد روى محمّد بين يعقوب الكليني في «الكافي» عن الإمام الصادق عليه السلام:

قال عليه السلام: «ما يقول أهل البصرة في هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ﴾ ـ الآية؟»

(١) *الفصول المهمّة*، ص ٢٢٢ و [٢٢٣].

قيل: إنّهم يقولون: لأقارب رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله. قال: «كذبوا، إنّما أنزلت فينا خاصّةً في أهل البيت: في عليّ وفاطمة والحسن والحسين أصحاب الكساء».(١)

وفي كتاب «المحاسن» للبرقيّ رُوي عن الباقر عليه السلام:

«أنّه سئل عن هذه الآية فقال: هي واللّه فريضة من اللّه على العباد لمحمّد صلّى اللّه عليه وآله في أهل بيته».(٢)

كما روى في «الكافي» عن الإمام الباقر عليه السلام:

«أنّه سئل عن هذه الآية فقال: هم الأئمّة عليهم السلام».(٣)

ويلاحظ أنّ مفاد الأخبار الواردة عن الخاصّة والعامّة حول ذوي القربى ووجوب مودّتهم مفاد واحد، ولم يدّع الشيعة في ذلك شيئاً يزيد على ما ذكره كبار أهل السنّة في كتبهم، وهذا بنفسه دليل على أنّ وجوب مودّة آل محمّد أمر قد أوصى به نفس رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أمّته بنحو مسلّم وقطعيّ.

غير أنّ أعداء آل محمّد قد عزموا منذ اليوم الأوّل على أذيّتهم، فسلبوهم كامل حقوقهم من الولاية الكبرى وخلافة رسول اللّه، حتّى أنّهم منعوهم من

---

(١) ***تفسير الصافي***، ج٢، ص ٥١٣؛ [ومن طبعة انتشارات الصدر، ج ٤، ص ٣٧٣].

(٢) ***نفس المصدر***.

(٣) الكافي، طبعة دار الحديث، ج٢، ص٣٦٦. (م)

الخمس وميراث رسول اللَه، وصبّوا عليهم الآلام والمصائب من كلّ جانب وعرّضوهم للضغوط الفادحة.

قل للمغيّب تحت أطباق الثرى إن كنت تسمع صرختي ونـدائيا
صبّت علـيّ مصـائب لـو أنّها صبّت على الأيام صرن لياليـا[1]

هل حافظ الصحابة على مودّة آل محمّد؟!

يقول ابن قتيبة الدينوريّ المتوفّى سنة ٢٧٦ للهجرة في حديثه عمّا جرى بعد امتناع عليّ من البيعة:

قام عمر فمشى معه جماعة حتّى أتوا باب فاطمة عليها السلام، فدقّوا الباب؛ فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها باكية: يا رسول اللَه، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة.[2]

ويتابع فيروي ما حصل بعد أن عجزوا عن أخذ البيعة من عليّ، فيقول:

فلحق عليّ بقبر رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله يصيح ويبكي وينادي: يا بن أمّ، إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني.[1]

---

(١) ***المناقب*** لابن شهر آشوب، ج١، ص ١٦٨؛ [ونلفت عناية القارئ الكريم إلى أنّ هذه الأشعار التي رويت أعلاه عن السيّدة الزهراء عليها السلام تمّ إيرادها مع بقيّة الأبيات المتبقّية، للاطلاع عليها راجع: ***هذا الكتاب***، المجلس الثامن، ص٢٦٩. (م)]

(٢) ***الإمامة والسياسة***، ج١، ص ١٣.

وقال أيضًا:

إنّ أبا بكر رضي اللَه عنه تفقّد قوماً[٢] تخلّفوا عن بيعته عند علي كرّم اللَه وجهه، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا

---

(١) *نفس المصدر.*

(٢) [يقول آية اللَه السيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ في كتاب «*الفصول المهمّة*»، ص ٤٥ حتى ص ٤٧، في ذكر طائفة من أهل التأويل ممّن امتنع عن البيعة وتخلّف عنها ولم يوجب ذلك قدحاً في عدالته عند العامّة:

هذا أبو ثابت سعد بن عبادة العقبي البدري سيّد الخزرج ونقيبهم وجواد الأنصار وعظيمهم، تخلّف عن بيعة الخليفتين، وخرج مغاضباً إلى الشام فقتل غيلة بحوران سنة ١٥ للهجرة، وله كلام يوم السقيفة وبعده نلفت الطالبين له إلى كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة أو إلى تاريخ الطبري أو كامل ابن الأثير أو غيرها من كتب السير والأخبار؛ فإنّي لا أظنّه يخلو من كتاب يشتمل على ذكر السقيفة وكلّ من ذكر سعداً من أهل التراجم ذكر تخلّفه عن البيعة، ومع ذلك لم يرتابوا في كونه من أفضل المسلمين وعدول المؤمنين، وما ذاك إلّا لكونه متأوّلاً، فهو معذور عندهم وإن كان مخطئاً. وهذا خبّاب بن المنذر بن الجموح الأنصاريّ البدريّ الأحدي، تخلّف عن البيعة أيضاً كما هو معلوم بحكم الضرورة من تاريخ السلف، فلم يقدح ذلك في عدالته ولا أنقص من فضله، وهو القائل: أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجّب [١] أنا أبو شبل في عرينة الأسد، واللَه لئن شئتم لنعيدنّها جذعة. وله كلام آخر رأينا الإعراض عنه أولى، ولولا معذرة المتأوّلين ما كان أهل السنّة ليقطعوا بأنّ هذا الرجل من أفاضل أهل الجنّة، ومع مكاشفته للخليفتين بما هو مبسوط في كتب الفريقين. ⇦

⇐ وهذا أمير المؤمنين عليه السلام، وعمّه العبّاس وبنوه، وعتبة بن أبي لهب، وسائر بني هاشم، وسلمان الفارسي، وأبو ذرّ، والمقداد، وعمّار، والزبير، وخزيمة بن ثابت، وأبي بن كعب، وفروة بن عمرو بن ودقّة الأنصاري، وخالد ابن سعد بن العاصّ، والبراء بن عازب، ونفر غيرهم تخلّفوا عن البيعة أيضا بحكم ما تواتر من الأخبار واتّضح اتّضاح الشمس في رابعة النهار، وقد نصّ الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما [٢] على تخلّف علي عن البيعة حتّى لحقت سيّدة النساء بأبيها صلّى الله عليه وآله وانصرفت عنه وجوه الناس.

وصرّح بتخلّفه المؤرّخون كابن جرير الطبري في موضعين من أحداث السنة الحادية عشرة من تاريخه المشهور، وابن عبد ربّه المالكي في حديث السقيفة من الجزء الثاني من العقد الفريد [٣] وابن قتيبة في أوائل كتابه الإمامة والسياسة وابن الشحنة حيث ذكر بيعة السقيفة في كتابه «روضة المناظر» [٤] وأبي الفداء حيث أتى على ذكر أخبار أبي بكر وخلافته في تاريخه الموسوم بالمختصر في أخبار البشر ونقله المسعودي في مروج الذهب عن عروة بن الزبير في مقام الاعتذار عن أخيه عبد الله [٥] إذ همّ بتحريق بيوت بني هاشم عليهم حين تخلّفوا عن بيعته، ورواه الشهرستاني عن النظّام عند ذكره للفرقة النظاميّة في كتابه الملل والنحل، وأورده ابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي في أوائل الجزء السادس من شرح النهج [٦]، ونقله العلّامة في نهج الصدق عن كتاب المحاسن وأنفاس الجواهر وغرر ابن خزابة وغيرها من الكتب المعتبرة، وأفرد أبو مخنف لبيعة السقيفة كتاباً على حدة فيه تفصيل ما أجملناه من تخلّف علي عن البيعة وعدم إقراره لهم بالطاعة.

---

[١] الجذيل مصغّر جذل: عود ينصب للجرباء لتحتك به. والعذيق مصغر عذق: قنو النخلة. والمرجّب: المبجّل، والتصغير هنا للتعظيم.

[٢] راجع أواخر باب غزوة خيبر في صفحة ٣٦ من الجزء الثالث من صحيح البخاري المطبوع في مصر سنة ١٣٠٩ وفي هامشه تعليقة السدي، أو باب قول النبي صلّى الله ⇐

أن يخرجوا فدعا بالحطب و قال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها. فقيل له: يا أبا حفص، إنّ فيها فاطمة! قال: وإنْ. فخرجوا فبايعوا إلّا عليّاً فإنّه زعم أنّه قال: حلفت أن لا أخرج ولا ثوبي أضع على عاتقي حتّى أجمع القرآن. فوقفت فاطمة رضي اللّه عنها على بابها فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضراً منكم، تركتم رسول اللّه صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا ولم تردّوا لنا حقّاً.[1]

⇦ عليه وآله: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة» من كتاب الجهاد والسير من صحيح مسلم في صفحة ٧٢ من الجزء الثاني طبع مصر سنة ١٣٢٧ تجد التصريح بتخلّفه عن البيعة مسنداً إلى أمّ المؤمنين عائشة (رض).

[٣] في ص ١٩٧ من النسخة المطبوعة في مصر سنة ١٣٠٥ وفي هامشها زهر الآداب .

[٤] هذا الكتاب ومروج الذهب مطبوعان في الهامش من كامل ابن الأثير، أمّا مروج الذهب فمطبوع مع الخمس الأوّل من مجلّدات الكامل، وهذا الكتاب - أعني تاريخ ابن الشحنة - في هامش المجلّد الأخير المشتمل على جزء ١١ وجزء ١٢ ، وما نقلناه عنه هنا موجود في صفحة ١١٢ من الجزء الحادي عشر فراجع .

[٥] عرفت أنّ مروج الذهب مطبوع في هامش ابن الأثير ، وما نقلناه الآن عنه موجود في آخر صفحة ٢٥٩ من الجزء السادس فراجع .

[٦] في أوائل الصفحة الخامسة من المجلّد الثاني من الشرح طبع مصر .]

(١) ***الإمامة والسياسة***، ج ١، ص ١٢ و١٣.

يقول ابن أبي الحديد:

ثمّ دخل عمر فقال لعليّ: قم فبايع، فتلكّأ[١] واحتبس[٢]، فأخذ بيده، وقال: قم، فأبى أن يقوم، فحمله ودفعه كما دفع الزبير. ثمّ أمسكهما خالد، وساقهما عمر ومن معه سوقاً عنيفاً، واجتمع الناس ينظرون، وامتلأت شوارع المدينة بالرجال. ورأت فاطمة ما صنع عمر، فصرخت وولولت، واجتمع معها نساء كثير من الهاشميّات وغيرهن، فخرجت إلى باب حجرتها، ونادت: يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله. والله لا أكلّم عمر حتّى ألقى الله.[٣]

بعض الأبيات في حبّ أهل البيت عليهم السلام

وما أروع ما أنشد الأزري في ذلك حيث قال:

لا تلمني يا سعد في مقت قومٍ ... ما وفت حقّ أحمد إذ وفاها

أو ما قال عترتي أهل بيتي ... احفظوني في برّها وولاها

---

(١) **تلكّأ عن الأمر**: أبطأ وتوقّف.

(٢) **احتبس في الكلام**: توقّف.

(٣) ***شرح نهج البلاغة***، الطبعة القديمة، ج ٢، ص ١٩، وكذا في: ج ١، ص ١٢٤.

نـــازعوه حيّـــاً وخـــانوه ميّتـــاً   يـا لتلـك الحظـوظ مـا أشـقاها

إلى أن يقول:

نقضـــوا عهـــد أحمـــد في أخيـــه   وأذاقـــوا البتـــول مـــا أشـــجاها

وهـــي العـــروة التـــي لـــيس ينجـــو   غـــير مستعصـــم بحبـــل ولاهـــا

لم يـــــر اللّه للنبـــــوّة أجـــــراً   غـــير حفـــظ الـــوداد في قرباهـــا

لست أدري إذ روّعت وهي حسـرى   عانـــد القـــوم بعلهـــا وأباهـــا

يـــوم جـــاءت إلى عـــدي وتـــيم   ومـــن الوجـــد مـــا أطـــال بكاهـــا

فدعت واشـتكت إلى اللّه شـجواً   والـــرواسي تهتـــزّ مـــن شـــكواها

إلى أن يقول:

أيّهـــا القـــوم راقبـــوا اللّه فينـــا   نحن من روضة الجليـل جناهـا

إلى أن يقول:

أيّهـــا النـــاس أيّ بنـــت نبـــيّ   عـــن مواريثـــه أبوهـــا زواهـــا

كيف يزوي تراثي عنّي عتيق[1]   بأحاديـــث مـــن لدنـــه افتراهـــا

إلى أن يقول:

أيّ شيء عبـــدتم إذ عبـــدتم   أن يـــولّى تـــيم عـــلى آل طـــه

---

(١) عتيق هو اسم أبي بكر، وقد ورد في «تاريخ الطبري»، ج٢ ، ص ٦١٥ ما يلي: اسم أبي بكر عبد اللّه، وإنّه إنّما قيل له: عتيق عن عتقه. وقد روى بإسناده عن عمارة بن غزيّة، قال: سألت عبد الرحمن بن القاسم عن اسم أبي بكر الصديق، فقال: عتيق، و كانوا إخوةً ثلاثة بني أبي قحافة: عَتِيق ومُعتَق وعُتَيْق.

هـذه الـبردة التـي غضـب اللّه عـلى كـلّ مـن سـوانا ارتـداها

إلى أن يقول:

علـم اللّه أنّنـا أهـل بيـت لـيس تـأوي دنيّـة مأواهـا

إلى أن يقول:

ولأيّ الأمـور تـدفن سرّاً بضعة المصطفى ويعفـى ثراهـا

فمضت وهي أعظم الناس وجداً في فم الـدهر غصّـة مـن جواهـا

وثوت لا يرى لها الناس مثوى أيّ قـدس يضـمّه مثواهـا[1]

* * *

(١) ***ديوان الأزري***، ص ١٥٧ إلى ص ١٥٩.

المجلس السادس

(خلاصة موعظة يوم الجمعة ٢٣ جمادى الأولى ١٣٩١هـ)

مسجد القائم في طهران

لُزوم مَودَّة أهلِ البيتِ عَليهِم السَّلام
وفَرضُها في القرآنِ والسُّنّة

أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيم

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطيِّبينَ الطَّاهِرين

وَلَعنَةُ اللهِ عَلَى أعْدائِهِمْ أجْمَعين مِنَ الآنَ إلَى قِيامِ يَوْمِ الدِّين

وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ * أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ * وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ (١)

(١) سورة الشورى (٤٢)، الآيات ٢٣ إلى ٢٦.

نقلنا فيما سبق[١] ما ورد في تفاسير عديدة من طريق السنّة والشيعة في تفسير آية المودّة، وصار معلوماً وواضحاً بدون أدنى شكٍّ أنّ المراد بالقربى في هذه الآية أمير المؤمنين وفاطمة والحسنين عليهم السلام.

نزر من الروايات في تفسير القربى

يقول المرحوم القاضي الشهيد السيّد نور الله الشوشتري:

«روى الجمهور في الصحيحين، وأحمد بن حنبل في مسنده، والثعلبيّ في تفسيره، عن ابن عبّاس رحمه الله، قال: لمّا نزلت ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾، قالوا: يا رسول الله! مَن قرابتك الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: عليّ وفاطمة وابناهما».[٢]

ووقد أورد العلاّمة الخبير آية الله المرعشي ـ مُدّ ظلّه[٣] ـ في تعليقته على آية المودّة أنّ هناك خمساً وخمسين عالماً من أعاظم المحدّثين والمفسّرين والمتكلّمين من أهل السنّة قد نقلوا في كتبهم بأسانيدهم أنّ آية المودّة لذوي القربى منحصرةٌ في دلالتها على أمير المؤمنين وفاطمة والحسنين عليهم السلام.

---

(١) ***هذا الكتاب***، المجلس الرابع. (م)

(٢) ***إحقاق الحق***، ج ٣ [طبع الإسلامية]، ص ٢.

(٣) كان آية الله المرعشي النجفي على قيد الحياة حين التصنيف، لذا آثرنا إبقاء النصّ على ما هو عليه. (م)

وفسّروا الآية المُباركة بوجوب المودّة لهم، وذلك من باب الأجر على الرسالة.[١]

كما ورد كذلك في كتاب «ملحقات الإحقاق» أنّ عدد العلماء الذين نقلوا ذلك يبلغ أربعاً وستّين عالماً.[٢]

ويقول ابن صبّاغ المالكي: ولله درُّ القائل إذ قال:

هُمُ العُروةُ الوُثقى لِمُعتَصِمٍ بِها
مَناقِبُهم جَاءَتْ بِوحيٍ وإنزالِ

مَناقبُ في شورى وسورةِ هَل أتىَ
وفي سورةِ الأحزابِ يَعرفُها التّالي

وهُمْ آلُ بيتِ المُصطفى فَودادُهم
على النّاس مَفروضٌ بِحكمٍ وإسجالِ[٣]

وينقل الشبلنجي أنّ أبا الحسن بن جبير قد أنشد :

أحبُّ النبيَّ المُصطفى وابنَ عمِّهِ … عليّاً وسِبطَيهِ و فاطمةَ الزَّهرا
هُم أهلُ بيتٍ أُذهبَ الرجسُ عنهُمُ … وأطلَعَهُم أُفقُ الهُدى أنجُماً زُهرا

---

(١) *إحقاق الحقّ*، ج ٣، ص ٢ إلى ص ١٨.

(٢) *نفس المصدر*، ج ٩، ص ٩٢ إلى ص ١٠١.

(٣) *الفصول المهمة* [لابن صبّاغ المالكي]، ص [٢٧].

مُوالاتهُم فَرضٌ على كلِّ مُسـلمٍ وحُبُّهمُ أسنَى الذَّخائر للأُخـرَى

ومَا أنا للصَّحبِ الكرامِ بمُبغضٍ فإنّي أرَى البغضاءَ في حقِّهِم كُفرا[١]

الصراط المستقيم: محمّد وآله

وقد أورد الثعلبيّ في كتاب الكشف والبيان في تفسيره لـ ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[٢] أنّ مُسلمَ بن حيّان يقول: لقد سمعت أبا بريدة يقول: **صراط محمّد وآله**.[٣]

ويروي الحموينيّ في «فرائد السمطين» بإسناده عن أصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴾[٤]: **الصِّراط: وِلايتنا أهلَ البيت**.[٥]

كما ويروي الحموينيّ في الفرائد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: **نحن خيرة الله ونحن الطّريق الواضح المستقيم**.[٦]

---

(١) ***الغدير***، ج ٢، ص ٣١١ (نقلاً عن كتاب نور الأبصار).

(٢) سورة الفاتحة (١)، الآية ٦. (م)

(٣) ***نفس المصدر***.

(٤) سورة المؤمنون (٢٣)، الآية ٧٤.

(٥) ***الغدير***، ج ٢، ص ٣١١.

(٦) ***نفس المصدر***، ص ٣١٢.

بعض الروايات في لزوم مودّة القربى

وقد ورد في «ذخائر العقبى» عن أبي سعيد أنّه روى بإسناده، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال:

أنا وأهل بيتي شجرة في الجنّة وأغصانها في الدنيا فمن تمسّك بنا اتّخذ إلى ربّه سبيلاً.[١]

وأورد العلاّمة المرعشيّ في تعليقته على «إحقاق الحقّ»، أنّ العلامة الحافظ ابن كثير الدمشقيّ المُتوفّى سنة ٧٧٤ روى في تفسيره فقال:

قال الإمام أحمد: حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أبي حيّان التيمي، حدّثني يزيد بن حيّان، قال: انطلقت أنا وحصين بن ميسرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم رضي الله عنه، فلمّا جلسنا إليه، قال حُصين: لقد لقيتَ يا زيد خيراً كثيراً؛ رأيتَ رسول الله صلّى الله عليه وآله، وسمعتَ حديثه، وغزوتَ معه، وصلّيتَ معه. حدّثنا يا زيد ما سمعتَ من رسول الله صلّى الله عليه وآله. فقال: يا ابن أخي! كبر سنّي، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلّى الله عليه وآله، فما حدّثتكم فاقبلوه وما لم أحدّثكم فلا تكلّفونيه، ثمّ قال رضي الله عنه: قام رسول الله صلّى الله عليه وآله يوماً خطيباً فينا بماءٍ يُدعى خُمّاً بين مكّة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ، ثمّ قال صلّى الله

---

(١) *نفس المصدر*، ص ٣١٢.

عليه وآله: أمّا بعد، أيّها الناس! إنّما أنا بشرٌ يُوشك أن يأتيني رسول ربّي فأجيب، وإنّي تاركٌ فيكم الثقلين أوّلهما كتاب الله تعالى فيه الهُدى والنور، فخذوا بكتاب الله فاستمسكوا به فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، وقال صلّى الله عليه وآله: وأهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي ـ الخ. [١]

وقال ابن حجر في الصواعق:

لقد حدّث الديلمي عن أبي سعيد الخدريّ أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: ﴿ **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ** ﴾ [٢] **عَن وِلاية عليّ**. ومن المحتمل أن يكون هذا المعنى نفس المراد حيث ورد هناك أنّه: رُوي أنّ المراد في ﴿ **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ** ﴾ ولاية عليٍّ وأهلُ بيته عليهم السلام. [٣]

ويُروى عن جابر بن عبد الله أنّه قال:

جاء أعرابيٌّ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: يا محمّد! اعرض عليّ الإسلام فقال: تشهّد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله. قال: تسألني عليه أجراً ؟! قال: لا إلّا المودّة

(١) ***إحقاق الحق***، ج ٣، ص ٩.

(٢) سورة الصافات (٣٧)، الآية ٢٤.

(٣) ***الغدير***، ج ٢، ص ٣١٠.

في القربى. قال: قرابتي أو قرابتك ؟! قال: قرابتي. قال: هات، أبايعك، فعلى من لا يحبك ولا يحب قرابتك لعنة الله. فقال النبي صلى الله عليه وآله: آمين. (١)

ورُوي عن ابن عباس أنّ النبيّ صلّى اللَه عليه وآله قال:

لو أنّ رجلاً صَفَنَ(٢) بين الرُكن والمقام، ثمّ لقيَ الله وهو مبغضٌ لأهل بيت محمّدٍ دخل النار. (٣)

ونقل الحاكم هذا الحديث في مستدركه وصحّح إسناده وكذلك صحّحه الذهبي في تلخيصه.

وروى الطبرانيّ أيضًا في «الأوسط» عن طريق أبي ليلى عن سيّد الشهداء عليه السلام، عن جدّه رسول الله صلّى اللَه عليه وآله أنّه قال:

الزموا مودّتنا أهل البيت فإنّه من لقي الله عزّ وجلّ وهو يودّنا دخل الجنّة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلّا بمعرفة حقّنا. (١)

---

(١) ***نفس المصدر***، ص ٣٠٧ ، قال: وأخرجه الحافظ الكنجي في ***الكفاية*** ص ٣١ ، من طريق الحافظ أبي نعيم عن محمّد بن أحمد بن مخلّد عن الحافظ ابن أبي شيبة بإسناده.

(٢) **صفن الرجل**: صفّ بين قدميه.

(٣) ***الغدير***، ج ٢ ، ص ٣٠١.

بعض الروايات في لزوم مودّة أمير المؤمنين

وقد روى مثله الحافظ السمّان في كتاب «الأمالي» بإسناده عن رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله:

لو أنّ عبداً عَبَدَ اللَه سبعة آلاف سنةٍ ـ وهو عمر الدنيا ـ ثمّ أتى اللَه عزّ وجلّ يُبغض علياً بن أبي طالب، جاحداً لحقه، ناكثاً لولايته؛ لأتعس اللَه خيره وجدع أنفه.[٢]

وأخرج الخوارزمي في «المناقب» عن النبيّ صلّى اللَه عليه وآله، أنّه قال لعليّ:

يا عليّ؟ لو أنّ عبداً عبد اللَه عزّ وجلّ مِثلَ ما قام نوح في قومه، وكان له مثل أحدٍ ذهباً فأنفقه في سبيل اللَه، ومدّ في عمره حتّى حجّ ألفَ عامٍ على قدميه، ثمّ قُتل بين الصفا والمروة مظلوماً، ثمّ لم يوالك يا عليّ؟ لم يشمّ رائحة الجنّة ولم يدخلها.[٣]

---

(١) ***نفس المصدر***، وقال: ذكر هذا الحديث الهيثمي في «***المجمع***» وابن حجر في «***الصواعق***» ومحمد سليمان محفوظ في «***أعجب ما رأيت***» والنبهاني في «***الشرف المؤبّد***» والحضرمي في «***رشفة الصادي***».

(٢) ***الغدير***، قال: وذكره القرشي في «***شمس الأخبار***».

(٣) ***الغدير***، ج ٢، ص ٣٠٢، ثمّ قال بعد الثاني: أخرجه الحافظ الكنجي بإسناده من طريق الحافظ أبي الفضل السلامي، ثمّ قال: هذا حديث سنده مشهور عند أهل النقل.

وروى الخوارزمي مثله عن أم سلمة، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآلـه أنّه قال:

يا أمَّ سلمة ! أتعرفينه؟! قلت: نعم، هذا عليٌّ بن أبي طالب. قال: صدقتِ، سَجيّته سجيّتي، ودمُه دمي، وهو عيبة علمي؛ فاسمعي واشهدي: لو أنّ عبداً من عباد اللّه عزّ وجلّ عَبدَ اللّه ألف عامٍ بين الركن والمقام، ثمّ لقي اللّه عزّ وجلّ مبغضاً لعليّ بن أبي طالـب وعترتي، أكبّه اللّه تعالى على منخره يوم القيامة في نار جهنم. [١]

وأخرج ابن عساكر في تاريخه مسنداً عن جابر بن عبد اللّه، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، في حديثٍ:

يا عليّ! لو أنّ أمّتي صاموا حتّى يكونوا كالحنايا، وصـلّوا حتـى يكونوا كالأوتار، ثمّ أبغضوك؛ لأكبّهم اللّه في النار. [٢]

و أخرج أبو عبد اللّه الملا في سيرته، عن ابن عباس:

أنّه مرّ بعد ما كُفَّ بصره [١] **على قوم يسبُّون عليّاً فقال لقائده: ما سمعتَ هؤلاء يقولون؟ قال: سبّوا عليّاً! قال: رُدّني إليهم. فردّه،**

---

(١) *نفس المصدر.*

(٢) *نفس المصـدر*، ثـمّ قـال: وذكـره الكنجـي في «*الكفايـة*»، وأخرجـه الفقيـه ابـن المغـازلي في «*المناقب*»، ونقله عن القرشي في «*شمس الأخبار*» ورواه شيخ الإسلام الحمويني في «*الباب الأول*».

فقال: أيّكم السابُّ لله عزّ وجلّ؟! قالوا: سبحان الله من سبّ الله فقد أشرك. قال: فأيّكم السابُّ لرسول الله؟! قالوا: سبحان الله، ومن سبّ رسول الله فقد كفر.

قال: أيّكم السابُّ عليّ بن أبي طالب؟! قالوا: أمّا هذا فقد كـان. قال: فأنا أشهد بالله وأشهد أنّي سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: من سبّ علياً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله عزّ وجلّ، ومن سبّ الله كبّه الله على منخريه في النار. ثمّ ولّى عنهم فقال لقائده: ما سمعتَهم يقولون؟ قال: ما قالوا شيئاً. قال: فكيف رأيت وجوههم إذ قلت ما قلت؟ قال:

نظـروا إليـك بـأعين محمـرّةٍ　　　نظر التيوس إلى شفار الجازر

قال: زدني فداك أبوك. قال:

خزر العيون نواكسٌ أبصارهم[٢]　　　نظر الذليل إلى العزيز القاهر

---

(١) ينقل في «*ينابيع المودّة*» طبع اسلامبول، ص ٢٤٨، عن مير سيّد عليّ بن شهاب الهمداني أنّ سعيد بن جبير قال: رأيت ابن عبّاس بعد أن كفّ بصره، فأخذته من المسجد إلى منزله ـ ثمّ يذكر هذه الحادثة بأكملها، من دون الأشعار الأخيرة.

(٢) **الأخزر**: ضيّق العين، جمعه: خُزر. **ناكسٌ رأسه**: عندما يطوي الرجل رأسه نحو الأسفل، وجمعه شذوذاً على نواكس.

قال: زدني فداك أبوك. قال: ما عندي غير هذا. قال: لكن عندي:

أحياؤهم عارٌ عـلى أمـواتهم والميتون فضيحةٌ للغابر[(١)(٢)]

معاناة فاطمة عليها السلام
وخيانة الأمّة في الوفاء بأجر الرسالة

ثمّ في النتيجة، ومع كل هذه التوصيات التي صدرت من جانب الرسول صلّى اللَه عليه وآله وسلّم، نجد أنّ الأمّة ومنذ اليوم الأول لارتحاله قد وفّته أجر الرسالة أيّ وفاء؟! فقبل أن يدفن النبيّ ويكفّن تداعوا في سقيفة بني ساعدة على سلب الحكومة والرئاسة، ثمّ قاموا بالهجوم على بيت الولاية والطهارة.

يقول النظّام[(٣)]:

---

(١) ***الغدير***، ج ٢، ص ٢٩٩ ، ثمّ قال: وأخرجه محبّ الدين الطبري في «***الرياض***»، والكنجي في «***الكفاية***» ، وشيخ الإسلام الحمويني في «***الفرائد***» في الباب السادس والخمسين، وابن صبّاغ المالكي في «***الفصول***».

- **الغابر**: يطلق على الشيء الذي مضى، وكذلك على الشيء الباقي، وهي من الأضداد.

(٢) لقد نقل هذه القصة في ***الفصول المهمّة*** عن كتاب «***كفاية الطالب في مناقب عليّ ابن أبي طالب***» ، تأليف: الحافظ بن محمّد بن ريف محمّد الكنجي الشافعي.

(٣) هو رئيس الجماعة النظّاميّة اسمه نظّام بن سيّار بن هاني بن إبراهيم، ووفاته في سنة ٢٣٠ هـ ، لقد قرأ الكثير من كتب الفلاسفة، وبناءاً على نقل الشهرستاني (في الجزء الأوّل، ص ٦١) فقد خلط كلام الفلاسفة مع كلام المعتزلة.

إنّ عُمَر ضرب بطن فاطمة عليها السلام يوم البيعة حتّى ألقت المُحسن من بطنها، وكان يصيح أحرقوها بمن فيها. وما كان في الدار غير عليّ وفاطمة والحسن والحسين.[١]

لقد اجتمعت على فاطمة سلام الله عليها مصائب جمّة؛ فمن جهةٍ كانت تُدافع عن غصب مقام الولاية والخلافة الإسلامية وحرفها عن محورها الأصلي مع غاية الألم والمعاناة التي صاحبت ذلك.

يقول ابن قتيبة الدينوري:

وخرج عليٌّ كرّم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على دابّة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به. فيقول عليّ كرّم الله وجهه: أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته لم أدفنه وأخرج أنازع الناس سلطانه؟! فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبه.[٢]

---

(١) ***الملل والنحل*** للشهرستاني، الطبعة الأولى ـ مصر، ج ١، ص ٧٣.

(٢) ***الإمامة والسياسة***، ج ١، ص ١٢.

ومن جهة أخرى، كانت تتعرّض للأذى والإهانة الواضحة، مضافاً إلى غصب فدك وسهمها من خيبر وسهمها من حقوق ذوي القربى، أضف إلى ذلك المخاصمات والمجادلات التي وقعت مع أبي بكر وعمر. غير أنّ الإرهاق الجسدي وإسقاط الجنين لم يُبقيا لها من حولٍ أو قوّةٍ. خاصّة أنّه مع فقدان أبٍ كرسول الله، وكان يجدر بهذه الأمّة أن تحميها وأن لا تتركها وحيدةً، بل كان ينبغي أن تعمل على تعزيتها وتسليتها.

لكنّ هذه الأمّة وفت النبيّ أجر رسالته، حيث تركت الزهراء الصدّيقة وحيدة على سرير المرض بقلب حزين منكسر، فكما ورد في رواية ابن قتيبة أنّها لم تبق فى الدنيا بعد والدها أكثر من خمس وسبعين يوماً[(١)] أو في رواية ابن أبي الحديد أكثر من اثنين وسبعين يوماً.[(٢)]

فقد آذوها إلى الحدِّ الذي لم تسمح لأبي بكر وعمر بالدخول عليها، إلى أن توسّطوا لدى أمير المؤمنين فيما بعد لعيادتها وزيارتها، فسلّموا عليها، فأدارت وجهها، ولم تردّ السلام مع أنّ ردّ السلام واجب على كلّ مسلم، ومن هنا صار معلوماً بأنها لم تعترف بإسلام أبي بكر وعمر.

(١) ***الإمامة والسياسة***، ج ١، ص ١٤.

(٢) ***شرح نهج البلاغة*** لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٢١٤.

يقول ابن قتيبة:

بعد أن حملوا علياً إلى المسجد ولم يُبايع، ذهب بقلبٍ حزين إلى قبر النبيّ وجلس يبكي ويصيح عنده، فقال عُمَـر لأبي بكـر رضي الله عنهما: **انطلق بنا إلى فاطمة فإنّا قد أغضبناها؛ فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا عليّاً فكلّماه فأدخلهما عليها، فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلّما عليها فلم تردّ السلام.**

ثم قال ابن قتيبة:

بعد أن بدأ أبو بكر بالاعتذار بأنّني إنّـما حرمتـك مـن الإرث لأنّي سمعت رسول الله يقول: **لا نورّث، ما تركنا فهو صدقة.**

فقالت: أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، تعرفانه وتفعلان به؟! قالا: نعم. فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي و سخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقـد أحبّنـي، ومـن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالا: نعم، سمعناه من رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم.

قالت : فإنّي أشهد اللّه وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ لأشكونّكما إليه ... واللّه لأدعونّ اللّه عليك في كل صلاة أصلّيها.(١)

وقد نقلنا فيما مضى عن «أسد الغابة» أنّ فاطمة عليها السلام أوصت أن لا يدخل عليها أحدٌ، ولذا منعت أسماءُ عائشةَ عندما أرادت الدخول، رغم أنّها توسّلت بوالدها الخليفة آنذاك، وقالت له أسماء: هي أمرتني أن لا يدخل عليها أحد؛ وغسّلتها هي وعلي.(٢)

ونقلنا مثله عن صحيح البخاري وأنّ عليّاً دفن فاطمة ليلاً وصلّى عليها بنفسه وأنّ أبا بكر لم يكن يعلم بذلك.(٣)

ويقول عليّ بن برهان الدين الحلبي الشافعي:

وقال الواقدي: وثبت عندنا أنّ عليّاً كرّم اللّه وجهه دفنها رضي اللّه عنها ليلاً وصلّى عليها ومعه العباس والفضل رضي اللّه عنهم، ولم يُعلموا بها أحداً.(٤)

---

(١) ***الإمامة والسياسة***، ج ١، ص ١٤.

(٢) ***هذا الكتاب***، نهاية المجلس الرابع من هذا الكتاب ص ١٥٥ و ص ١٥٦.

(٤) ***السيرة الحلبية***، طبعة ١٣٨٢ هجريّة، ص ٣٩٩.

وينقل الحرّ العاملي في رجاله في رسالة بعنوان «رسالة في معرفة الصحابة» عن الكشّي، بإسناده المتصل عن زرارة، عن أبي جعفر، عن جدّه عن جدّه عن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، أنّه قال:

«ضاقت الأرض بسبعة بهم ترزقون وبهم تنصرون وبهم تمطرون، منهم سلمان وأبو ذر والمقداد وعمّار وحذيفة رحمة الله عليهم وأنا إمامهم، وهم الذين صلّوا على فاطمة».(١)

* * *

(١) ***رسالة في معرفة الصحابة***، ص ٥٤ (في أحوال حذيفة بن اليمان)، وفي رجال الكشّي لم يذكر الشخص السابع لذلك لم يذكره الشيخ الحرّ العاملي هنا. وفي ***الاختصاص*** للشيخ المفيد ص ٥ بإسناده عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**قال أمير المؤمنين عليه السلام: خُلقت الأرض لسبعة؛ بهم ترزقون، وبهم تنصرون، وبهم تمطرون، منهم: سلمان الفارسي، والمقداد، وأبو ذر، وعمار، وحذيفة، وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: وأنا إمامهم، وهم الذين صلّوا على فاطمة صلوات الله عليها**».

المجلس السابع

(خلاصة موعظة يوم الجمعة ٣٠ جمادى الأولى ١٣٩١هـ)

مسجد القائم في طهران

علة جعل القرآن مودّة القربى كأجرٍ على الرسالة

أعوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيم

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطيِّبِينَ الطَّاهِرين

وَلَعنَةُ اللهِ عَلَى أعْدائِهِمْ أجْمَعين مِنَ الآنَ إِلَى قِيامِ يَوْمِ الدِّين

وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم:

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ * أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ * وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[1].

---

(١) سورة الشورى (٤٢)، الآيات ٢٣ إلى ٢٦.

سرّ تأكيد القرآن على مودّة أهل البيت

يُلاحظ في القرآن الكريم أنّه قد تمّ التأكيد على بعض الأحكام الشرعيّة بشكلٍ كبيرٍ. ومع أنّه كان يُستبعد في الظاهر أن يكون هذا النوع من التأكيد أمراً ضروريّاً، إلّا أنّه بعد وفاة الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم وبسبب عدم العمل بذلك الحكم ونموّ جذور الفساد، فقد عادت آثار سيّئة وعواقب وخيمة على المسلمين، وبالتالي اتّضح بأنّ إصرار القرآن المجيد وتأكيده على ذلك الحكم، وتوعّدَه بالتبعات الخطيرة والعذاب الأليم من خلال إبراز الشدّة في لحن آياته، كلّ ذلك كان من أجل تلافي الوقوع في تلك النتائج المشؤومة. هذا مع أنّه يحتمل أن يكون ذلك قد أثار دهشة المسلمين وتعجّبهم في زمان رسول الله حينما أُنزل ذلك الحكم من قِبل الله وتمّ التأكيد عليه بوضوحٍ، فاعتقدوا بأنّه ليس من المناسب التأكيدُ الشديد على أمر حقير، لكن بعد مشاهدة الآثار التي ترتّبت عليه بعد ذلك، اتضح جليّاً بأنّ جميع تلك التأكيدات كانت في محلّها.

فإذا قام متكلّم حكيم بالتأكيد على أمر بسيط، ثمّ بالغ في ذلك التأكيد وألحّ عليه، أو أنّه وجّه خطابه إلى من لا يمتلك الأهليّة لتلقّي ذلك النوع من الخطاب، فإنّنا نستنتج من ذلك احتواء ذلك الأمر البسيط على سرّ كبير مستتر قد خفي عن المخاطَب والمكلَّف به. فمن باب المثال، لو تمّت مخاطبة عالم زاهد قد قضّى أيّام حياته في العبادة والزهد واعتزال الدنيا والترفّع عن جمع زخارفها أن:

يا أيّها الرجل! لا تزْنِ في الطريق العامّ أمام أنظار الآلاف من الأشخاص! أو مثلاً توجّه الخطاب إلى شخص متقيّد بالآداب: ألّا تصيح في الشارع ولا تمش وأنت عريان كما ولدتك أمّك! فإنّنا نستكشف من ذلك وجود شوائب من الهواجس النفسانيّة في ذلك العالِم إذا لم يسع نحو رفعها فإنّه من الممكن ـ لا قدّر اللَه ـ أن يُؤدّي ذلك بالتدريج إلى صدور مثل ذلك العمل منه، وأنّ ذلك الرجل الحكيم العليم الفطِن قد شاهد في ذلك العالم بعض الآثار الدالّة على بروز مثل هذه الحادثة منه. أو أنّه قد شُوهد في ذلك الشخص المؤدّب بالآداب الحسنة بعض المظاهر التي إذا لم يهتمّ برفعها فإنّه من الممكن لتلك البذرة الصغيرة والخفيّة لعدم العفّة والحياء أن تنموَ فيه شيئاً فشيئاً إلى أن يصل به الأمر ـ من خلال البيئة والعوامل الخارجيّة ـ إلى أن يعتبر بأنّ المشي في الطريق العامّ بدون لباس أو ساتر والصياح والعربدة عملاً حسناً. ولهذا من اللازم عليه أن يأخذ بعين الاعتبار كلام ذلك الناصح الفطِن والحكيم الخبير وأن يُطيعه لكي لا تحصل له مثل هذه الحوادث.

بعض الموارد التي أكّد القرآن ونبّه عليها

وفي القرآن المجيد توجد العديد من الموارد التي تمّ التأكيد عليها بشكل كبير. وقد كان الإصرار والتنبيه عليها كبيراً جدّاً إلى درجة يُحتمل معها أن يكون ذلك الإصرار والتأكيد وذلك النوع من التنبيهات المتّخذة في حقّ المخالفين

لذلك الحكم قد أثار تعجّب المسلمين في ذلك العصر. ومن باب المثال، سنتعرّض لبيان بعض الموارد:

أوّلًا: التنبيه من المعاملات الربويّة والتأكيد على تركها

المورد الأوّل: ما يرتبط بالمعاملات أو القروض الربويّة، حيث تمّ في القرآن المجيد النهي عن إيقاعها بلحنٍ عجيبٍ جدّاً، بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾(١).

أي: أنّه [أي: آكل الربا] سيفقد بواسطة هذا العمل الدنيء جميعَ صفاته وكمالاته الإنسانيّة، وسيقوم بإسقاط إنسانيّته ويخرج من زُمرة البشر، فكأنّه قد غيّر ماهيته ودخل في زُمرة الشياطين.

ويقول بعد ذلك في ذيل هذه الآية: ﴿وَمَنْ عَادَ(إلى ارتكاب الربا بعد نزول هذه الآية وحرمة الربا)فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

ثمّ يقول: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾(٢)؛ (سيقضي اللَه تعالى على ثمرة الربا، وسيرفع بركته وخيره ورحمته، وعلاوةً على ذلك فإنّه سيجعل تلك الزيادة عُرضة للهلاك والضياع. وأمّا النفقات

---

(١) سورة البقرة (٢)، صدر الآية ٢٧٥.

(٢) سورة البقرة (٢)، الآية ٢٧٦.

والصدقات فمع أنّها تُؤدّي في الظاهر إلى نقصان المال، لكنّها ستفضي في الحقيقة إلى زيادته ووفرة النعم ونزول الخير والرحمة. والذين يأكلون الربا هم أشخاص عاصون، والله لا يُحبّ العاصي الذي يكفر بالنعم).

ويقول بعد ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1]؛ (يا أيّها الذين آمنوا وأسلَموا، اتقوا ربّكم، وتنازلوا عن جميع الأرباح المترتّبة على تلك القروض الربويّة التي منحتموها من بعدِما تُليت عليكم هذه الآية واطّلعتم على حرمة الربا، واصرفوا أنظاركم عن الربح الحاصل من تلك الأموال إن كنتم مؤمنين. واعلموا أنّكم إذا لم ترضخوا لهذا الحكم، فإنّكم تكونون قد وضعتم أنفسكم في موضع المواجهة مع الله ورسوله، أي: إنّ الله ورسوله سيقومون بمحاربة آكل الربا الذي أعلن من خلال هذا الفعل الشنيع الحرب على الله ورسوله).

ونُلاحظ في هذه الآيات إلى أيّ حدّ قد تمّ التحذير عن الربا، مع أنّه كان مُتداولاً في عهد رسول الله بشكل بسيط وبين أفراد معدودين، حيث لم تكن قد ظهرت بعدُ في العالم المعاملات الربويّة الدقيقة والربا المركّب، وتأسّست البنوك التي بنت أنظمتها وقوانينها الداخليّة على أساس الربا لِتعصف بثروة الناس الضعفاء من خلال شتّى وسائل الدعاية والإشهار، وحتّى أنّه في تلك

(١) سورة البقرة (٢)، الآية ٢٧٨ وصدر الآية ٢٧٩.

الأيّام لم تكن قد انعقدت بعدُ نطفة هذا القسم من المعاملات الربويّة لكي يُصدر القرآن مثل هذا الحكم القاسي والخطير. ويُمكننا أن نعدّ بحقّ هذا الحكم من الملاحم والمعاجز التي جاء بها القرآن حول الربا.

والسبب في ذلك هو أنّ الربا كالنار التي تُحرق أطراف كلّ محلّ تقع فيه، وتوسّع من مكانها، وتسري من الفرد إلى المجتمع، وبالتالي سينقسم الناس من خلال اتباع هذه المعاملات إلى طبقة ضعيفة وطبقة غنيّة. فبسبب القروض الربويّة وعدم القدرة على تسديدها، ستكون طبقة من الناس ساقطة على الدوام عن درجة الوجود، وسيُضاف ذلك ـ وبنفس الدرجة ـ إلى ثروة تلك الجماعة من المـُترفين والمعتدين.

وتبعاً لهذا الاختلاف الطبقي ستفسد المعنويّات، وتُزرع في القلوب بذور الحسد والبغضاء والبخل، وتُشعل الحروب والصراعات الدوليّة فضلاً عن النزاعات المحليّة، بحيث سينهدم أساس الإنسانيّة ويُصبح هشيماً تذروه الرياح، وتخرُب الدنيا وتظهر بصورة قبيحة وذميمة.

وأمّا إذا اقتُلع الربا من جذوره، فإنّ هذه الخسائر النفسيّة والماليّة والروحيّة لن تُصيب الناس، ولن تسريَ من الأفراد إلى المجتمع، ولن تُظهر الدنيا صورتَها الكريهة على شكل نار ظاهريّة ومعنويّة تُحرق الناس.

ومن المحتمل أن يكون هذا المعنى الوارد في القرآن الكريم مثاراً للتعجّب في تلك الأيّام. وكذلك الأمر بالنسبة للراوايات الصادرة عن رسول اللَه وأئمّة أهل البيت عليهم السلام التي تحدّثت بلحن شديد حول الربا ـ والتي مفادها أنّ معصية أكل درهم واحد من الربا تفوق الزنا بالأمّ في بيت اللَه الحرام ـ حيث أنّها قد تكون بدورها مثيرة للتعجّب.[1]

وأمّا في هذا العصر ـ حيث إنّ تلك النطفة الكامنة قد انعقدت شيئاً فشيئاً وظهرت على شكل جنين وطفل رضيع وبعد ذلك ستقطع مراحل أخرى من عمرها في هذه الدنيا ـ فقد تبيّن حقّاً كم هي عالية وقيّمة تلك المطالب التي بيّنها القرآن المجيد، وأنّ معصية الربا تفوق بحقٍّ الزنا بالأمّ في بيت اللَه الحرام. ولهذا لا نجد في القرآن المجيد بأنّ المعصية المترتّبة على أقبح عمل (نظير الزنا وشرب الخمر والقمار والظلم وحتّى قتل شخص بريء) قد بلغت درجة معصية الربا في العظمة والكبر.

(١) ورد عن الرسول الأكرم صلّى اللَه عليه وآله وسلّم أنّه قال لأمير المـؤمنين عليـه السـلام: «**يـا عليُّ! الربا سَبعونَ جُزءاً مِثلُ أن يَنكِحَ الرجلُ أُمَّه في بيتِ اللَهِ الحرامِ**».

وورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «**الربا سَبعونَ بَاباً أهوَنُها عندَ اللَهِ كَالذي يَنكِحُ أُمَّه**».

ويقول مولانا الصادق عليه السلام أيضاً في رواية أخرى: «**دِرهمُ رباءٍ أَعظمُ عِندَ اللَهِ مِن سَبعينَ زَنية كُلُّها بِذاتِ مَحرَمٍ في بَيتِ اللَهِ الحَرامِ**». (العروة الوثقى، ج ٢، ص ٢).

ثانيًا: التنبيه والتأكيد على عدم مودّة الكفّار ومحبّتهم

المورد الثاني:[١] من الموارد التي تمّ التأكيد عليها بشكل كبير في القرآن المجيد هو مودّة الكفّار ومحبّتهم: سواءً كانوا مشركين أم كانوا يهوداً ونصارى. ويُعدّ التنبيه في هذا المجال كبيراً إلى درجة أنّه يُخرج الشخص الذي يعقد معهم علاقة المودّة والمحبّة عن زُمرة المؤمنين بشكل كلّي.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ﴾.[٢]

حيث يُوجّه الله تعالى خطابَه للرسول قائلاً: يا أيّها الرسول! لن تعثر على أيّ طائفة من الذين يُؤمنون بالله ويوم القيامة يُحبّون أعداء الله.

ويقول أيضًا: **﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ** (الذين يسلكون باختيارهم طريق الانحراف)﴾.[٣]

---

(١) هذا المورد والمورد الأوّل هما تفصيل وشرح للمطلب الذي ذكره العلاّمة الطباطبائي (مدّ ظلّه) بشكل مختصر في «*تفسير الميزان*» ج ٢، ص ٤٣٣، وفي ج ٥، ص ٣٧١.

(٢) سورة المجادلة (٥٨)، صدر الآية ٢٢.

(٣) سورة المائدة (٥)، الآية ٥١.

وكذلك يقول: ﴿ **وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ** (اليهود والنصارى) **أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** (وهم الذين يُحبّونهم ويودّونهم)﴾.[1]

ونلاحظ بأنّ هذه الآيات قد قامت بإخراج الأشخاص الذين يعقدون أواصر الصداقة والمحبّة مع المشركين واليهود والنصارى من زُمرة المؤمنين؛ فكأنّ الإسلام لا يجتمع مع مودّتهم. وهذا ليس لأنّ القرآن لا يرغب في وصول الخير إليهم، وإنّما السبب في ذلك هو أنّ المودّة والمحبّة ستُفضي شيئاً فشيئاً إلى التعرّف عليهم والأُنس بهم، وهذه المؤانسة والمجالسة ستؤدّي بدورها إلى تأثير أفكارهم وملكاتهم الروحيّة في الفرد المسلم.

ومن المعلوم بأنّ أصل الإسلام والإيمان يكمن في ذلك الاعتقاد الصافي بالله والإيمان الراسخ برسول الله ويوم المعاد وبالأحكام والأوامر الإلهيّة. وبما أنّ المسلم سيُصاب بالتزلزل والاضطراب في إيمانه وعقيدته الصافية بسبب التقارب معهم، فإنّه لن يكون من الناحية المعنويّة مؤمناً ولو كان بحسب الصورة الظاهريّة متقيّداً بالآداب الإسلاميّة. ومن خلال محبّتهم ومُتابعة أفكارهم، سينقاد لهم تدريجيّاً في أعمالهم ومناهجهم وعاداتهم وتقاليدهم المتّبعة في الأمور المعيشيّة والاجتماعيّة إلى حدّ تضعُف في ذلك المسلم ـ المتّصف

(١) سورة المائدة (٥)، الآية ٨١.

بقوّة الإرادة والجهاد في سبيل اللّه وإقامة الصلاة والإنفاق في سبيل اللّه ـ تضعف فيه هذه الصفات تدريجيّاً ليحلّ محلّها الضعف والفتور والوهن في جميع الأمور، بالإضافة إلى شرب الخمر والقمار وممارسة أنواع الفحشاء والمنكرات.

أجل، في تلك الأيّام التي كان يُحذّر فيها القرآنُ المجيد المسلمينَ من مؤانسة الكفّار ومودّتهم مُستعملاً في ذلك خطاباً متشدّداً، من المحتمل ألّا تكون المفاسد المترتّبة على ذلك واضحةً لديهم بشكل جليّ، بحيث أنّهم حملوا هذا النوع من التشديدات على المبالغة؛ وأمّا في هذا العصر الذي صارت فيه عاداتهم وتقاليدهم رائجة في البلدان، بحيث أصبحوا في كلّ يوم ـ بسبب التواصل وعقد اللقاءات الحميمة معهم والاستقاء من مدرستهم ـ يُقدّمون لنا هديّة جديدة من رذائلهم الأخلاقيّة، فقد صار هذا الأمر واضحاً للجميع وكيف أنّ مجتمعاً قويّاً ومتيناً، مقيماً للصلاة، صاحب إرادة واختيار، يُصاب رُويداً رُويداً بالذلّة والضعف ويفقد جميع كمالاته الروحيّة ويصل إلى مرحلة الهلاك.

ثالثاً: التنبيه والتأكيد على مودّة القربى

المورد الثالث: يتعلّق بنفس هذه المسألة التي نبحث عنها، أي: مودّة ذوي القربى. ينبغي علينا أن نعلم بأنّ رسالة الرسول الأكرم صلّى اللّه عليه وآله تُمثّل

أمراً معنويّاً وحقيقيّاً وخالياً عن شوائب التصنّع والتحفّظ ومُغايراً للعقود والسنن الاجتماعيّة الجعليّة.

فالرسالة هي بمعنى بعثته صلّى اللَه عليه وآله وسلّم على أساس الوحي الإلهي واتّصال قلبه بالعوالم العالية واكتساب الفيض القلبي من الأنوار القدسيّة، ومعرفة اللَه وأسمائه وصفاته، ومعرفة النفس وطُرق كمالها، والاطّلاع على وساوس الشيطان وطُرق إغوائه من خلال النفس الأمّارة، وأخيراً الاطّلاع على أسرار الخلقة وأسرار الإنسان الخفيّة من حيث الباطن والإدراك القلبي عن طريق جبريل الأمين.

وعلى الرغم من أنّ عالم المـُلك سيتنوّر تبعاً لهذه الأنوار الملكوتيّة، وتظهر عند ذلك الآلاف المؤلّفة من الأحكام الاجتماعيّة الموضوعة من أجل تكميل النفوس البشريّة، إلّا أنّ جميع هذه الأمور هي تابعةٌ لذلك السرّ الإلهي وداخلة في شعاع ذلك المشعل المعرفي.

ومن المعلوم أنّ هذا الأمر كان منحصراً بعد رسول اللَه بأهل البيت فقط، فلم يكن أحدٌ غيرُهم مطّلعاً على المعاني الخفيّة وبواطن الأمور وأسرار القرآن المجيد وطُرق تكميل النفوس البشريّة وتأويلات الكتاب السماوي. وحتى لو حصل لبعضهم الاطّلاع على ذلك، فقد كان اطّلاعاً إجماليّاً وضمن حدود خاصّة.

وأمّا بالنسبة إلى الوجود المقدّس لأمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام، فقد كان ذلك بنحو أعلى وأكمل، حيث كان عليه السلام بمنزلة رسول الله وتاليَ تلوه صلّى الله عليه وآله وسلّم من حيث الإدراكات والمعارف والاتّصال بالعوالم الغيبيّة، وكان التلميذ الأوّل لهذه المدرسة، وقد كان يُمثّل على هذا الصعيد حقيقة النبوّة وسرّ الولاية وروح الأسرار وزُبدتها.

فالأحاديث التي رواها كلّ من الشيعة والسنّة بطرق مستفيضة أو متواترة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: **«عليٌّ كنفسي»**، **«عليٌّ بمنزلتي»**، **«خُلقت أنا وعليٌّ من نور واحد»**، **«خُلقت أنا وعليٌّ من شجرة واحدة»**، **«عليٌّ أخي»**، وأمثال هذه العبارات تحكي جميعُها عن هذا المعنى.

ولم تكن حادثة نبوّة رسول الله ونزول القرآن وأحكام الإسلام وعظمة المسلمين في عصره صلّى الله عليه وآله مبتنيةً على نظامٍ اجتماعي لكي تقع موضعاً للبحث والنقاش من ناحية الظاهر فقط ومن دون الالتفات إلى المعنى وباطن الأمر، بل ينحصر اعتمادها على الاتّصال بعوالم الغيب وصفاء الباطن وإدراك العلوم القلبيّة من خلال الطهارة والوصول إلى مقام العبوديّة المحضة.

وبعد وفاة رسول الله، فإنّ تحقّق هذا المعنى لن يستمرّ إلّا إذا تسلّم مقاليد الأمور عقب رسالته صلّى الله عليه وآله شخصٌ نظير أمير المؤمنين لكي يسوق المجتمع البشري وفق نفس المسار الذي كان يمشي عليه الرسول. وأمّا لو أراد شخص آخر لم يتقدّم خطوة واحدة في هذا الأفق من الطهارة أن يُمسك بأزمّة

الحكم، فإنّه لن يسير بالناس في طريق رسول اللّه، بل سيسير بهم ـ بحسب حدود إدراكاته ـ في الطريق الذي طواه بنفسه وبدا له مستحسناً؛ ومن المسلّم أنّ هذا الطريق سيكون مختلفاً في الاتّجاه بشكل كبير عن طريق رسول اللّه.

وتدلّ الآية القرآنيّة المباركة: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ على هذا المعنى، حيث تُريد هذه الآية أن تُدخل البشر ـ من خلال مودّة ذوي القربى ـ في طريق أمير المؤمنين والصدّيقة الكبرى والحسنين عليهم السلام، وتسعى إلى تعريف الناس على حقائق الإسلام وإطلاعهم على سرّ النبوّة، وتهدف إلى استحصال النتيجة من أصل الرسالة والبلوغ بالإسلام الظاهري ـ الذي يتحقّق وسط الناس من خلال التلفّظ بالشهادتين ـ إلى درجة الكمال على أساسٍ من معرفة الإمام والوصول إلى مرتبة التوحيد. وتُريد هذه الآية أن تحصر طريق الناس بأجمعهم في أهل بيت الرحمة وتسقيَهم من هذا المنهل، وتصبو أيضًا إلى أن تقود الناس على جادّة هذا الصراط الذي هو بمنزلة أقرب طريق مؤدٍّ نحو السعادة المطلقة وأقصر مسير موصل إلى الهدف الأصلي.

وكم هو كبير وقيّم هذا المعنى الذي جُعل أجراً على الرسالة، بحيث لا يوجد أيّ حكم في القرآن المجيد يُضاهي هذا الحكم في المنزلة والاعتبار!

فلو ارتكب المسلم أيّ معصية من المعاصي، فإنّ أصل إسلامه وأساسه سيبقى على حاله، ولن تتصدّع علاقته القلبيّة مع النبوّة وتنهار دفعةً واحدةً. وأمّا

المسلم الذي لا يمتلك مودّة الأئمّة الطاهرين ولم يدخل في طريقهم ولم ينهل من خلال ولايتهم من خصائصهم الروحيّة والأخلاقيّة، فإنّ علاقته بالنبوّة ستكون مقطوعة، وسيكون إسلامُ شخصٍ كهذا عقيماً ومتزلزلاً.

ففي زمان رسول اللّه وبسبب النورانيّة والحرارة المعنويّة التي يمتلكها صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، فقد وضع مِثل هؤلاء الأشخاص أنفسهم في ضمن شعاع ذلك النور واقتربوا من ذلك المنبع للحرارة، لكنّهم بعد ذلك وفي بيئة مُعتمة وفاترة، أُصيبوا بالجمود وارتدّوا على أدبارهم القهقرى نحو جاهليّة العصور السابقة.

﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ** (إلى نفس أفكار عصر الجاهليّة) **وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا** (وسيضرّ نفسه فقط) **وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** (الذين يتقدّمون نحو الأمام ويسيرون على طريق رسول اللّه ووِفق منهجه)﴾.[1]

ويدور الحديث في هذه الآية حول الذين انساقوا بعد وفاة رسول اللّه وراء أفكارهم النفسانيّة، ورفعوا أصواتهم بنداء «حسبنا كتاب اللّه»، ولم يروا أنفسهم محتاجين إلى أهل بيت العلم والطهارة، ولم يتقدّموا في أعقاب النبوّة خطوة واحدة في طريق الولاية؛ ولهذا فقد بقوا على نفس أفكارهم الجاهليّة، وتمّ دفنهم هناك.

---

(١) سورة آل عمران (٣)، الآية ١٤٤.

وعلى كلّ حال فمن المحتمل ألّا تكون ثمرة مودّة أهل البيت ـ التي حازت على هذه الدرجة من الأهميّة بحيث جُعلت أجراً وثواباً على النبوّة والمشاقّ المضنية التي تحمّلها النبيّ الأكرم ـ واضحةً على عهد رسول الله، ومن الممكن أن يكون كثير من الناس قد تعجّبوا وتحيّروا من أنّه ما هي الحكمة التي تشتمل عليها مودّة أهل البيت لكي تُجعل في مقابل المشاقّ التي تحمّلها رسول الله؟! وما أكثر ما لوحظ في العديد من مؤلّفات أهل السنّة أنّهم لايزالون باقين في حيرتهم هذه ولم يتمكّنوا من حلّ هذه المسألة.

غير أنّ الرسول الأكرم، الأب المعنويّ للأُمّة، أراد من إيجابه لمودّة ذوي القربى أن يضع هذه الأُمّة على طريق الصفاء والمحبّة؛ لأنّ حقائق الأمور وحقيقة طهارة الأئمّة الطاهرين كانت مكشوفة لديه صلّى الله عليه وآله من خلال النور الإلهي بمقتضى ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1]، بحيث كان يراهم جميعهم بعين قلبه سائرين على طريقه ووِفق منهجه.

المودّة لقربى النبيّ في كلام ابن عربي

وقد ورد في التفسير المنسوب إلى محيي الدين بن عربي في ذيل آية المودّة أنّه قال:

---

(١) سورة ق (٥٠)، جزء من الآية ٢٢.

ثمرة مودّة أهل قرابته عائدةٌ إليهم؛ لكونها سبب نجاتهم، إذ المودّة تقتضي المناسبة الروحانيّة المستلزمة لاجتماعهم في الحشر، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**المرء مع من أحبّ**».

فلا تصلح أن تكون (ثمرة مودّة أهل البيت) أجراً له (أي للنبيّ)، ولا يُمكن من تكدّرت روحه وبعُدت عنهم مرتبته محبّتهم بالحقيقة، ولا يُمكن من تنوّرت روحه وعرف الله وأحبّه من أهل التوحيد أن لا يُحبّهم؛ لكونهم أهل بيت النبوّة ومعادن الولاية والفتوّة محبوبين في العناية الأولى، مربوبين للمحلّ الأعلى؛ فلا يُحبّهم إلّا من يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله. ولو لم يكونوا محبوبين من الله في البداية لما أحبّهم رسول الله؛ إذ محبّته عين محبته تعالى في صورة التفصيل (والكثرة) بعد كونه في عين الجمع (والوحدة).

ثمّ يقول بعد ذلك:

وهم الأربعة المذكورون في الحديث الآتي بعد... رُوي أنّها لمـّا نزلت قيل: يا رسول الله! من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: «**عليّ وفاطمة والحسن والحسين وأبناؤهما**» ـ انتهى كلام محيي الدين.[1]

---

(١) ***تفسير محيي الدين [ابن عربي]***، ج ٢، ص [٢٣١].

وقد تكون هذه المحبّة والإخلاص والارتباط المعنوي بأرواح الأئمّة الطاهرين هي السبب في كون الاتّصاف بالرأفة والعطف والتسامح موجوداً في شيعتهم ومُواليهم أكثر، والاتّصاف بالخشونة والقسوة موجوداً في مُخالفيهم أكثر.

يقول ابن أبي الحديد:

وَقَد بَقِيَ هَذا الخُلُق مُتوارِثاً مُتَناقِلاً في مُحبّيه وأوليائِهِ إلى الآن، كَمَا بَقِيَ الجَفاءُ والخُشونةُ والوُعورةُ في الجَانِبِ الآخَر، ومَن لَهُ أدنىَ مَعرِفةً بأخلاقِ الناسِ وعوائِدِهِم يعرِفُ ذَلِك.[١]

المودّة في نصوص أهل البيت عليهم السلام

ومن هنا فإنّ مولانا الصادق عليه السلام كان يوصي بدعوة شباب أهل السنّة إلى الولاية؛ إذ إنّ أرواحهم لم تصر بعدُ مطبوعة على الشقاء، بحيث سيميلون أكثر إلى التوجّه نحو الخير.

روي عن محمّد بن يعقوب الكليني بسنده المتّصل عن إسماعيل بن عبد الخالق أنّه قال:

---

(١) ***شرح نهج البلاغة***، الطبعة الجديدة [طبعة مؤسّسة إسماعيليان]، ج ١، ص ٢٦.

سَمِعتُ أَبَا عَبدِ اللَه عليه السلام يَقولُ لِأَبي جَعفرٍ الأَحوَلِ وَأَنا أَسمعُ: أَتَيتَ البَصرَةَ؟ قَالَ: نَعَم! فَقَالَ: كَيفَ رَأَيتَ مُسَارَعةَ الناسِ إِلى هَذا الأَمرِ وَدُخولِهِم فِيه؟ فَقَالَ: وَاللهِ إِنَّهم لَقَليلٌ وَقَد فَعَلوا وَإِنَّ ذلِك لَقليلٌ! فَقالَ: عَلَيكَ بِالأَحداثِ؛ فَإِنَّهم أَسرَعُ إِلى كُلِّ خَيرٍ.

ثُمَّ قَالَ: مَا يَقُول أَهلُ البَصرَةِ فِي هَذِه الآيةِ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾؟ قُلتُ: جُعلتُ فِداكَ! إِنَّهُم يَقولونَ: لِأَقارِبِ رَسولِ اللَه صلَّى اللهُ عَليهِ وَآلِهِ. فَقَالَ: كَذَبوا، إِنَّمَا نَزَلَت فِينا خَاصّةً، فِي أَهلِ البَيتِ، فِي عَلِيٍّ وفَاطِمةَ والحَسَنِ والحُسَينِ، أَصحَابِ الكِساءِ عَلَيهِمُ السلَامُ.[1]

ويروي كذلك ابن بابويه القمّي بسنده المتّصل عن الريّان بن الصلت أنّه قال:

حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو، وقد اجتمع في مجلسه جماعةٌ من أهل العراق ـ وذكر الحديث وذكر عليه السلام آيات الاصطفاء وهي اثنتا عشرة ـ قال عليه السلام: والسادسة: قوله عز وجل: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾.

(١) ***تفسير البرهان***، [الطبعة الحجريّة]، ص ٩٧٠؛ [وفي طبعة بنياد بعثت (مؤسّسة البعثة)، ج ٤، ص ٨١٥].

وبعدما تعرّض لشرح وتفصيل المسألة، قال:

وَمُـحَمّدٌ صلّى اللّه عليه وآله فَرَضَ اللّه عَزَّ وجَلَّ مَوَدَّةَ قَرَابَتِه عَلَى أُمَّتِه وَأَمَرَه أَن يَجعلَ أَجرَه فيهم؛ لِيَوَدُّوه فِي قَرَابَته لِمَعرفةِ فَضلِهِم الذي أَوجَبَ اللّه عَزَّ وَجَلَّ لَهُم؛ فَإِنَّ المـَوَدَّةَ إِنَّما تَكونُ عَلى قَدرِ مَعرِفَةِ الفَضلِ.

فَلَمَّا أَوجَبَ اللّه تَعَالَى ذَلِك ثَقُلَ (هذا الأمر على جماعة) **لِثِقلِ وُجُوبِ الطاعَةِ** (أي طاعة أهل البيت)، **فَأَخَذَ بِها قَومٌ أَخَذَ اللّه مِيثاقَهُم عَلَى الوَفَاءِ، وَعَانَدَ أَهلُ الشِقَاق والنِفَاقِ وأَلحَدوا في ذَلِك فَصَرفُوه عَن حَدِّه الذي قَد حَدَّه اللّه تَعَالَى، فَقَالوا: القَرَابةُ هُمُ العَرَبُ كُلُّها وَأَهلُ دَعوَتِه** (الذين أصبحوا مسلمين).

فَعَلَى أَيِّ الحَالَين كَانَ، فَقَد عَلِمنا أَنَّ المـَوَدَّةَ هِيَ لِلقَرابَةِ، فَأَقرَبُهم مِنَ النبيِّ صلّى اللّه عليه وآله أَولَاهُم بِالمـَوَدَّةِ، وَكُلَّما قَرُبَت القَرابَةُ كَانتِ المـَوَدَّةُ عَلَى قَدرِها. وَمَا أَنصَفوا نَبِيَّ اللّه صلّى اللّه عليه وآله في حِيْاطَتِه وَرَأفَتِه وَمَا مَنَّ اللّه بِه عَلَى أُمَّتِه مِمَّا تَعجَزُ الأَلسُنُ عَن وَصفِ الشكرِ عَلَيه أَن يَوَدُّوهُ فِي قَرَابَتِه وَذُرِيَّتِه وَأَهل بَيتِه وَأَن يَجْعلُوهم فِيهِم بِمَنزِلةِ العَينِ مِن الرأسِ حِفظاً لِرَسولِ اللّه صلّى اللّه عليه وآله وَحُبّاً لَهُم. (١)

(١) ***تفسير البرهان***، [الطبعة الحجريّة]، ص ٩٧١؛ [وفي طبعة بنياد بعثت، ج ٤، ص ٨١٨].

إنكار بعض أهل السنّة لمودّة أهل البيت ولفضائلهم

أوّلًا: كلمات سيّد قطب في المقام

ومن العجيب أنّ بعضاً من أهل السنّة لم يتنازلوا بعدُ عن هذا الهدف، فما زالوا مصرّين بشكل كبير على صرف الناس عن أهل بيت العصمة.

يقول السيّد قطب:

والمعنى الذي أشرت إليه، وهو أنّه لا يطلب منهم أجراً، إنّما تدفعه المودّة للقربى ـ وقد كانت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم قرابةٌ بكلّ بطن من بطون قريش ـ ليُحاول هدايتهم بما معه من الهدى، ويحقّق الخير لهم إرضاءً لتلك المودّة التي يحملها لهم، وهذا أجره وكفى!

ويقول بعد ذلك:

هذا المعنى هو الذي انقدح في نفسي وأنا أقرأ هذا التعبير القرآني في مواضعه التي جاء فيها.

ثمّ يقول:

وهناك تفسير مروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أثبته هنا لوروده في صحيح البخاري، قال البخاري: حدّثنا محمّد بن بشار،

حدثنا محمد بن جعفر، حدّثنا شعبة عن عبد الملك بـن ميسرـة، قال: سمعت طاووساً يحدّث عن ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ أنّه سأل عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمّد. فقال ابن عبّاس: عجلت. إنّ النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم لم يكن بطنٌ من بطون قريش إلاّ كان له فيهم قرابة. فقال: إلاّ أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة.

و يكون المعنى على هذا: إلاّ أن تكفّوا أذاكـم مراعـاةً للقرابـة، وتسمعوا وتلينوا لما أهديكم إليه؛ فيكون هذا هو الأجـر الـذي أطلبه منكم لا سواه.

ويقول بعد ذلك:

و تأويل ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ أقرب من تأويل سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ ولكنّني ما أزال أحسّ أنّ ذلك المعنى أقرب وأندى.[1]

لكنّ هذا الكلام خاطيء تماماً؛ لأنّه:

أوّلًا: ذكرنا سابقاً بأنّ هذا المعنى على خلاف الظاهر ولا يُمكن قبوله بأيّ وجه من الوجوه من دون دليل ووجود قرينة قطعيّة.

---

(١) ***في ظلال القرآن***، ج [٥]، سورة الشورى، ص [٣١٥٤].

ثانيًا: من العجيب أنّه مع وجود كلّ هذه الروايات المستفيضة التي نقلناها عن أهل السنّة الواردة في كتبهم حول مودّة أهل البيت ـ سواءً في مقام تفسير الآية أم في غير ذلك ـ فإنّه لم يرجّح إلّا هذه الرواية، وذكر بأنّ المراد من (في القربى) هم جميع طوائف قريش ولا خصوص أهل البيت.

وثالثاً: أنّ رواية ابن عبّاس المتقدّمة مُعارَضة بروايات أخرى منقولة عنه اعتبر فيها بشكل قاطع بأنّ ذوي القربى منحصرون في أئمّة أهل البيت. وقد نقلنا في ضمن الأبحاث السابقة بعض الروايات عن ابن عبّاس بهذا المعنى من كتب السنّة ورواياتهم.[1]

يقول المرحوم السيّد شرف الدين: وأخطأ من نسب هذا القول إلى ابن عبّاس اعتماداً على خبر رواه البخاري في باب قوله ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ من كتاب تفسير القرآن من صحيحه، عن محمّد بن بشّار، عن محمّد بن جعفر، وهما ضعيفان بإجماع الإماميّة، ووافقهم يحيى بن معين ـ كما في ميزان الاعتدال ـ على تضعيف محمّد بن بشّار، بل كذبّه الفلاس، فراجع. وكيف يقول ابن عبّاس في تفسير القربى غير الذي قلناه مع ما سمعته من الأحاديث الثابتة عنه في تفسير القربى بعلي وفاطمة وأبنائهما وتفسير الحسنة بمودّتهم؟[2]

---

(١) ***هذا الكتاب***، المجلس ، ص ١٠٥.

(٢) ***الفصول المهمّة***، الطبعة الخامسة، ص ٢٢٤.

وعلى كلّ حالٍ، ينبغي علينا أن نعلم إلى أيّ حدّ كان يُعاني أهل البيت من المظلوميّة، بحيث أنّه عندما يُكتب تفسير للقرآن بعد ألف وثلاثمائة سنة، فإنّه يكون وِفق نفس المنهج، ولا يكون مؤلّفه مستعدّاً للتقدّم في طريق الولاية ولو لخطوة واحدة.

ثانيًا: وقاحة شاعر النيل وجرأته على أهل البيت

والأعجب من ذلك أن ينظم أحد الشعراء[1] شعراً يعدّ فيه ـ بكلّ وقاحة وجرأة ـ حرق عمر لباب الصدّيقة الكبرى من مفاخره، ويقوم الآخرون بالثناء عليه وإعادة طباعة ديوانه.

يقول:

وقَولـــةٌ لِعـــليٍّ قالَهـــا عُمَـــرُ ... أكرِم بِسامِعِها أعـظِم بِمُلقيها

حَرَّقتُ دارَكَ لَا أُبقي عَليكَ بِها ... إن لَم تُبايِع وبنتُ المـُصطفى فـيها

ما كانَ غيرُ أبي حَفصٍ يَفوهُ بِها ... أمامَ فـارِسِ عَـدنانَ وحاميها[2]

لاحظوا كيف يفتخر بمآثر سلفه وزعيمه عُمر، فيعتبر أنّ إحراق بيت الولاية الذي كان موضعاً لنزول الوحي ومَسكناً لسرّ رسول الله وبضعة المصطفى دليلاً على عظمته.

(١) شاعر النيل: حافظ إبراهيم.

(٢) *المراجعات*، ص [٥١٢].

لقد أصاب ابن أبي الحديد عندما قال بأنّ قسوة المخالفين لأمير المؤمنين وشدّتهم ملحوظة أيضًا في المتابعين لهم.

فعندما يقوم عُروة بن الزبير بتبرير أفعال أخيه عبد اللَه بن الزبير الشنيعة وجمعه للحطب من أجل إحراق جماعة بني هاشم، ويعدّها حسنةً نظير إحراق عمر دار فاطمة، فما الذي يُمكننا أن نترقّبه من شاعر النيل؟!

ثالثاً: تبرير المسعودي وأضرابه الإساءة إلى أهل بيت النبوة

ينقل المسعودي في «مروج الذهب»[(١)]، ويحكي عنه كذلك ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة»[(٢)] أنّه لمـّا امتنعت جماعة من بني هاشم عن البيعة لعبد اللَه بن الزبير، فإنّه قام بحصر محمد بن الحنفيّة وعبد اللَه بن عبّاس في جملة سبعة عشر رجلاً من بني هاشم كان من بينهم الحسن المثنّى ابن الإمام الحسن المجتبى، وذلك في شِعب مكّة المعروفة بشِعب عارِم.

وقد كانت هذه الشعب ضيّقة جدّاً لا يُمكن الفرار منها. ثمّ أصدر أمره بجمع حطب عظيم على باب الشعب، بحيث لو وقعت في ذلك الحطب شرارة من نارٍ لأحرقت جميع أولئك الأشخاص وماتوا بسرعة.

---

(١) ***مروج الذهب***، ج ٣، ص ٨٥ و٨٦.

(٢) ***شرح نهج البلاغة***، [طبع مؤسّسة إسماعيليان]، ج ٢٠، ص ١٢٣ و ص ١٤٦.

ومن ناحية أخرى، فقد حبس ابناً لمحمد بن الحنفية يُسمّى بالحسن في الحبس المعروف بحبس عارم، وهو حبس مُوحِش مُظْلم، وأراد قتله.[١]

وأعلن قائلاً بأنّه لا ينقضي يوم الجمعة إلّا والجميع قد بايعني، وفي غير هذه الحالة فسأضرب عنق الجميع أو أُضرم عليهم النار. ومن باب الاتّفاق، فقد عزم على إحراقهم قبل حلول يوم الجمعة، غير أنّ ابن مِسوَر بن مخرمة الزهري أقسم عليه بأن يصبر إلى يوم الجمعة.

ولمـّا حلّ يوم الجمعة، طلب محمّد بن الحنفيّة ماءً للغُسل واغتسل، ثمّ تحنّط ولبس ثياباً بيضاء واستعدّ للقتل والإحراق مع جماعة بني هاشم، بحيث لم يكن له أدنى شكّ في أنّ الجميع سيُسلم الروح في ذلك اليوم، وإذا بأبي عبد اللَه الجَدَلي مرفوقاً بأربعة آلاف من الجُند قد ورد مكّة على حين غرّة قادماً من الكوفة من قِبَل المختار الثقفي من أجل حماية محمّد بن الحنفيّة وجماعة بني هاشم.

ولمـّا بلغوا ذات عِرق قال رئيسهم أبو عبد اللَه الجَدَلي: إنّ هذا الجيش كبير جدّاً، وإذا دخل مكّة على هذه الحالة، فإنّي أخشى أن يصل خبره إلى عبد اللَه بن الزبير، فيتعجّل بقتل جميع بني هاشم قبل أن نصل إلى شِعب عارم من أجل إنقاذهم. ولذلك فقد أوقف الجيش في ذات عِرق وذهب في الحال بمعيّة سبعمائة فارس إلى مكّة، فلم يشعر عبد اللَه ابن الزبير بهذا الجيش أبداً حتّى خفقت فجأةً

---

(١) *مروج الذهب*، ج ٣، ص [٧٦].

الراياتُ والجُندُ على رأسه. وذهب الفرسان دفعةً واحدة إلى شعب عارم، وحرّروا محمد بن الحنفيّة وجميع طائفة بني هاشم.

وقد ورد في «شرح نهج البلاغة» أنّ المسعودي قال: وكان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبد الله في حصر بنى هاشم في الشعب وجمعه الحطب ليُحرقهم ويقول: إنّما أراد بذلك ألّا تنتشر الكلمة ولا يختلف المسلمون، وأن يدخلوا في الطاعة، فتكون الكلمة واحدة، كما فعل عمر بن الخطاب ببنى هاشم لمـّا تأخّروا عن بيعة أبي بكر؛ فإنّه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار.(١)

كما نُقل عن ابن عبد ربّه وأبو الفداء أنّه لمـّا اجتمع أصحاب أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام في بيت فاطمة من أجل نصرته، **بَعَثَ إليهم أبو بَكرٍ عُمرَ بنَ الخطّاب لِيُخرِجَهم مِن بيتِ فاطِمةَ، وقالَ لَهُ: إن أَبَوا فَقاتِلهم! فَأقبَلَ بِقَبسٍ مِن نارٍ على أن يُضرِم عَلَيهمُ الدارَ، فَلَقِيَتهم فاطمةُ فَقَالت: يا بنَ الخطابِ! أَجِئتَ لِتُحرِقَ دارَنا؟ قالَ: نَعَم! أو تَدخُلوا في ما دَخَلَت فيه الأُمّةُ** (من بيعة أبي بكر).(٢)

ونُقل عن «كنز العمال» أنّ عمر قال لفاطمة: **وما أحدٌ أحَبُّ إلى أَبيكِ مِنكِ، وما ذلِك بِمانِعي إن اجتمعَ هؤلاءِ النفرُ عِندكِ أن أمرتُهُم أن يُحرِقوا عَلَيكِ البابَ.**(٣)

---

(١) ***شرح نهج البلاغة***، ج ٢٠، ص ١٤٧.

(٢) ***عبد الله بن سبأ***، طبع مصر، ص ٦٨.

(٣) ***نفس المصدر***.

رابعاً: توصيف ابن أبي الحديد معاصي الخلفاء بالصغائر

وعجيب من ابن أبي الحديد ـ بعد نقله لبعض الحوادث واعترافه بأنّ فاطمة رحلت عن الدنيا وهي غاضبةٌ وحانقةٌ على أبي بكر وعمر ـ أن يقول: وعندي أنّ معصية عمر وأبي بكر هي من الصغائر.

ويقول في هذا الصدد:

والصحيحُ عندي أنّها ماتَت وَهِيَ واجدةٌ على أبي بكرٍ وعُمرَ، وأنّها أَوصَت إلّا يُصلِّيا عَلَيها، وذلِك عِندَ أَصحابِنا (من أهل السنّة) **مِن الأُمورِ المـَغفورةِ لَهُما وكانَ الأَولى بِهِما إكرامَهَا واحترامَ مَنزِلَهَا.**

إلى أن يقول:

والله وليُّ المـَغفرةِ والعَفوِ؛ فإنّ هَذا (أي ما صدر من أبي بكر وعمر) **لَو ثَبتَ أنّه خطأٌ لَم يَكُن كبيرةً، بَل كَانَ مِن باب الصغائِرِ التي لا تَقتَضي التبَرَّي ولا تُوجِبُ زَوَالَ التولِّي.**[1]

أنا لم أستوعب ـ بحسب هذا ـ ما الذي تعنيه الكبيرة؟! فمع كلّ هذه الروايات المتواترة التي رووها بأنفسهم عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في فضل فاطمة وحبّ فاطمة، وشهادتهم بأنّ غضب فاطمة يوجب النار ودخول جهنّم، ماذا يُعدّ إحراقهم لدار بنت رسول الله وبضعة المصطفى ـ وهي حريم

---

(١) شرح نهج البلاغة، الطبعة القديمة [طبعة دار إحياء الكتب العربيّة]، ج٦، ص ٥٠.

الأمن والأمان ـ في الوقت الذي تحصّن فيها أمير المؤمنين وجماعة بني هاشم وصحابة رسول الله الكبار نظير سلمان والمقداد وأبي ذرّ وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان والعباس بن عبد المطّلب وغيرهم ـ بصفتها تمثّل حرماً وملجأً ـ وكذلك فتحهم للباب وهجومهم على الدار وجرّهم للمتحصّنين في الشوارع والطرقات إلى المسجد أمام أنظار أهل المدينة، وإسقاط فاطمة لجنينها، وذهابها إلى المسجد صائحةً نائحةً برفقة جماعة من نساء بني هاشم وغيرهنّ، ودفاعها عن المتحصّنين وعن زوجها علي بن أبي طالب وصيّ رسول الله، وارتفاع صوتها بالبكاء والنحيب في المسجد؟ أفلا يكون ذلك معصية كبيرة وموجباً لزوال محبّة الشيخين وباعثاً على التبرّي والنفور منهم؟! وإذا كانت هذه من الصغائر، فما الذي تعنيه الكبيرة إذن؟!

إنّهم لم يتوانوا عن التسبّب في أيّ أذى وألم حتى يُمكننا أن نعدّ تلك المرتبة من الأذى ـ التي توانوا عنها ـ بمثابة معصية كبيرة؛ ﴿**وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾[1]، هذا مع أنّ الإساءة إلى حِذاء تلك الطاهرة المطهّرة يُعتبر كبيرة من الكبائر، واقتراف جُرم بمقدار واحدٍ من الألف من الجرائم التي ارتكبوها يوجب الخلود في النار ويوجب التبرّي وزوال التولّي.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الشعراء (٢٦)، ذيل الآية ٢٢٧. (م)

المجلس الثامن

(خلاصة موعظة يوم الجمعة ٧ جمادى الثاني ١٣٩١هـ)

مسجد القائم في طهران

القُربانُ الأوّلُ

السيّدةُ الزهراءُ عليها السّلامُ وابنُها المُحسِنُ

أعوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيم

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيّدِنا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطيِّبينَ الطَّاهِرين

وَلَعنَةُ اللهِ عَلَى أعْدائِهِمْ أجْمَعين مِنَ الآنَ إلَى قِيامِ يَوْمِ الدّين

وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم:

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ * أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ * وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ * وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾[١].

---

(١) سورة الشورى (٤٢)، الآيات ٢٣ إلى ٢٦.

روى عبد اللّه بن جعفر الحميري في كتاب «قرب الإسناد» بإسناده، عن هارون بن مسلم، قال: حدّثني مسعدة بن صدقة، قال: حدّثني جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السلام:

«لمّا نزلت هذه الآية على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ، قام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فقال: أيّها الناس، إنّ اللّه تبارك و تعالى قد فرض لي عليكم فرضاً، فهل أنتم مؤدّوه؟ قال: فلم يجبه أحدٌ منهم، فانصرف. فلمّا كان من الغد قام فيهم فقال مثل ذلك، ثمّ قام عنهم. ثمّ قال مثل ذلك في اليوم الثالث، فلم يتكلّم أحد. فقال: أيها الناس، إنّه ليس من ذهبٍ و لا فضّةٍ و لا مطعمٍ و لا مشربٍ. قالوا: فألقه إذن. قال: إنّ اللّه تبارك و تعالى أنزل علي: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قالوا: أمّا هذه فنعم».

فقال أبو عبد اللّه عليه السلام: **«فو اللّه ما وفّى بها إلّا سبعة نفرٍ: سلمان وأبو ذر وعمّار والمقداد بن الأسود الكندي وجابر بن عبد اللّه الأنصاري ومولى لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله يُقال له: الثّبيت وزيد بن أرقم».**(۱)

(۱) ***تفسير البرهان***، [الطبعة الحجرية]، ج ۲،ص ۹۷۲، [ومن طبعة بنياد بعثت، ج ٤، ص ۸۲۰]؛ وتفسير الصافي، ج ۲،ص ۵۱۲؛ [ومن طبعة انتشارات الصدر، ج٤، ص ۳۷۲].

وروى أيضًا أحمد بن محمّد بن خالد البرقي في كتاب «المحاسن» بإسناده عن عبد اللَه بن عجْلان أنّه قال:

سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول اللَه عز و جل: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾، قال: «**هم الأئمّة الذين لا يأكلون الصدقة، و لا تحلّ لهم**».[١]

المراد من الحسنة في الآية

ثـمّ إنّ اللَه تعـالى يقـول: ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾[٢]، وعليه فالمراد من الاقتراف نفس الاكتساب، كما أنّ المـراد مـن الحسنة ما يكون مورد قبولٍ عند اللَه فيستحقّ الثواب عليـه. ومـن المعلـوم أنّ حسن الفعل عبارةٌ عن تناسب ذلك الفعل مع سعادة الإنسان وهدفـه الغـائي. وفي المقابل فسوء الفعل عبارةٌ عن عدم تناسب ذلك الفعل مع كمال الإنسـان وتنافيه مع الوصول إلى المقصد.

ولأجل هذا التناسب فُسّرت الحسـنة في أخبـار الأئمّـة علـيهم السـلام بالولاية؛ وذلك لأنّ معنى الولاية يبتني على أنّ كلّ قـولٍ وفعـلٍ وخُلـقٍ وعلـمٍ

---

(١) *تفسير البرهان*، ج ٢،ص ٩٧٢.

(٢) لقد ورد في تفسير هذه الآية والآيات التي بعدها في «*روضة الكافي*» ص ٣٧٩، رواية مفصّلة عالية المضمون عن الإمام أبي جعفر عليه السلام.

وشهودٍ وحالةٍ، فهو في طريق القصد والوصول إلى الكمال الذي هو عين مقام التوحيد، وتخلّي العبد عن جميع مراتب النفس، وبقائها ببقاء الحقّ تعالى. وعلى هذا الأساس فولاية الأئمّة الطاهرين موجبةٌ لحصول هذا الرقي، وهو السير من ذروة البهيميّة إلى أوج الإنسانيّة والوصول إلى أُفق التوحيد وإدراك المعارف الإلهيّة، ولذا فسّرت المحبّة والمودّة والتسليم المحض لأوامرهم بالولاية التي هي عين ولاية اللّه سبحانه فعلاً وقولاً واعتقاداً.

ومن هنا يمكن في ضوء هذا المعنى تشخيص الحسن والقبح أو الحسنة والسيّئة أو الشقاوة والسعادة. فالحسنة عبارةٌ عن كلّ فعل يقرّب الإنسان إلى مقصوده، والسيّئة عبارةٌ عن كلّ فعلٍ أو قولٍ أو شهودٍ أو حالةٍ تبعد الإنسان عن مقصده الواقعي ومطلوبه الحقيقي.

وقد تقدّم سابقاً أنّ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام خطب في مسجد الكوفة بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: المراد من اقتراف الحسنة هو مودّتنا أهل البيت.[١]

كما أنّنا نقلنا عن الزمخشري والفخر الرازي أنّهما قالا: لمّا كانت هذه الآية قد وردت عقيب آية المودّة، كانت الحسنة بالنحو الأعلى والأكمل لها ما كان شاملاً لمودّة أهل البيت عليهم السلام[٢].

---

(١) هذا الكتاب، المجلس الخامس، ص ١٦٨. (م)

(٢) هذا الكتاب، المجلس الخامس، ص ١٦٩. (م)

آثار المودّة على الفرد المسلم

والمراد من ازدياد الحسن هو الترقّي والتقدّم في طريق الولاية وتقوية الإيمان وكشف الحجب الظلمانيّة والنورانيّة، فكلّما زادت المودّة زاد بالملازمة أثرها الذي هو عبارة عن انشراح الصدر وسعة الوجود وإدراك المعارف. وحصول هذه الآثار يدخل المرء في مرحلة أعلى من المحبّة والمودّة؛ وذلك لتبعيّة المحبّة للمعرفة. وهذه المحبّة الأعلى توجد آثاراً أشدّ في الشخص، فتجعل صدره أكثر رحابةً، وقلبه أشدّ نوراً، وتجعله أكثر تجرّداً من وجود نفسه ومتحققاً أكثر في وجود الحقّ. وظهور هذه الآثار في الإنسان موجبة لتجلّي المحبّة أزيد من درجات المحبّة السابقة.

وبالجملة فكلّ درجةٍ من المحبّة توجد أثراً خاصّاً في الإنسان، وكلّ رتبةٍ من حصول هذه الآثار توجد محبةً أزيد في الإنسان. فالمحبّة والمعرفة يتأثّران ببعضهما البعض، فكلّ من المحبّة وإدراك المعارف والحقائق مؤيّدة ومقوّية للأُخرى، وبذلك تصبح هذه موجبةً لتكامل تلك، وتلك موجبةً لزيادة هذه، حتّى يخرج الإنسان من تمام مراتب الغرور وهوى النفس والاستكبار والأنا والتفويض للذات وسائر الصفات المحدودة المقيّدة، إلى أن يرد إلى حبّ اللّه وعبادته والتفويض له، والترفّع عن جميع مراتب الوجود والاندكاك في الحقّ

والفناء في الأسماء والصفات الحسنى. وهذه الدرجة أكمل من الولاية؛ باعتبار أنّ حصولها مترتّبٌ على حصول الدرجات والمراتب التي ما دونها.

والخلاصة: أنّ حصول الكمالات النفسانيّة متوقّفٌ على طيّ طريق المحبّة والفناء في المحبوب، وهذا ما يمكن أن يحصل بالاقتداء بالنفوس المطهّرة الطاهرة والاتّصال الروحي بأرواحهم، وهذا هو بعينه سرّ لزوم ولاية أهل البيت الطاهرين عليهم السلام.

روى الثعلبي في تفسير هذه الآية عن أُمّ سلمة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال لفاطمة عليها السلام:

«إيتني بزوجك وابنيك! فأتت بهم، فألقى عليهم كساءً، ثمّ رفع يده عليهم، فقال: اللهمّ هؤلاء آل محمّد، فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمّد؛ فإنّك حميدٌ مجيدٌ. قالت أُمّ سلمة: فرفعت الكساء؛ لأدخل بينهم، فاجتذبه وقال: إنّك على خير».[1]

وقال تعالى في تتمّة الآيات: **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾**.

---

(١) ***تفسير البرهان***، ج ٢، ص ٩٧٣.

تمرّد المنافقين على أمر اللّه بمودّة القربى

كان لنزول آية المودّة ـ التي عملت في الحقيقة على إرجاع الناس إلى أهل بيت الرسالة بصلابة وجدٍّ، فجعلت هذه المودّة عبارةً أخرى عن أجر الرسالة، والمتخلّف عنها ناقضٌ لعهد رسول اللّه وممتنعٌ عن أداء حقّه ـ كان لها وقعٌ كبير على الكثير من المنافقين وقساة القلوب.

فأُولئك الأفراد الذين لم يتنازلوا عن آرائهم الشخصيّة وأهوائهم النفسيّة، ولم يمتنعوا عن إبراز طبيعتهم ورأيهم قبال رسول اللّه وأوامر اللّه سبحانه، وكانوا يتوقّعون في كثير من الأمور أن يأخذ النبي بآرائهم ويتّبع نهجهم وطريقهم، لم يستطيعوا أن يوطّنوا أنفسهم أبداً بأن يطيعوا وينقادوا لمن نصبه الرسول بعد رحيله، ولم يتمكّنوا من جعل أفكارهم مندكّةً في رأي وأمر ذاك الوصيّ، وأن يسلّموا له ويرجعوا في أُمورهم إليه، فيجعلوه المحامي عنهم ليحلّ مشاكلهم، ويلجؤوا إليه من كلّ مشقّةٍ وضررٍ.

ولذلك بعدما نزلت آية المودّة، قالوا بأنّ محمداً افترى على ربّه، وهو الذي فرض علينا وجوب المودّة لأهل بيته.

روى في الكافي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام في ضمن تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً**﴾ أنّه قال:

«فقال المنافقون عند ذلك بعضهم لبعضٍ: أما يكفي محمّداً أن يكون قهرنا عشرين سنةً حتّى يريد أن يحمل أهل بيته على رقابنا. ولئن قُتل محمّدٌ أو مات لننزعنّها من أهل بيته، لا نعيدها فيهم أبداً».[١]

وفي هذه الأثناء أعلم الله عز وجلّ نبيه صلّى الله عليه و آله بـما انطـوى عليـه المنافقون وقالوه في نجواهم وأنّهم يقولون: إنّ محمّداً قد افـترى الكـذب عـلى الله سبحانه، فقال: يا محمّد! هذه الآية نزلت من الله، وهو الذي أمـرك أن تتلوهـا عـلى الناس وتبيّن فضائل ومناقب أهل البيت، وتدعو الناس إلى محبّتهم ومـودّتهم، فهـذا الأمر لم يكن منك، وليس بيدك، فلو شاء الله لختم عـلى قلبـك، فـلا ينـزل عليـك الوحي، ولا تشاهد الأنوار الملكوتيّة، ولا تستطيع الاتّصـال بحقيقـة عـالم الغيـب وسماع كلام جبرائيل الأمين. ولو شاء الله لحجب قلبك عن إدراك الحقائق، وكـفّ لسانك عن فضائل أهل البيت، وسدّ عليك طريق الوحي حتّى لا يتكلّم أحـد بعـد عن لزوم محبّتهم ومودّتهم، ولكنّ الله قد شاء هذا الأمر.

واعلم: أنّ الله يمحو ويمحق الباطل، ويبدّل حركته سـكوناً وحرارتـه بـرداً وجموداً، ويثبّت الحقّ ويجعله حيّاً مؤثّراً دائماً، فحافظ على الكلمات الإلهيّة التـي هـي عبارة عن الوجود المقدّس والذوات الطاهرة للمعصومين حيّة وقيّمة ومـؤثّرةً إلى الأبد.[٢]

---

(١) ***تفسير البرهان***، ج ٢،ص ٩٧٠.

(٢) ***تفسير البرهان*** الطبعة الحجريّة، ج ٢،ص ٩٧١، [ومن طبعة بنياد بعثت ، ج ٤، ص ٨١٧].

روى في «الكافي» عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«يقول: لو شئت حبست عنك الوحي، فلم تكلّم بفضل أهل بيتك ولا بمودّتهم، وقد قال الله عزّ و جلّ: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ يقول: الحق لأهل بيتك الولاية ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾؛ يقول: بما ألقوه في صدورهم من العداوة لأهل بيتك و الظلم بعدك». [١]

شأن نزول الآية الكريمة

وأورد القمّي في تفسيره عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«جاءت الأنصار إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله، فقالوا: إنّا قد آوينا و نصرنا، فخذ طائفةً من أموالنا، استعن بها على ما نابك. فأنزل الله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ يعني: على النبوّة ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي: في أهل بيته».

ثمّ قال:

«ألا ترى أنّ الرجل يكون له صديقٌ، و في [نفس] ذلك [الرجل] شيءٌ على أهل بيته، فلم يُسلّم صدره، فأراد الله أن لا يكون في نفس

---

(١) ***تفسير الصافي***، ج ٢، ص ٥١٤؛ [ومن طبعة انتشارات الصدر، ج ٤، ص ٣٧٤].

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله شيءٌ على أُمّته، ففرض عليهم المودّة [في القربى]. فإن أخذوا أخذوا مفروضاً، و إن تركوا تركوا مفروضاً».

قال:

« فانصرفوا من عنده وبعضهم يقول: عرضنا عليه أموالنا، فقال: قاتلوا عن أهل بيتي [من بعدي]. وقالت طائفةٌ: ما قال هذا رسول اللّه وجحدوه، وقالوا كما حكى اللّه تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾؛ فقال اللّه: ﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ قال: لو افتريت ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ يعني: يبطله ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ يعني: بالأئمّة والقائم من آل محمّد صلوات اللّه عليهم».[1]

وفي رواية أوردها ابن بابويه أنّ الرضا عليه السلام حضر مجلس المأمون بمرو، وذكر عليه السلام آيات الاصطفاء ـ وهي اثنتا عشرة ـ فذكر عليه السلام رواية عن آبائه عن سيّد الشهداء عليهم السلام:

أنّ المهاجرين والأنصار جاؤوا عند رسول اللّه وقالوا: هذه أموالنا ودماؤنا، فاحكم فيها مأجوراً: أعط منها ما شئت من غير

---

(١) ***تفسير الصافي***، ج ٢،ص ٥١٤؛ [ومن طبعة انتشارات الصدر، ج ٤، ص ٣٧٤] ، ***وتفسير البرهان***، ج ٢،ص ٩٧٢.

حرجٍ. فنزلت آية المودّة في هذا الحال. وعندما خرج الصحابة من عنده، قال المنافقون: ما حمل رسول الله صلّى الله عليه وآله على ترك ما عرضنا عليه إلّا ليحثّنا على قرابته من بعده. إن هو إلّا شيءٌ افتراه في مجلسه. وكان ذلك من قولهم عظيماً، فأنزل الله عزّ و جلّ: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ ...﴾؛ فبعث إليهم النبي... وتلا عليهم آية الافتراء هذه. فبكوا واشتدّ بكاؤهم، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾.[1]

وقد روى هذه الرواية أيضًا في تفسير «الصافي» عن «عيون أخبار الرضا» عن سيّد الشهداء عليه السلام.[2]

ثمّ قال الله سبحانه: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾.[3]

يعني: أنّ الله بشّر كلّ من رضي بهذا الحكم وأدخل مودّة أهل البيت في قلبه وروحه، فهؤلاء هم من أحضر الإيمان الواقعي لله سبحانه، وهم الذين

(١) ***تفسير البرهان***، ج ٢،ص ٩٧١.

(٢) ***تفسير الصافي***، ج ٢، ص ٥١٥؛ [ومن طبعة انتشارات الصدر، ج ٤، ص ٣٧٥].

(٣) سورة الشورى (٤٢)، الآية ٢٦. (م)

يُفيض اللَه عليهم بشكل دائم من فضله ورحمته؛ وذلك بواسطة عملهم الصالح وانقيادهم لأوامر اللَه وتبعيّتهم لمقام ولاية أهل البيت، وقد أدخل اللَه عليهم السرور أكثر مما يستحقّون من كأس محبّتهم وولايتهم لأهل البيت. فاللَه رضي عنهم وأعطى الجواب الثابت لندائهم وإيمانهم، وكان يستجيب دعاءهم ويقضي حوائجهم. وأمّا أُولئك الذين وقفوا قبال الحقّ ولم يكونوا مستعدّين للتسليم بها في ظلّ هذه التصريحات، فعذابهم سيكون شديداً ومؤلماً جدّاً.

وفي مجمع البيان عن ابن عبّاس روى ذيل هذه الآية الشريفة أنّ النبي أرسل في طلب تلك الجماعة وبشّرهم وقال:

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وهم الذين سلّموا لقوله.[1]

كما روى أيضًا في «مجمع البيان» عن الرسول الأكرم أنّه قال في شأن قوله تعالى: **﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾** قال:

«الشفاعة لمن وجب له النار ممّن أحسن إليهم في الدنيا».[2]

إنّ الروايات الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام صريحةٌ في أنّ هذه الآيات الأربع ـ أي: آية المودّة والآيات الثلاث التالية لها ـ قد نزلت في حقّ

(١) *مجمع البيان*، ج ٥، ص ٢٩.

(٢) *نفس المصدر*، ص ٣٠.

أهل البيت عليهم السلام. وقد ذكرنا بعض تلك الروايات في كلامنا عن تفسير هذه الآيات المباركة، والتي نقلت عن الرسول الأكرم وأمير المؤمنين وعن الإمام الحسن والإمام الحسين والإمام السجّاد والإمام الباقر والإمام الصادق والإمام عليّ بن موسى الرضا صلوات اللَه وسلامه عليهم أجمعين.

كما نقلنا أيضًا روايات كثيرة في تفسير آية المودّة عن أئمة أهل السنّة: كالثعلبي والبغوي والكشّاف والفخر الرازي ومحيي الدين ابن عربي، عن صحاحهم ومسانيدهم ومجامعهم الحديثيّة: كالصواعق المحرقة التي نقلها عن الطبراني والبزار وكمستدرك الحاكم ومسند أحمد بن حنبل وصحيحي البخاري ومسلم، إلى الحدّ الذي صار مقطوعاً ومتيّقناً أنّ المراد من القربى هم آل محمّد صلوات اللَه وسلامه عليهم أجمعين، فجعل اللَه سبحانه وتعالى مودّتهم فرضاً واجباً تحت عنوان أداء أجر الرسالة التي تعّد من أوجب الواجبات على المسلمين تجاه النبي صلّى اللَه عليه وآله.

وهذه المنزلة العالية والمقام السامي إنّما أعطاهم اللَه إيّاه بسبب طهارة جميع مراتب وجودهم، وعلى أساس سعة روحهم والأسرار الإلهيّة التي قد أُودعت فيهم، وبذلك جعلهم خلفاء خاتم المراتب على هذه الأرض. فهؤلاء خلفاء اللَه على وجه الأرض وأولياؤه في البسط والقبض، وهم الحجج البالغة وأمناء الرسول

الأكرم وسفراء الوحي في أمره ونهيه، وعلى أساس هذا المعنى كان مُحبّهم مُحبّاً لله ومُبغضهم مُبغضاً لله أيضًا.

قال الفرزدق:

من معشر حبّهم دينٌ وبغضهم كفرٌ وقربهم منجى ومعتصم

إن عدّ أهل التقى كانوا أئمّتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم[١]

ردّ الإشكالات على تفسير الخاصّة لآية المودّة

ولكنّ المعاندين لأهل البيت حاولوا إطفاء نورهم وستر فضائلهم بكلّ ما أُوتوا من قوّةٍ، كما قاموا بتحريف الروايات الواردة عن رسول الله الواردة في مناقبهم، وأوّلوا الآيات النازلة في حقّهم وفسّروها على خلاف معناها. لكنّهم غفلوا عن قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ**﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ**﴾[٣]، وعن قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ**﴾[٤].

(١) *الفصول المهمة* لشرف الدين، الطبعة ٥، ص ٢٢٠.

(٢) سورة الطلاق (٦٥)، جزء من الآية ٣.

(٣) سورة يوسف (١٢)، جزء من الآية ٢١.

(٤) سورة الصفّ (٦١)، الآية ٨.

فقد لاحظنا مثلاً أنّ بعضهم فسّر الآية قائلاً: أيّها النبي! قل إنّني لا أُريد منكم أجر الرسالة إلّا أن تحفظوا مودّتي ووصلتي معكم بسبب القربى التي بيننا.

لكننّا بحثنا آنفاً في الروايات الواردة في هذا الموضوع وتقدّم الجواب عن هذا الكلام، وبما أنّنا ذكرنا الروايات الواردة في تفسير الآية المباركة من طرق الشيعة والسنّة بشكلٍ مفصّلٍ، فلنختصر الجواب هنا في ضمن نقاطٍ:

الأولى: قيل بأنّ آية المودّة نزلت في المدينة، كما نقلنا ذلك فيما سبق عن تفسير الثعلبي والبغوي وغيرهم، ومع أنّ مشركي قريش الذين كانوا أرحام رسول اللّه لم يكونوا في المدينة ليقول لهم النبي: بما أنّكم لم تُؤمنوا بي، فلا أقلّ راعوا القربى والمودّة فيما بيننا، ولا تؤذوني، بل تودّدوا إليّ.

الثانية: أنّ سبب نزول هذه الآية ـ كما تقدّم سابقاً ـ هو أنّ الأنصار عرضوا أموالهم على رسول اللّه، أو أنّهم تفاخروا على بني هاشم، فأنزل اللّه هذه الآية بأنّ رسول اللّه لا يحتاج إلى أموالكم، بل عليكم أن تودّوا قرابة هذا النبي. وعليه فالخطاب كان موجهّاً إلى الأنصار أو الأنصار والمهاجرين، لا إلى كفّار قريش.

الثالثة: أنّ من الخطأ أن يكون الخطاب موجّهاً لمشركي قريش؛ لأنّ من القبيح أن يطلب الحكيم الأُجرة ممّن لم يكن قد عمل لأجله شيئاً، بل طلب أجر الرسالة من المشركين الذين لم يؤمنوا بعد ـ بل وصلوا إلى أشدّ ما يمكن عليه من إنكار النبي وتكذيبه ـ ليس له أيّ أساس من الصحّة. وطلب الأُجرة إنّما

يكون صحيحاً فيما إذا كان من الأشخاص الذين آمنوا وانتفعوا من مزايا الإسلام والإيمان به، فعند ذلك يُقال لهم: أعطوا الأُجرة، والأجرة هي المودّة لذوي القربى.

الرابعة: أنّ هذا القول مخالفٌ للكثير من النصوص التي وردت في شأن نزول هذه الآية، والتي تشير إلى أنّها نزلت في حقّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب والسيّدة فاطمة والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام. وقد ذكرنا هذه النصوص في طيّات البحوث السابقة.

الخامسة: أنّ هذا القول من كلام عكرمة، وذلك أنّ مجموعة من عمّال بني أُميّة ووضّاعي حديثهم من أعداء أهل البيت قد اقتدوا به في ذلك، مع أنّه لا مجال للترديد في عداوة وخصومة عكرمة ومقاتل بن سليمان لأهل البيت، فضلاً عن بغضهم وعداوتهم لأمير المؤمنين؛ ذلك أنّ عكرمة كان من الخوارج ومن المنتمين إلى طائفة الحروريّة والأباضيّة؛ وقد سافر إلى مصر، ومن هناك رحل إلى بلاد المغرب، وقام بدعوتهم إلى بغض أمير المؤمنين. وانتشار الخوارج في المغرب إنّما كان بسبب الدعوات السيّئة لعكرمة. علاوة على أنّه قد كان رجلاً كذّاباً وضاعاً تاركاً للصلاة، وكان يميل للغناء. كان عكرمة يضع الأحاديث بنفسه وينسبها إلى عبد اللّه بن عبّاس وعبد اللّه بن مسعود، حتّى أنّ علي بن عبد اللّه بن عبّاس وعلي بن عبد اللّه بن مسعود قاموا بتنبيهه وتعزيره بسبب

الأكاذيب التي نسبها إلى آبائها. كما نقل المرحوم السيّد شرف الدين عن كتاب «ميزان الاعتدال» للذهبي الكثير من فضائحه وفضائح مقاتل.[١]

أمّا الخبر الذي ورد في صحيح البخاري ونُسب هذا القول إلى ابن عبّاس فقد ورد عن طريق محمّد بن بشّار عن محمّد بن جعفر، ومع أنّ من المتّفق عليه بين الإماميّة ضعف هذين الراويين، بل ورد في «ميزان الاعتدال» أنّ يحيى بن معين صرّح بضعف محمّد بن بشّار، وعدّه فلّاساً من الكذّابين.

وعلى كلّ حالٍ لم يُنقل عن ابن عبّاس حديث صحيح في تفسير آية المودّة غير تفسيرها بذوي القربى وأهل بيت رسول اللّه، وما ورد عنه بأسناد صحيحةٍ هو تفسير ذوي القربى بعلي بن أبي طالب وفاطمة وابنيهما، كما فسّر الحسنة في الآية الشريفة بمودّتهم[٢].

الاعتراضات الأخرى لبعض أهل السنّة على آية المودّة

وبالرجوع إلى آية المودّة يُلاحظ أنهّ قد اعترض بعض أهل السنّة باعتراضين آخرين:

---

(١) *الفصول المهمّة*، ص ٢٠٩ إلى ص ٢١١

(٢) *نفس المصدر*، ص ٢٢٤.

الاعتراض الأوّل والردّ عليه: نكات بلاغيّة في الآية

الأوّل: إذا كان المراد من القربى هم أهل بيت رسول الله، للزم القول:(**إلّا الْمَوَدَّةَ للْقُرْبى**)، أو القول: (**إلّا مَوَدَّةَ الْقُرْبى**) ؛ أي: مودّة ذوي أقربائي أو المودّة المتعلّقة بذوي قرابتي، مع أنّ ما ورد في الآية هو ﴿**إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ**﴾ يعني: المودّة في حقّ القربى والرحم.

وقد أوردنا الجواب عن هذا الإشكال في أوائل البحث، ونقلنا عن الزمخشري في الكشّاف ـ والذي يعد أُستاذاً في البلاغة ـ بأنّ لفظة «في» بمعنى الظرفيّة[١]، وهذه اللفظة من وجهة نظر بلاغيّة وأدبيّة تحتوي على معان رفيعةٍ وعاليةٍ، بحيث لا يمكن أن تصل إلى تلك المعاني لفظة «لام» الاختصاص أو بإضافة كلمة مودّة إلى القربى.

فـ ﴿**إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ**﴾ تفيد بأنّ تلك النفوس القدسيّة هي ظرفٌ ووعاء للمحبّة، وأنّها يجب أن تكون موضعاً وموقعاً للمحبّة والمودّة، وعلى الأُمّة أن تعلّق محبّتها فيهم وأن تجعلهم محلاً لمحبّتهم. والحق أنّ الزمخشري بيّن هنا نكتةً دقيقةً في غاية اللطف تعكس تضلّعه وتبحّره في علم البلاغة.

---

(١) راجع المجلس الثالث، ص ٩٠ ؛ والمجلس الرابع، ص ١١٤ من هذا الكتاب. (م)

الاعتراض الثاني والردّ عليه:

أوّلًا: بحث علمي حول السور المكّيّة والمدنيّة

الثاني: أنّ هذه الآية من سورة الشورى، وسورة الشورى إنّما نزلت في مكّة المعظّمة، ومن المعلوم أنّ الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام ولدا في المدينة المنوّرة، فلا يمكن أن تكون مودّتهم هي المقصودة من هذه الآية.(١)

والجواب: أنّ هذه الآية وما بعدها إلى آخر ثلاث آيات مدنيّة قطعاً بحكم الأخبار المتظافرة من طريق العترة الطاهرة، وقد روى ذلك صاحب مجمع البيان عن ابن عبّاس وقتادة، ويدل عليه ما سمعته قريباً عن أبي حمزة الثمالي وتفسيري الثعلبي والبغوي يفيد بشكل قطعي أنّها قد نزلت في المدينة، ولا سيّما الأخبار الكثيرة بطرقها المختلفة التي تبيّن أنّ شأن نزول هذه الآية هو حضور الأنصار عند الرسول وعرضهم أموالهم أمامه، وهذا أصدق شاهد ودليل على كون هذه الآية مدنية؛ فإذا كان الأنصار أو المهاجرون والأنصار هم المخاطبين بهذه الآية، فإنّه لم يكن في مكّة المعظّمة قبل الهجرة أحدٌ من الأنصار.

فلا منافاة في أن تكون سورة الشورى قد نزلت في مكّة، ولكن أُدرجت فيها هذه الآيات الأربع التي نزلت في المدينة؛ ولوضوح أنّ جمع القرآن الكريم وتدوينه لم يكن على ترتيب نزول الآيات، ولا خلاف بين الشيعة والسنّة في هذه

(١) *الفصول المهمّة*، ص ٢٢٦.

المسألة. فكم من السور المكيّة التي تحتوي على آيات قد نزلت في المدينة، وكم من السور المدنيّة التي فيها آيات مكيّة أيضًا.

إنّ أغلب السور الموجودة في أواخر القرآن المجيد مكيّة، بينما أغلب السور الموجودة في أوائل القرآن مدنيّة. وبناءً على ذلك فإذا كان جمع القرآن وتدوينه على أساس ترتيب النزول، فلابدّ أن تُجعل سور آخر القرآن في أوّله، وأن تدرج سورة العلق ـ التي هي أول ما نزل على رسول الله ـ في أوّل القرآن، وأن تُدرج سورة براءة ـ بناءً على نقل البخاري عن سليمان بن حرب عن شعبة، و على رواية مسلم عن بندار عن غندر عن شعبة من أنّها كانت آخر سورة نزلت على رسول الله ـ في آخر القرآن، أو أن تُجعل سورة المائدة ـ التي هي بناءً على روايات أهل البيت آخر سورة نزلت على الرسول الأكرم ـ في آخر القرآن.

ومن يريد الوصول إلى حقيقة هذا الموضوع، فليرجع إلى بحث أوائل السور في تفسير مجمع البيان وتفسير الطبري والرازي والكشّاف، أو إلى أوائل السور من قسم تفسير كتاب إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري؛ ليعلم أنّه لا مجال لأيّ خلاف أو ترديد في هذا المعنى بين كبار المتقدّمين والمتأخّرين.

وبناءً على هذا ومع ملاحظة أنّ هناك آيات مدنيّة وردت في بعض السور المكّيّة وبالعكس، وأنّ وصف السور بأنّها مكّيّة أو مدنيّة تابع لكون أكثر الآيات كذلك، لا جميعها. فما هو المُستبعد في أن تكون سورة الشورى سورةً مكّيّةً،

ولكن جُعل ضمن آياتها المكّيّة تلك الآيات الأربع التي نزلت في المدينة المنوّرة على رسول اللّه والنازلة في شأن مودّة أهل البيت.

وبعد هذا الوضوح لنا أن نسأل: بأيّ وجه يستطيع المعترضون أن يردّوا هذه الأخبار المتظافرة ـ بل المتواترة ـ التي رُويت عن رسول اللّه في تفسير هذه الآية بمودّة أهل البيت، وأن يصرفوا هذه الآية عنهم لمجرّد كون سورة الشورى مكّيّةً؟ ومن الذي قد أوحى إليهم بأنّ هذه السورة ليست كأغلب السور المكّيّة الموصوفة بكونها مكّيّةً باعتبار أغلب آياتها؟ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾[1].

وعلى فرض أنّنا صرفنا النظر عن كلّ هذه المطالب وقلنا بأنّ آية المودّة قد نزلت في مكّة، فما هو المانع من شمولها للحسنين عليهما السلام، حتّى لو كانا قد ولدا فيها بعد في المدينة؛ وذلك لأنّ مودّة ذوي القربى غير منحصرةٍ في خصوص الأفراد الذين كانوا في زمان نزول الآية، بل الآية تشمل كلّ فردٍ ينطبق عليه هذا العنوان.

وعليه يكون مصداق آية المودّة عندما كان رسول اللّه في مكّة هو أمير المؤمنين والسيّدة فاطمة الزهراء عليهما السلام، ثم أُضيف إليه الحسنان عليهما السلام في المدينة المنوّرة، ليكون كلّ واحد من الأئمّة الاثني عشر ـ عليهم

(١) سورة النجم (٥٣)، مقطع من الآية ٢٣.

السلام مصداقاً لهذا العنوان فيما بعد. ومن لديه اطّلاع بلغة القرآن يعلم بأنّ مطالب القرآن كّليّة، وأيّ مصداق من هذا الكلّي يتحقق في الخارج، كان هذا الكلّي منطبقاً عليه. فقد قرأ رسول الله في مكّة المكرّمة على الأُمّة وجوب مودّة ذوي القربى من قبل الله سبحانه وتعالى، سواء ذوُ القربى الموجودون فعلاً ومن سيأتي فيما بعد، نظير قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾[1]؛ فهذه الآية غير مختصّة بالأبناء والبنات الموجودين في زمان نزول الآية فقط، بل تشمل كل الأبناء والبنات ممّن سيولد بعد قرونٍ عدّةٍ من نزول الآية.

فما الفارق بين هذه الآية وآية المودّة، مع أنّ كليهما على السياق نفسه وعندما يتحقّق موضوعه انطبق ذلك الحكم عليه؟

ثانيًا: اطلاع النبي على الغيب وبعض إخباراته

وأمّا الروايات التي نُقلت عن رسول الله التي فسّرت المودّة في القربى بمودّة الحسنين عليهما السلام، فقد يكون هذا البيان من رسول الله بعد ولادتهم في المدينة، أو قد يكون النبي قد فسّر هذه الآية في مكّة قبل ولادتهم، وذلك من طريق علم الغيب الذي كان من علامات النبوّة، فيكون قد أخبر بأنّ ولادتهما ستحصل في المدينة وأوجب مودّتهم وهو في مكّة.

---

(١) سورة النساء (٤)، صدر الآية ١١.

فكم من الإخبارات التي حدّث بها الرسول كانت من علم الغيب، والتي كان يُطلع فيها الأُمّة على الحوادث المستقبليّة، والتي حدثت فعلاً، من قبيل قوله: «**إنّ خُلَفَائِي وَ أوصِيائي لاثنا عَشَر**»[(١)] ، وإخباره عن حادثة الجمل ونبح كلاب الحوأب. وإخباره بمقتل عمّار بن ياسر واستشهاده على يد الفئة الباغية، وإخباره بالناكثين والقاسطين والمارقين، وهي الفرق الثلاث التي خرجت بعد رسول اللّه على أمير المؤمنين: فئة نقضت العهد وقامت بحرب الجمل، وفئة انحرفت عن الحقّ وقامت ظلماً وعدواناً بحرب صفّين، وفئة خرجت من الدّين كما يخرج السهم من قوسه ـ التي سمّيت باسم الخوارج ـ وقامت بحرب النهروان.[(٢)]

وكذا إخبارات الرسول الأكرم بالحقد والحسد والبغض تجاه أمير المؤمنين بعد وفاته، وإخباره بأنّ أشقى الآخرين سيضرب عليّ بن أبي طالب

(١) ***غاية المرام***، ج١ ، ص١٠٦ ؛ وج٢ ص١٧٣، وردت العديد من الروايات التي تتضمّن هذا المعنى، بل قد ورد في بعضها التصريح بأسماء الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام، ولمزيدٍ من الطلاع على هذا الموضوع، راجع: كتاب ***معرفة الإمام*** للمؤلِّف، ج ٢، ص ٢٥٤؛ وج ٣، ص ١٣؛ وج١٣ ، ص ٣٨٤. (م)

(٢) ***شرح نهج البلاغة*** لابن أبي الحديد، طبع بيروت، ج ١، ص ٢٠١، قوله عليه السلام: «**ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين**». وهذا الخبر من دلائل نبوّته صلوات اللّه عليه؛ لأنّه إخبارٌ صريحٌ بالغيب لا يحتمل التمويه والتدليس ـ إلى آخر ما ذكره.

سيّد الوصيّين عليه السلام على هامة رأسه، وبأنّ شيبة لحيته المباركة ستخضب من دم رأسه، وإخباره عن حال ابنته وفلذة كبده بأنّها ستكون أوّل اللاّحقين به بعد وفاته. وإخباره عن الشدائد والمصائب التي ستلحق الإمام الحسن وعن سمّه، وإخباره عن مصائب سيّد الشهداء في أرض كربلاء، وما سيلحق أهل بيته من بلاء وقتل وأسر وعطش، وإخباره عن استلام حكّام الجور الحكم على الناس بعده، وإخباره عن فظائع بني أُميّة وبني مروان، وأنّهم سيحكمون الناس مدّة ألف شهر، وإخباره عن أعمال بني العبّاس وملكهم، وعن فتنة نجد وطلوع قرن الشيطان منها.

بالإضافة إلى مئات الأخبار الغيبيّة الأُخرى التي بيّنها رسول اللَه، واتّضح فيما بعد صحّتها، الواحدة تلو الأخرى كاتّضاح طلوع الصبح.

وعليه فاللَه سبحانه الذي منح علمه الأزلي بحقائق هذه الأُمور وهذه الأحداث لرسوله الكريم وكشف له عنها، لم يكن في علمه قصور أو جهل بأنّ الحسنين عليهما السلام سيولدان في المدينة، وأن يُطلع رسوله بذلك ويوجب مودّتهم على أُمّته في مكّة، وبما أنّ مقامهم ومنزلتهم كبيرة عنده فقد فرض هذا الأمر المهمّ على الأُمّة، كما أنّه لأجل شرف ومنزلة رسول اللَه أطلع اللَه سبحانه آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء والمرسلين بظهوره وألهمهم

جلالة قدر وعظم شأنه، حتّى آمنوا به وكانوا خاضعين وخاشعين أمام مقام فضله وشرفه.[١]

والحاصل أنّه مع وجود هذه الأخبار المتواترة التي وصلت إلينا والآمرة بمودّة علي بن أبي طالب وفاطمة والحسنين عليهم السلام والأخبار المتواترة الوردة في العترة والتي دلّت على أنّهم أحد الثقلين العظيمين لا تكون هذه الإشكالات إلّا إنكاراً للحقّ وإصراراً على الجهل وإبرازاً لسوء النيّة وخبث السريرة.

آخر الدواء الكي

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.[٢]

نعم، هنا تصل النوبة إلى المباهلة؛ لأنّ المنطق والكلام الحقّ والاستدلال والبيّنة إنّما يكون مفيداً ومؤثّراً لمن يكون مستعدّاً لتلقّي الحقّ وقبوله وإدراك الواقع، أمّا الذين كلّما تبيّن لهم الحقّ أكثر ازداد إصرارهم وإنكارهم، فما الفائدة من محاورتهم؟

(١) *الفصول المهمّة*، من ص ٢٢٥ إلى ص ٢٢٩ بتصرّف. (م)

(٢) سورة آل عمران (٣)، الآية ٦١.

روى محمّد بن يعقوب الكليني، بإسناده عن أبي مسروق، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال:

قلت: إنّا نكلّم الناس، فنحتجّ عليهم بقول الله عزّ و جلّ: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾، فيقولون: نزلت في أمراء السرايا. فنحتج عليهم بقوله عز و جل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ إلى آخر الآية، فيقولون: نزلت في المؤمنين. و نحتجّ عليهم بقول الله عزّ و جلّ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾، فيقولون: نزلت في قربى المسلمين. قال: فلم أدع شيئاً ممّا حضرني ذكره من هذا وشبهه إلّا ذكرته. فقال لي: «إذا كان ذلك فادعهم إلى المباهلة».

قلت: وكيف أصنع؟ قال: «أصلح نفسك ثلاثاً» وأظنّه قال: «وصم واغتسل وابرز أنت وهو إلى الجبّان، فشبّك أصابعك من يدك اليمنى في أصابعه، ثمّ أنصفه، وأبدأ بنفسك، وقل: اللهمّ ربّ السماوات السبع وربّ الأرضين السبع عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، إن كان أبو مسروق جحد حقّاً وادّعى باطلاً، فأنزل عليه حسباناً من السماء وعذاباً أليماً. ثم رد الدعوة عليه، فقل: وإن كان فلان جحد حقاً وادعى باطلاً، فأنزل عليه حسباناً

من السماء وعذاباً أليماً». [ثم] قال لي: «فإنّك لا تلبث أن ترى ذلك [فيه]». فو الله ما وجدت خلقاً يجيبني إليه.[1]

أجل، عندما لا يكون الطرف المقابل مستعّداً لسماع أيّ نحو من الكلام الحقّ ولا لإدراك الحقّ بشكل جيّد، أو لا يكون مستعداً للتسليم بالحقّ واتّباعه بعد معرفته، بل يريد بأيّ وسيلة ممكنة أن يفرّ عن تحمّل أعباء الحقّ، ويطرح كلامه طبقاً لخيالاته الباطلة ونفسه الأمّارة، فلا علاج لمثل هؤلاء إلّا بالمباهلة.

دعوى نسخ الآية والجواب عنها

ومن الغريب ما نُقل عن بعض منكري ولاية الأئمّة الطاهرين من قولهم: إنّ آية المودّة منسوخةٌ بما نزل في سورة سبأ: ﴿**قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ**﴾[2].[3]

وهذا القول غريب جدّاً؛ وذلك لأنّ الكلّ يقول بأنّ وجوب المودّة بأيّ معنى كان باقٍ إلى يوم القيامة، وهذا من أحكام الإسلام الضروريّة، وعليه فما معنى النسخ في هذه الحالة؟

---

(١) *تفسير البرهان*، [الطبعة الحجريّة]، ج ٢، ص ٩٧٠، [ومن طبعة بنياد بعثت، ج ٤، ص ٨١٨].

(٢) سورة سبأ (٣٤)، صدر الآية ٤٧.

(٣) *الفصول المهمّة*، ص ٢٢٤.

مع أنّه لا يوجد تنافٍ بين هاتين الآيتين حتّى تكون الأُولى منسوخةً بالثانية؛ لأنّ آية المودّة تقول: قل : لا أُريد أيّ أجرٍ على الرسالة غير مودّة ذوي القربى، بينما الآية الواردة في سورة سبأ تقول: ذاك الأجر الذي أردته منكم في سورة الشورى كأجر للرسالة ـ وهو أني أوجبت عليكم مودّة أهل البيت ـ ستعود منافعه عليكم وستصل فوائده إليكم.

كلّ ذلك لأنّهم حجج الله البالغة فيما بينكم والنعم التامّة الكاملة التي قد نعّمكم الله بها. فهم أمان الله على الأرض، وهم بمثابة باب بني إسرائيل الذي قد كان سبب غفران الذنوب، ومثلهم كمثل سفينة نوح ، فمن ركبها لم يُدركه الغرق. ومثلهم كمثل القرآن الكريم الموجب لرشدكم وترقّيكم.

وعليه فالفائدة من مودّتهم سترجع إليكم أنفسكم. فكيف يمكن أن تكون الآية الثانية ناسخةً للآية الأُولى؟ إذ الآية الثانية ناظرةٌ إلى الآية الأولى ومُثبتة لها، وهي تبيّن أنّ الأجر الذي أراده النبي يعود بالمنفعة عليكم.

وعلى كلّ حال فكلّ من يضع هاتين الآيتين: ﴿**قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ**﴾ و ﴿**قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ**﴾ أمامه، لن يرى أيّ تنافٍ بين مدلول الآيتين أبداً، بل سيجد الآية الثانية مؤكّدةً ومثبّتة لمفهوم الآية الأُولى. وكم هو لطيف ما ذكره في «تفسير بيان السعادة» في ذيل آية المودّة، حيث يقول:

الاستثناء متّصلٌ، والمودّة في القربى و إن كانت نافعةً لهم و تكميلاً لنفوسهم و لكن باستكمالهم ينتفع النبي صلّى الله عليه وآله؛ لكونهم أجزاءً له وسعةً لوجوده. فقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ إشارةٌ إلى كلا الانتفاعين؛ حيث جعله أجراً له من حيث انتفاعه بمودّتهم لاستكمالهم بها، وسعته صلّى الله عليه وآله باستكمالهم.[1]

وعلى كلّ حالٍ فمن المعلوم أنّ إصرار بعض أهل السنّة إلى هذا الحدّ إنّما هو لأجل صرف أذهان العامّة عن معنى مودّة ذوي القربى، وما تأويلهم الآية الشريفة إلّا من أجل تحسين صورة أسلافهم بسبب القساوة والجفاء الذي مارسوه، ويريدون بهذه التكلّفات والتعسّفات العجيبة أن يُنكروا وجوب مودّة ذوي القربى، حتّى يرمّموا انحرافاتهم على الأقلّ ويحملوا أفعالهم على الصحّة وعلى أنهّ اجتهاد، غافلين عن وجوب المودّة، وصارفين النظر عن أنّ آية المودّة والأخبار المتواترة ـ التي وردت عن رسول الله في وقائع مختلفة ـ هي من الأحكام المسلّمة ومن ضروريّات الإسلام، وأنّ الجهود والتمحّلات التي ارتُكبت لا يُمكن لها أن تُخفي وجه الحقّ.

(١) *تفسير بيان السعادة*، ج ٤،ص ٤٦.

ولكن إذا أعمل الإنسان نظره بإنصاف في أفعال الصحابة، وقاس تصرّفاتهم على أساس كتاب اللَه وسنّة رسوله، ومَيَّز الحسن من القبيح منها دون الإغماض عنها، لكان ذلك أفضل بكثير من حمل أفعالهم على الصحّة كيفما كان، وأن ينسب الرجل إلى العصمة وعدم الذنب لمجرّد أن يصدق عليه صحبة رسول اللَه.

ففي الصورة الأُولى يتجلّى الإسلام الحقيقي بصورته الواقعيّة على الإنسان؛ لأنّ الإسلام عبارة عن روح النبي وأقواله وأفعاله والوحي المنزل إليه من جانب الحقّ تعالى، لا أنّ الإسلام كتاب اللَه وسنّة رسوله بالإضافة إلى سنن وآداب الخلفاء اللاّحقين.

أمّا في الصورة الثانية فقد اختفى الإسلام تحت أُفق التصوّرات الظلمانيّة؛ حيث عملت مجموعة من أفكار وآراء أشخاص باسم الصحابة على تكوين برنامج حياة الإنسان. ومن المعلوم أنّ اتبّاع هذه الأفكار والآراء لا يختلف في حدّ نفسه عن تبعيّة أفكار وآراء عبدة الأصنام والنجوم أو عبدة العجل؛ وذلك لأنّه عندما يتجاوز الحاكم في أُمور الإنسان المادّيّة والمعنويّة اللَه ورسوله، فعند ذلك أيّ فرق بين أن يكون الحاكم صحابة رسول اللَه أو رؤساء المشركين وعبدة الأصنام؟!

جانب من مصائب أهل البيت وظلامة فاطمة الزهراء

وفي الرواية عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«بينا أنا وفاطمة والحسن والحسين عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ التفت إليّ فبكى. فقلت: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: أبكي من ضربتك على القرن، ولطم فاطمة خدّها، وطعن الحسن في فخذه والسمّ الذي يُسقاه، وقتل الحسين».[1]

لم يتمّ في هذه الرواية بيان شيءٍ عن كيفيّة استشهاد فاطمة عليها السلام، ولا عن كيفيّة ضربة أمير المؤمنين أو عن ضرب الحسن المجتبى على فخذه وشقّها وسمّه، ولا عن كيفيّة استشهاد سيّد الشهداء عليه السلام.

وفي دلائل الإمامة عندما رجع رسول أبي بكر قادماً من أمير المؤمنين عليه السلام إلى أبي بكر وقال له بأنّ عليّاً امتنع عن المجيء والبيعة، أصرّ عمر على أبي بكر بأن يرسل غلامه قنفذ ـ الذي كان غلام أبي بكر ومن أولاد بني كعب بن عديّ ومن طُلقاء مكّة ـ لإحضار أمير المؤمنين. فأرسل أبو بكر قنفذ مع جماعة إلى منزل فاطمة حتّى يحضروا أمير المؤمنين.

(١) ***مناقب ابن شهر آشوب***، طبع سربي، ج ١،ص ٣٨٣.

ولّما لم يـؤذن لهـم في الـدخول إلى المنـزل، رجـع القـوم إلّا قنفـذ، بقـي واقفاً بالباب ولم يرجع. وعندما سمع عمر بأنّ أمير المـؤمنين عليـه السـلام لم يأذن لهم في الدخول امتلأ غضباً، وأسرع مع جماعة، وأمر بإحضـار مقـدار مـن الحطب، ووضعها أمام الباب، ثم أخذ يصيح بصوتٍ عالٍ يسمعه أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام ويقول: يا علي، اخرج للبيعة! **وإِنْ لَمْ تَخْرُجْ جِئْتُ بِالْحَطَبِ الْجَزْلِ وَأَضْرَمْتُهَا نَاراً عَلَى أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ**.

فَصرخت فَاطِمَةُ: **مَا تَشَاءُ يَا عُمَرُ ؟!** فقال عمر: لن نذهب حتّى تفتحـوا لنا باب المنزل. وعندما رأى أنّ أحداً لم يسـتجب لـه بفـتح بـاب المنـزل قـام بإضرام النار فيه.

فَضَرَبَتْ فَاطِمَةُ يَدَيْهَا مِنَ الْبَابِ تَمْنَعُني مِنْ فَتْحِهِ، فَرُمْتُهُ فَتَصَعَّبَ عَلَيّ، فَضَرَبْتُ كَفَّيْهَا بِالسَّوْطِ فَأَلَّمَهَا. يقول عمر: فَسَمِعْت لَهَا زَفِيراً وَبُكَاءً، فَكِدْتُ أَنْ أَلِينَ وَأَنْقَلِبَ عَنِ الْبَابِ، فَذَكَرْتُ أَحْقَـادَ عَـلِيٍّ وَوُلُوعَـهُ فِي دِمَاء صَنَادِيدِ الْعَرَبِ، وَكَيْدَ مُحَمَّدٍ وَسِحْرَهُ، فَرَكَلْتُ الْبَابَ، وَقَدْ أَلْصَقَتْ أَحْشَاءهَا بِالْبَابِ تَتْرُسُهُ، وَسَمِعْتُهَا وَقَدْ صَرَخَت صَرْخَةً حَسِبْتُهَا قَـدْ جَعَلَتْ أَعْلَى الْمَدِينَةِ أَسْفَلَهَا، وَقَالَتْ: واأَبَتَاهْ! هَكَذَا يُفْعَلُ بِحَبِيبَتِكَ؟
واستغاثت بفضّة خادمتها، وقالت: **لقد قتل ما في بطني من الحمل**.(١)

---

(١) ***بحار الأنوار***، [طبع الكمباني]، ج ٨، ص ٢٣١، [ومن الطبعة الحروفيّة، ج ٣٠،ص ٢٩٤]، نقلاً عن الجزء الثاني من كتاب «***دلائل الإمامة***».

والذي يظهر من كِتَاب سُلَيْمِ بْنِ قَـيْسٍ أنّ قنفـذ ضرب السـيّدة الزهـراء بالسوط على يدها، يقول سُلَيْمٌ: كَتَبَ أَبُو الْمُخْتَار بْنُ أَبِي الصَّعِقِ إِلَى عُمَرَ أبياتـاً من الشعر وذكّره فيها بخيانات حكّامه وعمّاله في بيت المال، قَالَ سُلَيْمٌ:

فَأَغْرَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ تِلْكَ السَّنَةَ جَمِيعَ عُمَّالِهِ أَنْصَـافَ أَمْـوَالِهِمْ لِشِعْرِ أَبِي الْمُخْتَارِ، وَلَمْ يُغْرِمْ قُنْفُذَ الْعَدَوِيَّ شَيْئاً وَقَدْ كَانَ مِنْ عُمَّالِهِ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مَا أَخَذَ مِنْهُ وَهُوَ عِشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهُ عُشْرَهُ وَلا نِصْفَ عُشْرِهِ. وَكَانَ مِنْ عُمَّالِهِ الَّذِينَ أُغْرِمُوا أَبُو هُرَيْـرَةَ عَـلَى الْبَحْرَيْنِ فَأَحْصَى مَالَهُ، فَبَلَغَ أَرْبَعَةً وَعِشْـرِينَ أَلْفاً، فَأَغْرَمَـهُ اثْنَـيْ عَشَرَ أَلْفاً.

ويقول سُلَيْمٌ:

فَلَقِيتُ عَلِيّاً صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَسَأَلْتُهُ عَمَّا صَنَعَ عُمَرُ؟ فَقَالَ: هَلْ تَدْرِي لِمَ كَفَّ عَنْ قُنْفُذٍ وَلَمْ يُغْرِمْهُ شَيْئاً؟! قُلْتُ: لا. قَالَ: لأَنَّهُ هُوَ الَّذِي ضَرَبَ فَاطِمَةَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهَا بِالسَّوْطِ حِينَ جَاءَتْ لِتَحُولَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَمَاتَتْ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهَا، وَإِنَّ أَثَرَ السَّـوْطِ لَفِي عَضُدِهَا مِثْلُ الدُّمْلُجِ.[1]

---

(١) ***بحار الأنوار***، [طبع الكمباني] ، ج ٨، ص ٢٣٣، [ومن الطبعة الحروفيّة، ج ٣٠،ص ٣٠٣] ، نقلاً عن «***كتاب سليم بن قيس الهلالي***» ، ص ١٣٤.

كما يروي أبان عن سليم أنّه قال:

انْتَهَيْتُ إِلَى حَلْقَةٍ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله لَيْسَ فِيهَا إِلّا هَاشِمِيٌّ غَيْرَ سَلْمَانَ وَأَبِي ذَرٍّ وَالْمِقْدَادِ وَمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ وَقَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ: مَا تَرَى عُمَرَ مَنَعَهُ مِنْ أَنْ يُغَرِّمَ قُنْفُذاً كَمَا غَرَّمَ جَمِيعَ عُمَّالِهِ؟ فَنَظَرَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ، ثُمَّ اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ، ثُمَّ قَالَ: شَكَرَ لَهُ ضَرْبَةً ضَرَبَهَا فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلامُ بِالسَّوْطِ، فَمَاتَتْ وَفِي عَضُدِهَا أَثَرُهُ كَأَنَّهُ الدُّمْلُجُ. (١)

جانب من حالات الخليفة الثاني وسيرته مع نساء رسول الله

وقد يشكل الاعتقاد عند البعض بأنّ عمر ضرب السيّدة فاطمة بالسوط، ولكن بالرجوع إلى حالات الرجل وسيرة حياته يتبيّن أنّه كان رجلاً غليظاً قاسي القلب، وأنّه عند الغضب لم يكن هناك شيء يمكن أن يطفئ غضبه إلّا الانتقام من الطرف المقابل.

لقد قام عمر بضرب نساء بني هاشم على رؤوسهم بالسوط في زمان الرسول وتحت أنظاره، أثناء تشييع جنازة ابنته. فنهاه رسول الله عن هذا الفعل وقال له: مهلاً يا عمر! إنّ البكاء على الميّت من الرحمة، ولا ينافي الرضا.

---

(١) *نفس المصدر.*

ينقل المرحوم الأميني قدّس سرّه عن مسند أحمد بن حنبل وعن مستدرك الحاكم بإسناد صحيح، كما نقل كلّ من تلخيص المستدرك ومسند أبي داود الطيالسي والاستيعاب عن ابن عبّاس أنّه قال:

لما ماتت زينب[1] بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «ألحقوها بسلفنا الخير عثمان بن مظعون». فبكت النساء، فجعل عمر يضربهن بسوطه، فأخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلم يده وقال: «مهلاً يا عمر! دعهن يبكين، وإيّاكن ونعيق الشيطان» ـ إلى أن قال: ـ وقعد رسول الله صلّى الله عليه وسلم على شفير القبر وفاطمة إلى جنبه تبكي، فجعل النبي صلّى الله عليه وسلم يمسح عين فاطمة بثوبه رحمةً لها.[2]

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى عن ابن عبّاس قال:

بكت النساء على رقيّة[3] (بنت رسول الله) رضي الله عنها، فجعل عمر رضي الله عنه ينهاهنّ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «مه يا عمر!». قال: ثمّ قال: «إيّاكنّ ونعيق الشيطان؛ فإنّه مهما يكن من العين

---

(١) زينب بنت رسول الله توفيّت في السنة الثامنة من الهجرة، وكان النبي محزوناً وقت وفاتها.

(٢) *الغدير*، ج ٦،ص ١٥٩.

(٣). رقيّة بنت رسول الله، وكانت تحت عثمان، وبناءً على نقل التواريخ فقد توفيّت إثر ضرب عثمان المبرح وأذيّته لها.

والقلب فمن الرحمة، وما يكون من اللسان واليد فمن الشيطان». قال: وجعلت فاطمة رضي الله عنها تبكى على شفير قبر رقيّة، فجعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يمسح الدموع على وجهها باليد، أو قال: بالثوب.[١]

وأخرج النسائي وابن ماجة عن أبي هريرة أنّه قال:

مات ميّتٌ في آل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فاجتمع النساء يبكين عليه، فقام عمر ينهاهن ويطردهن. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «دعهن يا عمر؛ فإنّ العين دامعةٌ، والقلب مصابٌ، والعهد قريبٌ».[٢]

(١) ***الغدير***، ج ٦،ص ١٦٠.

[ويروي آية الله السيّد شرف الدين العاملي في كتاب الفصول المهمّة، ص ٧٦: ما أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن عبّاس (في صفحة ٣٣٥ من الجزء الأوّل من مسنده) من جملة حديث ذُكر فيه موت رقيّة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبكاء النساء عليها قال: فجعل عمر يضربهنّ بسوطه فقال النبي: «دعهنّ يبكين». وقعد على شفير القبر وفاطمة إلى جنبه تبكي. قال: فجعل النبي يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها ـ انتهى].

(٢) ***الغدير***، ج ٦،ص ١٦٠.

ويروي آية الله السيّد شرف الدين العاملي ـ في كتاب الفصول المهمّة، ص ٧٦ و ٧٧: وأخرج أحمد أيضاً من حديث أبي هريرة (في ص ٣٣٣ من الجزء الثاني من مسنده) ـ حديثاً جاء فيه أنّه: مرّ على رسول الله جنازة معها بواكٍ، فنهرهنّ عمر، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**دعهنّ؛ فإنّ النفس مصابةٌ والعين دامعةٌ**».

لقد تجرّأ عمر بهذا الشكل أمام رسول اللَه ـ صاحب الشـريعة النبي المرسـل من عند اللَه ـ وذلك من دون أخذ إجازة منه، وبدون الاستفسار عن المسـألة، بـل قام باعتراض نساء بني هاشم وأرحام رسول اللَه الذين كانوا قد اجتمعوا في جنـازة عزيز لهم فقدوه، وضربهم بالسوط على رؤوسهم، إلى حدّ أنّ رسـول اللَه منعـه مـن ذلك وأمره بالتروّي والتوقّف عن هذا العمل. فعمـر لم يسـتح مـن رسـول اللَه ولم يتوان عن مدّ يده في هذا الموقع الحساس لضـرب النسـاء المفجوعـات بـدون أيّ جُرم ارتكبنه، وكان يعتبر أن البكاء الذي هو علامة الرحمة بناءً عـلى كـلام الرسـول دليلٌ على الشكوى، فكان يضرب أقارب وأرحام الرسول وبناته بكلّ قسوة ويؤذي النساء بفعله. فما الذي سيمنعه ـ بعد وفاة رسول اللَه للوصـول إلى مآربـه ومعاقبـة المتخلّفين عن البيعة واعتقال أمير المؤمنين عليه السلام، حيث إنّه طبقاً لـما نقلتـه التواريخ والأخبار كان قد ربىّ الحقد في قلبه طوال تلك المدّة ـ من أن يُضـرم النـار في باب منزله ويتصاعد الدخان منه، وأن يلطم فاطمة سلام اللَه عليها بضعة رسول اللَه، وأن يضربها بالسوط على يديها، ويعصرها بين الباب والحائط عالماً عامداً حتّـى تُسقط جنينها.

لقد وصلت فضيحة هذا العمل إلى درجة أنّها لم تكن خافيةً على أحـد، وفهـم الجميع آلام ومصائب الصدّيقة الطاهرة ومظلوميّتها وجنايـات أبي بكـر وعمـر في حقّها، وكلّما أراد الآخرون أن يُخفوا ذلك ذهبت محاولاتهم أدراج الرياح.

عندما شارف أبو بكر على الموت كان يقول: إنّني لا آسي على شيء من الدنيا إلّا على ثلاث فعلتهن وددت أنّي تركتهن: فأمّا الثلاث التي فعلتها وددت أنّي تركتها فوددت أنّي لم أكن فتّشت بيت فاطمة، وذكر في ذلك كلاماً كثيراً.[١] وورد في عبارةٍ أُخرى: فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء، وإن كانوا قد غلقوه على الحرب[٢]، وورد أيضًا في عبارةٍ أُخرى: وإن أُغلق على الحرب.[٣]

لقد كانت هذه الأذيّة والمظلوميّة التي لحقت بتلك المظلومة المقهورة النتيجة الأُولى لحكومة هؤلاء، وكان ذلك خير معرّفٍ لأُسلوبهم ونهجهم فيما بعد.

---

(١) ***مروج الذهب***، ج ٢،ص ٣٠٨.

(٢) ***الغدير***، ج ٧،ص ١٧٠.

(٣) ***المعجم الكبير***، للطبراني، طبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ج ١،ص ٦٢، وورد في «الإمامة والسياسة»، ج ١،ص ١٨: **فليتني تركت بيت عليّ وإن كان أعلن عليّ الحرب**. وورد أيضاً في العقد الفريد الطبعة الثانية، ج [٥]، ص [١٩]: **فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء، وإن كانوا أغلقوه على الحرب**.

ومن الأشياء التي تأسّف أبو بكر عليها إحراق فجاءة السلمي. ولقد ورد في كامل التواريخ للجزري: بأنّ أياس بن عبد الله بن عبد ياليل السلمي أتى إلى أبي بكر وطلب السلاح لمحاربة أهل الردّة، فقام أبو بكر بإعطائه السلاح وأمّره على ذلك. ولكن أياس خالف أمر أبي بكر ونهض لمحاربة المسلمين. فأرسل أبو بكر طريفة بن حاجز إليه فأسره وأتى به إلى أبي بكر. فأمر أبو بكر أن يُضرموا النار في مصلّى المدينة، وأوثقوا يديه ورجليه كما يفعل بالطفل، ورموه في النار حيّاً.

وكان أبو بكر يقول عند موته: وددت أنّي لم أحرقه، بل إمّا كنت قتلته بالسيف أو أطلقت سراحه.

شكوى السيّدة الزهراء للرسول الأكرم

روى ابن شهر آشوب هذه الأشعار عن بضعة رسول اللّه:

قلّ للمغيّب تحت أطباق الثرى	**إن كنت تسمع صرختي وندائيا**
صُبّت عليّ مصائب لو أنّها	**صُبّت على الأيّام صرن لياليا**
قد كنت ذات حمى بظلّ محمّد	**لم أخش من ضيم وكان جماليا**
فاليوم أخشع للذليل وأتّقي	**ضيمي وأدفع ظالمي بردائيا**
فإذا بكت قُمريّة في ليلها	**شجناً على غصن بكيت صباحيا**
فلأجعلنّ الحزن بعدك مؤنسي	**ولأجعلنّ الدمع فيك وشاحيا**
ماذا على من شمّ تربة أحمد	**أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا**(١)

---

(١) ***مناقب ابن شهر آشوب***، ج ١،ص ١٦٨. وفي كتاب ***السيرة النبويّة*** للسيّد أحمد زيني دحلان المطبوع في هامش «***السيرة الحلبيّة***»: أنّ السيّدة الزهراء عليها السلام أنشدت البيت الثاني والأخير فقط وهي تبكي على قبر رسول اللّه.

وقد نُقلت هذه الأبيات في مفاتيح الجنان ضمن أحداث اليوم الثامن والعشرين من شهر صفر، ص ٢٩٤ مع اختلاف يسير في اللفظ عن كتاب الدّر النظيم للشيخ يوسف الشامي.

وذكر أيضاً بأنّ فاطمة عليها السلام بعد دفن أبيها بكت وقالت: يا أبتاه! أجاب ربّاً دعاه. يا أبتاه! من ربّه ما أدناه.

نعم، لقد كانت السيّدة فاطمة الزهراء بعد وفاة أبيها تذهب إلى قبر رسول اللَه، بعدما لحقتها المصائب من الأعداء، وتضع خدّها على التراب، وتناجي أباها بهذه الأشعار.

* * *

روى الخوارزمي في «المناقب»[1] بسنده المتّصل عن أنسٍ أنّه قال:

«قال رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله وسلّم: حبُّ عليٍّ حسنةٌ لا تضرُّ معها سيّئةٌ وبغضه سيّئةٌ لا تنفعُ معها حسنةٌ».[2]

* * *

(١) ***المناقب للخوارزمي***، طبعة النجف، الفصل ٦، ص ٣٤ و٣٥

(٢) وقد أورد الآغا جمال الدين الخونساري عين هذه العبارة في «***شرح الغرر والدرر للآمدي***»، ج٢،ص ٤٨١، وكذلك أوردها العلامة الحلّي في «***منهاج الكرامة***» بخطّ عبد الرحيم، ص ٤١، [و ص٩٧ من طبعة مؤسسة عاشوراء]، نقلاً عن صاحب الفردوس في كتابه عن معاذ عن رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله.

تذييل

لا يخفى أنّ آية الله السيّد شرف الدين العاملي في كتابه البديع المسمّى «الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام» بحث عن أربع آياتٍ دالةٍ عن تفضيلها (الأولى آية المباهلة، الثانية آية التطهير، الثالثة آية المودّة، الرابعة آيات الأبرار) بحثاً تامّاً وافياً جامعاً.

وأورد بحثه حول آية المودّة في الفصل الثالث من هذا الكتاب ص ٢١٨ إلى ص ٢٣٠ من مجموعته التي فيها كتابه: «الفصول المهمّة»، وهذا الكتاب من الطبع الخامس.

فلابدّ عند إخراج كتابنا هذا من المسودّة إلى المبيضّة أن يُجعل هذا الفصل مورداً للمطالعة ويُستفاد من مطالبه الثمينة.

وأيضًا جاء باثني عشر حديثاً في هذا الكتاب في تفضيل الزهراء ولزوم مودّتها ومحبّتها من ص ٢٣٩ إلى ص ٢٤٥ لابدّ من الرجوع إليها وإيراد ما

يناسب منها في كتابنا «المودّة» ، وعلى الجملة جميع ما أورده قدّس اللَه نفسه في «الكلمة الغرّاء» نافعٌ نقلها وحكايتها في كتابنا هذا.

وقد ورد في «الفصول المهمّة» ص ٥ إلى ص ٨ عدّة روايات حول المودّة والاعتصام بأهل البيت عليهم السلام.

وهناك رواياتٌ في ص ٤٥ إلى ص ٤٧ حول السقيفة وكيفيّة حصولها والمتخلّفين عنها.

وقد ورد في «الكلمة الغرّاء» في ص ٢٣٩ إلى ص ٢٤١ عدّة رواياتٍ في مقام وموقعيّة وأفضليّة السيّدة الزهراء سلام اللَه عليها.[١]

* * *

(١) ونلفت عناية القراء الكريم إلى أنّنا ـ كما أشرنا سابقاً ـ قد أوردنا جميع ما تفضّل به العلامة قدّس سرّه في طيّات هذا الكتاب في الهوامش مع إيرادها بين معقوفتين بهذا النحو: [...] . (م)

الفهارس العامة

الآيات
الروايات
الأشعار
المراجع والمصادر

فهرس الآيات

* * *

فهرس الروايات

الرواية	الصفحة
يا أمَّ سلمة ! أتعرفينه؟! قلت: نعم، هذا عليٌّ بن أبي طالب.: ...	١٩١
يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي...	١٧٤
يا عليُّ! الربا سَبعونَ جُزءاً مِثلُ أن يَنكِحَ الرجلُ أُمَّه في بيتِ...	٢٠٧
يا عليّ! لو أنّ أمّتي صاموا حتّى يكونوا كالحنايا، وصلّوا...	١٩١
يا عليّ؟ لو أنّ عبداً عبد الله عزّ وجلّ مِثلَ ما قام نوح في...	١٩٠
يا عيسى أوصيك وصيّة المتحنّن عليك بالرحمة حتى حقّت...	٥٩
يرحم الله المحلّقين. قالوا: والمقصّرين يا رسول الله؟: ...	١٣٤
يرد عليّ يوم القيامة رهطٌ من أصحابي يحلّؤون عن الحوض...	١٤٣
يُنصبُ لِطائفةٍ مِنَ الناسِ كَراسِيُّ حَولَ العَرشِ يَومَ القِيامَةِ...	٧٢

* * *

فهرس الأشعار العربيّة

* * *

فهرس المراجع والمصادر

القرآن الكريم: مصحف المدينة المنوّرة (خط عثمان طه).

نهج البلاغة: جمع الشريف الرضي، شرح الشيخ محمد عبده، طبعة مصر.

الصحيفة السجاديّة الكاملة.

***

إحقاق الحق وإزهاق الباطل: نور الله الشوشتري، قم، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي.

أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير، دار التراث العربي، بيروت.

الإمامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

الإستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البرّ النمري القرطبي، تحقيق: علي محمّد البجاوي، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

أقرب الموارد في فصح العربيّة والشوارد: سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، إيران، قم، ١٤٠٣هـ.

الأمالي: الشيخ الطوسي (شيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة مؤسسّة البعثة، نشر دار الثقافة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ .

الإمام جعفر الصادق عليه السلام: المستشار عبد الحليم الجندي، يشرف على إصدارها: محمّد توفيق عويضة، القاهرة، جمهوريّة مصر العربيّة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، سنة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م.

الإرشاد: الشيخ المُفيد ، الطبعة الحجريّة؛ ودار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمّد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميريّة، مصر، الطبعة السابعة ١٣٢٣هـ .

بحار الأنوار: العلامة الشيخ محمّد باقر المجلسي، الطبعة الحروفية ؛ وطبعة الكمباني.

تاريخ الطبري: محمّد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

تفسير الصافي : الملا محسن الفيض الكاشاني، انتشارات الصدر، طهران، ١٤١٥ هـ .

تفسير البرهان (البرهان في تفسير القرآن) **: السيد** هاشم الحسيني البحراني، الطبعة الحجريّة؛ وطبعة بنياد بعثت (مؤسسة البعثة) .

تفسير ابن عربي: أبو عبد اللَه محيي الدين محمّد بن عربي، القرن السابع، تحقيق: سمير مصطفى رباب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢ هـ .

الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) **:** محمّد بن أحمد القرطبي، منشورات ناصر خسرو، إيران، ١٤٠٦هـ .

تفسير أبو الفتوح الرزاي (تفسير روض الجنان وروح الجنان): أبو الفتوح الحسين بن علي الرازي، الطبعة الحاوية لاثني عشرة مجلّداً.

تفسير أبي مسعود: أحمد بن فرات الرازي (ت: ٢٥٨).

تفسير الميزان (الميزان في تفسير القرآن): السيّد محمّد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسّة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

تفسير الكشّاف (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل): أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت؛ وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت.

تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة: محمّد الجنابذي (الملقب بـ«سلطان علي شاه»)، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٨ هـ .

التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) **:** أبو عبد الله محمّد بن عمر فخر الدين الرازي (الفخر الرازي) ، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.

تفسير روح المعاني: أبو الفضل شهاب الدين السيّد محمود الآلوسي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٥هـ .

تفسير روح البيان: إسماعيل حقّي، طبعة المطبعة العثمانية.

تفسير الدرّ المنثور في التأويل بالمأثور: عبد الرحمن بن أبو بكر جلال الدين السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩ م.

مجمع البيان في تفسير القران: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، طبعة صيدا.

ديوان الأزري: القصيدة الأزريّة، الشيخ محمد كاظم الأزري.

رسالة في معرفة أحوال الصحابة: الشيخ محمّد بن الحسين الحرّ العاملي.

سنن الترمذي (الجامع الصحيح): محمّد بن عيسى ـ الترمذي، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (مصر سنة ١٣٨٢) تحقيق: إبراهيم عطوة.

سفينة البحار: الشيخ عباس القمي، الطبعة الحجريّة، المطبعة العلميّة في النجف الأشرف، ١٣٥٥هـ.

السيرة النبوية: ابن هشام، طبعة مكتبة محمد علي صبيح وأولاده.

السيرة النبويّة والآثار المحمّدية: أحمد زيني دحلان، المطبوع في هامش السيرة الحلبيّة، دار المعرفة، بيروت.

شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي، دار إحياء الكتب العربيّة (الطبعة القديمة) عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٩م.

تنبيه الغافلين وتذكرة العارفين (شرح نهج البلاغة) :الملا فتح الله الكاشاني، منشورات پيام حق، طهران، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.

الشرف المؤبّد لآل محمد: يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني.

شرح غُرر الحكم ودُرر الكلم: الآغا جمال الدين الخونساري، تصحيح: مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدّث، طهران، منشورات جامعة طهران، الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ.

صحيح البخاري: محمّد بن إسماعيل البخاري، طبعة أميريّة بولاق، والطبعة المليحيّة (سنة ١٣٢٣هـ).

عبد الله بن سبأ: السيّد مرتضى العسكري، طبعة مصر.

العقد الفريد، أحمد بن محمّد بن عبد ربه الأندلسي، الناشر: المكتبة التجاريّة الكبرى، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٣.

عيون أخبار الرضا عليه السلام: محمّد بن عليّ بن بابويه القمّي (الشيخ الصدوق)، نشر جهان، طهران، الطبعة الأولى ١٣٧٨ هـ.

غاية المرام وحجّة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاصّ والعام: السيّد هاشم البحراني، تحقيق: علي عاشور، مؤسسّة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠١م .

الغدير في الكتاب والسنة والأدب: العلامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م .

الفصول المهمة: السيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي، الطبعة الخامسة، مطبعة النعمان ـ النجف.

الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ابن الصباغ المالكي، دار الأضواء للطباعة والنشر ـ والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨م .

في ظلال القرآن: السيّد قطب بن إبراهيم الشاذلي، دار الشروق، ١٤١٢ هـ .

الكافي: محمّد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلاميّة، الطبعة الثانية، و طبعة دار الحديث، قم، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ.

الكلمة الغرّاء: السيّد عبد الحسين شرف الدين.

لسان العرب: جمال الدين محمّد بن مكرم (ابن منظور)، دار صادر، سنة ٢٠٠٣ م.

الملل والنحل: للشهرستاني، الطبعة الأولى، مصر .

مجمع البحرين ومطلع النيّرين: الشيخ فخر الدين بن محمّد الطريحي النجفي، تحقيق: السيّد أحمد الحسيني، طهران، الطبعة الثانية ١٣٦٥ هـ .

المراجعات: السيّد عبد الحسين شرف الدين الموسوي، طبعة المجمع العالمي لأهل البيت.

مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، تحقيق: أسعد داغر، قم، دار الهجرة، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

مفردات غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، دفتر نشر، الطبعة الأولى.

معرفة الإمام: العلّامة السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهراني، دار المحجّة البيضاء، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

المعجم الكبير: الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، طبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

منهاج الكرامة في معرفة الإمامة: الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلّي (العلامة الحلّي)، بخطّ عبد الرحيم؛ وطبعة مؤسّسة عاشوراء للتحقيقات والبحوث الإسلاميّة، مشهد، ١٣٧٩ هـ.ش.

المناقب: الموفّق بن أحمد بن محمّد المكّي الخوارزمي، طبعة النجف، ١٣٥٨ هـ.

مناقب آل أبي طالب: محمّد بن علي بن شهر آشوب، طبع سربي.

محمّد وعلي وحديث الثقلين وحديث السفينة: السيّد الميرزا نجم الدين الشريف العسكري.

نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين: جمال الدين محمّد بن يوسف بن الحسن بن محمّد الزرندي الحنفي، سلسلة من مخطوطات مكتبة أمير المؤمنين (عليه السلام) العامة، الطبعة الأولى ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٨م.

ينابيع المودة، للقندوزي الحنفي، طبع إسلامبول.

* * *

المؤلفات والآثار المنشورة

بسم الله الرحمن الرحيم

دورة علوم ومباني الإسلام والتشيّع

الكتب والآثار المنشورة لسماحة آية الله الحاجّ السيّد محمّد محسن الحسينيّ الطهرانيّ دامت بركاته:

- **طهارة الإنسان:** دراسة فقهيّة تخصّصية لإثبات طهارة مطلق الإنسان ذاتاً. (متوفّر بالعربيّة)
- **الأربعين في التراث الشيعي.** (متوفّر بالعربيّة)
- **أسرار الملكوت:** شرحٌ لحديث عنوان البصريّ عن الإمام الصادق عليه السلام. (الجزء ١ متوفّر بالعربيّة)
- **حريم قدس (حريم القدس):** مقالةٌ في السير والسلوك.
- **اجماع از منظر نقد و نظر (رسالةٌ في عدم حجيّة الإجماع):** وهي رسالة تتضمّن بحثاً أصوليّاً في إثبات عدم حجيّة الإجماع مطلقاً.
- تعليقة على «**رسالة في وجوب صلاة الجمعة تعييناً**» لحضرة العلامة آية الله السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ قدّس الله سرّه. (أصلها بالعربية).

- **أنوار ملكوت (أنوار الملكوت)** : وهو من مؤلّفات سماحة العلّامة آية الله العظمى الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ قدّس الله نفسه الزكيّة حول: نور ملكوت الصوم، الصلاة، المسجد، القرآن، الدعاء، قدّم له وراجعه وشرح بعض مواضعه نجل العلامة سماحة المؤلّف حفظه الله.
- **افق وحي (أفق الوحي):** نقدٌ وردٌ على نظرية الدكتور عبد الكريم سروش حول الوحي.
- مقدّمة وتعليقات على «**مطلع الأنوار**» (الدورة المحقّقة والمهذّبة من المكتوبات الخطيّة والمراسلات و المواعظ) : من آثار سماحة العلامة آية الله العظمى الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ قدّس الله سرّه.
- مقدّمة وتصحيح **تفسير آية النور ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾:** من آثار سماحة العلامة آية الله العظمى الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ قدّس الله سرّه.
- مقدّمة وتصحيح «**آيين رستگاري**» **(سبيل الفلاح)**: من آثار سماحة العلامة آية الله العظمى الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ قدّس الله نفسه الزكيّة.
- **حيات جاويد (السعادة الأبديّة):** شرح إجمالي لوصيّة أمير المؤمنين للإمام الحسن المجتبى عليهما السلام في حاضرين.
- **گلشن أسرار (روضة الأسرار):** شرح على الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة للملا صدرا.
- **الشمس المنيرة**: عرض إجمالي للشخصيّة العلميّة والأخلاقيّة لسماحة العلامة آية الله العظمى الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ قدّس الله نفسه الزكيّة. (متوفّر بالعربيّة)

- **سرّ الفتوح ناظر بر پرواز روح (سرّ الفتوح الناظر على كتاب عروج الروح)**: من آثار سماحة العلامة آية اللَه العظمى الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ قدّس اللَه نفسه الزكيّة، قدّم له وعلّق عليه سماحة المؤلّف حفظه اللَه. ترجم ونشر على مواقع الأنترنت.
- **حديث عنوان البصري**: شرح رواية عنوان البصري، مستخرج من الشرح الصوتي لسماحة آية اللَه السيّد محمّد محسن الطهراني حفظه اللَه.
- **مهر تابناك (الشمس الزاهرة)**: حول حياة الميزرا علي القاضي رضوان اللَه عليه.
- **الدرّ النضيد في الاجتهاد والتقليد**: تقريرات العلامة الطهراني قدّس سرّه لبحث آية اللَه الشيخ حسين الحلّي في الاجتهاد والتقليد، وقد أضاف نجله سماحة آية اللَه السيّد محمّد محسن الطهراني حفظه اللَه تعليقات قيّمة على البحث، مضافاً إلى مقدّمة وخاتمة للكتاب. (ألّفت بالعربيّة)
- مقدّمة وتصحيح **رسالة المودّة**: الكتاب الحاضر.

❊ ❊ ❊

كتب قيد التأليف

- نفحات الأنس.
- معالم عاشوراء ومدرستها.
- الارتداد في الإسلام.
- السالك البصير.
- سيرة الصالحين.
- النيروز في الجاهليّة والإسلام.

* * *

كتب ستصدر بالعربيّة قريباً

- الدرّ النضيد في الاجتهاد والتقليد.
- أسرار الملكوت (الجزء ٢ و ٣).
- أنوار الملكوت.
- تفسير آية النور.
- سبيل الفلاح.
- حريم القدس.

* * *

تعريف إجمالي بالكتب المؤلّفة

١ـ شرح وتفسير (القرآن والحديث)

- **أنوار الملكوت:** هذا الكتاب تتمّة لسلسة أنوار الملكوت والتي وردتنا عن المرحوم العلامة الطهراني رضوان الله عليه، من خلال محاضراته التي كان يلقيها في مسجد القائم في طهران خلال شهر رمضان المبارك لعام ١٣٩٠ هـ، وكان قد كتب خلاصتها في مخطوطاته. وقد نظّمت هذه المخطوطات وحُقّقت، وطبعت في مجلّدين.
- **تفسير آية النور**: هذا الكتاب هو خلاصة المحاضرات القيّمة التي ألقاها المرحوم العلاّمة الطهراني رضوان الله عليه في مسجد القائم في طهران، والتي تمثّل تفسيراً عرفانيّاً أخلاقيّاً لآية النور المباركة ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾. وقد كُتبت وحقّقت وصحّحت وطبعت مع مقدّمة نفيسة لنجله المكرّم سماحة آية الله الحاج السيّد محمّد محسن الحسينيّ الطهرانيّ حفظه الله.
- **حيات جاويد (السعادة الأبديّة):** وهذا الكتاب الشريف هو شرح وتفسير راق وبديع، على الوصيّة المعجزة لأمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، والتي كتبها لابنه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام حين عودته من صفّين في موضع يدعى حاضرَين.

- **حديث عنوان البصري**: وتشتمل هذه المجموعة على نصوص المحاضرات الصوتيّة التي ألقاها سماحة آية اللَه السيّد محمّد محسن الطهراني دامت بركاته شرحاً لهذا الحديث الشريف على الأعزّة والأحبّة من التائقين للتعرّف إلى المسلك العرفاني والمدرسة التوحيديّة للمرحوم العلامة آية اللَه العظمى الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهراني قدّس اللَه نفسه الزكيّة، وقد قام بنفسه بكتابة شرح واف لهذا الحديث تحت عنوان «أسرار الملكوت».
- **رسالة المودّة**: هذه الرسالة من ضمن المحاضرات التي ألقاها سماحة العلامة السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهراني رضوان اللَه والتي كتب خلاصتها بنفسه، مع مقدّمة لنجله آية اللَه السيّد محمّد محسن الطهراني حفظه اللَه تبيّن قيمة هذا الأثر، وتبحث هذه الرسالة في تفسير آية المودّة مع عرض للآراء المختلفة حول حقيقة ذوي القربى، والردّ عليها مع بيان الرأي الصحيح بالأدلّة المتقنة، وتتعرّض لدور محبتهم في السلوك إلى اللَه عزّ وجلّ ولزوم موّدة أهل البيت عليهم السلام وفرضها في القرآن والسنّة؛ كما تمّ التعرّض فيها لبعض الأحداث التي حصلت بعد ارتحال الرسول الأكرم صلى اللَه عليه وآله وسلم حتّى شهادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سلام اللَه عليها.

٢ـ في الأدعية والأخلاق

- **آيين رستگارى (سبيل الفلاح)**: وهو خلاصة لبيانات سماحة العلّامة آية اللَه الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهراني رضوان اللَه عليه، حول أركان السير والسلوك إلى اللَه، وآدابه ولوازمه، والتي كان قد بيّنها لبعض إخوانه في اللَه، وقد كُتبت وصُحّحت وقَدَّم لها نجله المكرّم سماحة آية اللَه السيّد محمّد محسن الحسينيّ الطهرانيّ دامت بركاته.

٣ـ في العرفان والفلسفة

- **أسرار ملكوت (أسرار الملكوت)**: وهو شرح لحديث عنوان البصريّ الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام، وقد أكّد على العمل بمضامينه قديماً العلماء العظام في العرفان والأخلاق. طبع منه إلى الآن ثلاثة أجزاء، وهذه المجموعة هي خير مُبيّن وكاشف عن فكر المرحوم العلامة الطهراني رضوان اللَه عليه ومبانيه السلوكيّة.
- **حريم قدس (حريم القدس)**: وهي مقالة جاد بها يراع سماحة آية اللَه الحاج السيّد محمّد محسن الحسينيّ الطهرانيّ دامت بركاته، في تقديمه للترجمة الفرنسيّة للكتاب الشريف «لبّ اللباب في سير وسلوك أولي الألباب» تأليف سماحة العلّامة الطهراني قدّس اللَه سرّه.
- **سرّ الفتوح ناظر بر پرواز روح (سرّ الفتوح الناظر على كتاب عروج الروح)**: وهو مقالة كتبها المرحوم آية اللَه العظمى الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ رضوان اللَه عليه، في الردّ على كتاب عروج الروح، وقد بيّن فيها الأفكار والمباني الرفيعة لمدرسة العرفان والتوحيد حول نهاية السير التكامليّ للبشر، ولكن حيث إنّ هذه الرسالة لم تكن قد طبعت قبل وفاة المرحوم العلّامة، وحيث إنّ الكثير من أبحاثها يحتاج إلى مزيد من التفصيل والتوضيح، فقد قام سماحة آية اللَه الحاج السيّد محمّد محسن الحسينيّ الطهراني حفظه اللَه بإضافة مقدّمة وتعليقات نفيسة عليها.
- **گلشن أسرار (روضة الأسرار)**: وهو شرح على الحكمة المتعالية (الأسفار) لصدر المتألهين الشيرازي والذي قدّمه سماحة المؤلف في دروس الفلسفة لمرحلة البحث الخارج.

٤ـ في الكلام والفقه والأصول

- **طهارة الإنسان:** وهي خلاصة البحوث الفقهيّة المتخصّصة لإثبات طهارة مطلق الإنسان ذاتاً، والتي كان سماحة المؤلّف المحترم قد ألقاها في درس البحث الخارج، ثمّ قام بكتابتها بقلمه المتين.
- **رسالةٌ في عدم حجيّة الإجماع:** هذا الأثر عبارة عن دراسة تأسيسيّة ومتقنة في مسألة الإجماع، ويظهر في الدراسة كيف أنّ هذا الدليل الذي هو أحد الأدلّة الأربعة للفقاهة والاجتهاد، قد شقّ طريقه في الفقه الشيعي من دون أن يكون له أصل أو جذر إلهي، بل هو معارض للأدلّة الإلهيّة المتقنة.
- **صلاة الجمعة:** وقد أُلّفت هذه الرسالة الشريفة باللغة العربيّة، وهي تقريرات لدرس الخارج لسماحة آية الله الحجّة السيّد محمود الشاهرودي في الفقه، قام بتقريرها سماحة العلامة آية الله العظمى الحاج السيّد محمّد حسين الحسينيّ الطهرانيّ رضوان الله عليه، وقد طبعت مع تعليقات المؤلّف المحترم.
- **افق وحي (أفق الوحي):** وهو نقدٌ وردّ على نظريّات الدكتور عبد الكريم سروش حول الوحي والرسالة وردّ على شبهاته في هذا الموضوع، وحيث إنّ إجابات بعض العلماء الكبار على هذه الشبهات تحتوي هي الأخرى على نقاط من الخطأ وإثارة الشبهات، بل حتّى إنّها كانت خارجة عن دائرة البحث وتؤدّي إلى تأييد نظريّات سروش، فقد قام المؤلّف المكرّم بالتأمّل في هذه الإجابات أيضاً.

٥ـ الأبحاث التاريخيّة والاجتماعيّة

- **الأربعين في التراث الشيعي:** وقد درست هـذه الرسـالة عنـوان الأربعـين في الـتراث الشيعيّة من مختلف الجوانب، وأثبتت أنّ هذا العنوان هو مـن مختصّـات سـيّد الشـهداء عليه السلام.

٦ـ تراجم ورجال

- **الشمس المنيرة**: وهو عرض إجماليّ كتبه المؤلّف المعظّم للتعريف بالشخصيّة العلميّة والأخلاقيّة للعارف بالله سماحة العلامة آية الله العظمى الحـاج السـيّد محمّـد الحسـين الحسينيّ الطهرانيّ قدّس الله نفسه الزكيّة.
- **مهر تابناك (الشمس الزاهرة)** : لقد تحدّث المرحوم العلامة آية الله العظمى الحاج السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهراني ـ قدّس الله سرّه ـ وكذلك نجله سماحة آية الله السيّد محمّد محسن الحسيني الطهراني حفظه الله وفي مناسبات عديدة حول نفحة من أحوال وتاريخ الحياة المليئة بالبركة لسماحة العلامة آية الله العظمى الحاج السيّد علي القاضي الطباطبائي ـ قدّس الله نفسه الزكيّة ـ من أجل بيان النكات والمواضيع الراقية المتعالية لمدرسة العرفان، فوجدنا من المناسب أن تجمع هذه البيانات لتوضع باختيار عشاق المعرفة والمتعطّشين لمسير الحقيقة.

٧ـ الدورة المحقّقة والمهذّبة من المكتوبات الخطّية والمراسلات والمواعظ

- **مطلع أنوار (مطلع الأنوار)** : وهذه المجموعة القيّمة هي حاصل مخطوطات وثمـرة عمر سماحة العلامة آية الله العظمى الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ قدّس

اللَه نفسه الزكيّة، وقد جمعت تحت عنوان المكتوبات والمراسلات والمواعظ في أربعة عشر مجلّداً، مع مقدّمة وتصحيح وتعليقات قيّمة لولده سماحة آية اللَه الحاج السيّد محمّد محسن الحسينيّ الطهرانيّ حفظه اللَه، وأهمّ أبحاثها:

الجزء الأول: المراسلات، اللقاءات والحياة الشخصيّة للمؤلّف المحترم (المرحوم العلّامة) بقلمه هو، قصص وحكايات أخلاقيّة وعرفانيّة وتاريخيّة واجتماعيّة.

الجزء الثاني: مختصر لتراجم أساتذة المؤلّف في الأخلاق والعرفان.

الجزء الثالث: تراجم لعدد من العظماء والعلماء والشخصيّات المؤثّرة.

الجزء الرابع: العبادات والأدعية والأخلاق.

الجزء الخامس: الأبحاث الفلسفيّة والعرفانيّة، علوم الهيئة والنجوم والعلوم الغريبة، الأدب والبلاغة.

الجزء السادس: إجازات المؤلّف في الرواية والاجتهاد، الأبحاث التفسيريّة والروائيّة.

الجزء السابع: الأبحاث الفقهيّة (فقه الخاصة، فقه العامّة، والفقه المقارن) والأبحاث الأصوليّة.

الجزء الثامن: الأبحاث الكلاميّة (المبدأ والمعاد، المساوئ).

الجزء التاسع: الأبحاث الكلاميّة (حول أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام)

الجزء العاشر: ملاحظات ومنتخبات من الكتب التاريخيّة والاجتماعيّة.

الجزء الحادي عشر: الأبحاث الرجاليّة، متفرّقات (طب، لطائف...)

الجزءان الثاني عشر والثالث عشر: خلاصة مواعظ المؤلّف في شهر رمضان المبارك لعامي ١٣٦٩ و ١٣٧٠ هـ.

الجزء الرابع عشر: الفهارس العامة لهذه الموسوعة (الآيات والروايات والشعر والأعلام...)

*   *   *

البرامج الحاسوبيّة

- **آواي ملكوت** (نداء الملكوت): وهو عبارة عن أربعة أقراص (DVD) تحتوي على محاضرات صوتيّة لسماحة العلّامة آية الله العظمى الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ قدّس الله نفسه الزكيّة، وسماحة آية الله الحاج السيّد محمّد محسن الحسينيّ الطهراني مدّ ظلّه العالي.
- **إكسير السعادة**: وتشمل هذه المجموعة على الآثار العلميّة والمعرفيّة لسماحة العلّامة آية الله العظمى الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ قدّس الله نفسه الزكيّة، وأكثر مؤلّفات أستاذه العلميّ ومربّيه السلوكيّ سماحة العلّامة السيّد محمّد حسين الطباطبائي رضوان الله عليهما، ومجموعة مؤلّفات ومحاضرات سماحة آية الله الحاج السيّد محمّد محسن الحسينيّ الطهرانيّ مدّ ظلّه العالي في شرح حديث عنوان البصريّ ودعاء أبي حمزة وسائر المعارف الإسلاميّة. (متوفّر بالعربيّة)

*   *   *

تعريفات إجمالية بالكتب قيد التأليف

- **نفحات أنس (نفحات الأنس):** تحتوي هذا الكتاب على بيانات سماحة آية الله الحاج السيّد محمّد محسن الحسيني الطهراني ـ حفظه الله ـ التي طرحها فيما يتعلّق بشخصيّة العارف الكامل سماحة الحاج السيّد هاشم الحداد قدّس الله نفسه الزكيّة ، ولأهميّة المسائل التي طرحت قام مجمع التحقيق مكتب وحي تحت إشراف سماحته بكتابة هذه البيانات التي نشرت صوتياً ، ومن ثمّ إعدادها لتنشر وتقدّم إلى السالكين إلى الله.
- **سالك آگاه (السالك البصير):** وهو نصوص محاضرات العلامة آية الله الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهراني قدّس الله نفسه الزكيّة، والتي ألقيت في مناسبات مختلفة حول موضوع العلم والعلماء، وقد صارت جاهزة للطبع والنشرـ مع مقدّمة وتصحيح من قبل نجله حفظه الله.
- **سيماى عاشوراء (معالم عاشوراء ومدرستها)**: لقد أحدثت عاشوراء بما تحمل من عبر وأسرار وإيحاءات نظريّات ورؤى متباينة في فهم محتواها وكنهها وماهيّتها. وفي هذا الكتاب يسعى المؤلّف إلى تقديم نظريّة العرفاء والأولياء حول هذه الملحمة التاريخيّة، ليكشف عن تعريف جديد لها، ويفسّر أهدافها ومقاصدها وهويّتها للطالبين، وليضع أمام أعين المتوسّمين والمتأمّلين صورة أخّاذة عن حقيقة سيّد الشهداء عليه السلام.
- **سيره صالحان (سيرة الصالحين):** وهو حصيلة المحاضرات التي ألقاها سماحة آية الله السيّد محمّد محسن الحسيني الطهراني مدّ ظلّه العالي، في جلسات ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٣ هـ . والتي تعرّض فيها لإثبات حجيّة أقوال وأفعال أولياء الله ومنجّزيتها على الآخرين، وكيفيّة الاستفادة من أنوار الولاية الباهرة.

- **ارتداد در إسلام (الارتداد في الإسلام)**: في هذا الكتاب بحث شامل حول حكم الارتداد، وكيفيّة تحقّقه، والآراء والرؤى المختلفة حوله من قبل المدارس المتنوّعة.
- **نوروز در جاهليّت واسلام (النيروز في الجاهليّة والإسلام)**: وهو يتناول عيد النيروز والبدع التي دخلت إلى دين الإسلام المقدّس. ويأمل المؤلّف المكرّم أن يضاعف من إتقان ورقيّ هذا الكتاب بالاستفادة من المطالب التي وردت عن والده المعظّم في هذه المسألة.

* * *